

المسلمون في الأندلس



تأليف
رينهاردت دوزي

ترجمة وتعليق وتقديم
د. حسن حبشي

المسيلة في الإندلس

الجزء الثالث

تأليف

زينب كرم دوزي

ترجمة وتعليق وتقييم

د. حسن حبشي



المكتبة الوطنية للتراث الفكري

١٩٩٥

المقدمة

هذا الجزء هو ختام ترجمة ما وضعه رينهرت دوزى بالفرنسية عن تاريخ المسلمين فى الأندلس منذ دخولهم اياها حتى مجيء المرابطين لانقاذها من براثن أعدائها •

ونحمد الله ان وفقنا الى اتمام ترجمة هذا السفر التى كانت أملا طال عمره أجيالا ثم صار حقيقة •

وقد أضفنا الى الترجمة بعض الملاحق التى رأيناها ضرورية ، وكشافا كان لابد منه ليسهل على القارئ العثور على ما ينشده من الأماكن والأعلام والوقائع الى غير ذلك ، وقد ساعدنا فى اتمام هذا الكشف المهندس مروان حسن حبشى الذى رتبته على الكمبيوتر فله الشكر على ما بذل من جهد •

كما تداركنا النقص الذى يلحظه قارئ الأصل الفرنسى من اقتصراره على ذكر السنوات الميلادية فوضعنا ما يقابلها فى التاريخ الهجرى •

ونسأل القارئ الكريم أن يبصرنا بالنقص - حين يرى نقصا - فى الترجمة أو التعليق لتقويم ما اعوج •

والله من وراء القصد والسبيل • انه نعم المولى ونعم النصير •

حسن حبشى

القاهرة فى ٣ سبتمبر ١٩٩٤

الفصل الأول

الصراعات المحلية وظهور هشام الثانى

دعوى بنى حماد فى حقهم فى السيطرة • سرقسطة وطليلة ودولة
بنى ذى النون • ابن جهور وقرطبة • الثورات المحلية • القاضى أبو القاسم
على فى أشبيلية • خلف الحصرى يدعى أنه هشام الثانى وتأييد أهل
فلعة رباح له • استغلال ابن عباد هذا الادعاء لصالحه وسبب مسaire
ابن جهور لهذا الادعاء الكاذب • الزحف على قرمونة ومصرع صاحبها يحيى
الطاغية • النزاع بين ابن عباد وابن جهور حول حقيقة أمر المسمى بهشام •

اضطراب أهـور حكام الأندلس

طلب ولايات اسبانيا الاسلامية - منذ زمن بعيد - وهى تسير
أمرها بنفسها ولم يكن ذلك عن قصد وتدير منها ، وكان الشعب
كما فكر فى المستقبل استولى عليه الفزع ، وإذا تذكر الماضى استبد به
الأسى ، وعم شبه الجزيرة انحلال شامل لم يستفد منه الا أصحاب السلطة
من البربر والصقالبة ، فنقسم قادة البربر الجنوب فيما بينهم ، وآلت
مفاليـد الأمور فى الشرق الى الصقالبة ، أما بقية النواحي الأخرى فقد
نهابها جماعة من الطوائن الجدد وشرذمة قليلون من الأسر الارستقراطية
التي أتيج لها من الفرصة ما مكنها من مقاومة الضربات التي أنزلها
عبد الرحمن الناصر والمنصور بن أبى عامر بالأشراف .

كان بنو حماد - فى الظاهر - زعماء رهط البربر فادعوا ان لهم
حقوقا على جميع رحاب الاقليم العربى من شبه الجزيرة ، أما حقيقة الواقع
فتتمثل فى انه لم يكن سوى مدينة مالقة وما حولها ، وكان لهم أتباع
كان أقواهم ساعدا أمرا غرناطة : « زاوى » الذى رفع غرناطة الى منزلة
العاصمة (١) ، وابن أخيه « حبوس » الذى خلفه .

زد على ذلك أنه كان هناك بعض الأمراء من البربر فى « قرمونة »
و « مورة » و « رندة » ، كما كان بنو الأفطس - أصحاب بطليوس -
ينتمون الى ذلك الجنس ذاته لكنهم استعربوا تماما ، حتى لقد ادعوا أنهم
من أصل عربى ، ومن ثم شغلوا منزلة لم يشغلها أحد سواهم .

أما الفريق المعارض فكان من رجاله « خيران » أمير المرية ، و « زهير »
الذى خلفه سنة ١٠٢٨ م [= ٤١١ هـ] ، و « مجاهد » أمير جزائر
البليار ودانية ، وهو الذى فاق رجال زمنه فى غاراته البحرية ، وقد
أكسبته حملاته على سردينية وسواحل إيطاليا شهرة فائقة ، كما نبه
اسمه وذاع صيته لعطفه على الأدباء ورعايته إياهم .

كان الحكم فى بداية الأمر واقعا فى يد جماعة من الصقالبة ، حتى
إذا كانت سنة ١٠٢١ م نودى بعبد العزيز حفيد المنصور
ابن أبى عامر - ملكا عليها ، كما وفدت على سرقسطة أسرة عربية النبعة
نبيلة المحتد هى أسرة بنى « هود » التى صار لها السلطان وآل إليها
الحكم بعد موت المنذر [بن يحيى] سنة ١٠٣٩ م [= ٤٣١ هـ] .

ولن نمضى هنا فى تعداد العدد الوفير من الولايات الصغيرة ، ولكننا نكتفى بالاسارة الى مملكة طليطلة التى ظلت تحت حكم أحد الولاة واسمه « يعينس بن محمد بن يعينس » حتى سنة ١٠٣٦ [= ٤٢٨ هـ] ومنذ ذلك الحين انتقل الأمر الى يد بنى ذى النون ، وهم أسرة بربرية قديمة ساهمت فى فتح اسبانيا ابان القرن الثامن الميلادى .

ولقد اجتمع وجوه أهل قرطبة - بعد زوال الخلافة عن بلدهم - وأجمعوا أمرهم على أن يسوقوا الأمر الى « ابن جهور » الذى طبق خبر كفايته الآفاق ، لكنه رفض فى بادئ الأمر قبول هذا المنصب ثم عاد فقبله ازاء الحاح القوم الشديد عليه مشترطا عليهم أن يشاركه فيه رجلا من أهل المجلس تربطهما بأسرته وشائج القربى ، وهما « محمد بن عباس » و « عبد العزيز بن حسن » ، فاستجاب المجنمون الى ما طلب وان اتفقوا معه على ألا يكون لهذين الرجلين من الأمر سوى المشورة .

سار أول هؤلاء الثلاثة فى حكمه لهذه « الجمهورية » سيرة العقل والسادد ، ويرجع اليه الفضل فى انقطاع شكوى أهل قرطبة من وحشية البربر ، اذ استهل أعماله بصرف البربر عما بيدهم مستعيزا عنهم بحرس وطنى ، ولم يستبق سوى بنى « يفرن » ثفه منه لطاعتهم له . وكان ظاهر ابن جهور يسير الى أخذه بنظام السورى أخذا مطلقا ، فاذا طلب أحد منه فضلا زعم أن ليس الأمر بيده بل من اختصاص مجلس المشورة ، وقال انه هو ذاته ليس أكثر من منفذ لما يوصى به هذا المجلس ، وكان اذا جاءتة رسالة موجهة اليه هو نفسه أبى أن يتسلمها وأصر على وجوب بعثها الى المشيرين ، ولم يكن يقدم قط على أمر ما الا بعد أخذ رأى المجلس ، ولم يؤخذ عليه أبدا أنه ظهر بمظهر الحاكم فلم يعتمد للسكن فى القصر الخلفى بل ظل مقيما فى بيته العادى الذى كان يقيم به من قبل ، لكن الواقع أنه كان مطلق السلطان فلم يحدث قط ان جرؤ المجلس على معارضته .

كذلك كان شديد الصلاح بالغ الدقة ، فلم يشأ أن تكون الخزينة العامة فى داره بل عهد بحراستها الى فريق من أعظم رجال البلد احتراماً .

أجل ٠٠٠ لقد كان شديد الحب للمال شرها فى جمعه ، لكن رعايته للصالح العام حالت بينه دائما وبين القبام بأى عمل قد يحط من كرامته ، وكان مقتصدا الى درجة التقصير ان لم تقل الشح ، فتضاعفت أمواله ، وغدى أثرى أهل قرطبة على الإطلاق ، لكنه عمد فى الوقت ذاته الى القيام بمحاولات محمودة الأثر لاستعادة الرضاء العام ، فوثق علاقاته الودية مع جميع الولايات المجاورة ، ونجح فى هذا السبيل الى أقصى غاياته ، فوجدت التجارة والصناعة - بعد فترة وجيزة - من الطمأنينة ما كانا

فى مسيس الحاجة اليه ، كما انخفضت أسعار السلع ، ووفد على قرطبة جمع كنيف من السكان الجدد أعادوا بناء بعض الأحياء التى دمرها البربر والتى كانوا قد حرقوها حين تخريبهم المدينة (٢) ، ومع ذلك كله فانه لم تتح الفرصة لعاصمة الخلافة القديمة أن تسترد عظمتها السياسية السالفة ، بل الظاهر أن دور الصدارة آل منذ ذلك الحين الى اشبيلية الى سنعنى بنفصيل تاريخها •

لعد ارنبط مصير اشبيلية منذ زمن بعيد بمصير قرطبة ، ومن ثم مرت بنفس الدور الذى مر بالعاصمة فخفضت لحكام من البيت الأموى ، ثم لحكام من بنى حمود ، غير أنه كان لسورة قرطبة سنة ١٠٢٣ م [= ٤١٤ هـ] رد فعل فى اشبيلية ، فقد تمرد سكان العاصمة على القاسم الحمودى وأخرجوه من بلدهم فالتمس له ملجأ باشبيلية التى كان بها ولداه مع حامية من البربر بقيادة « محمد بن زيرى » من قبيلة « ايفرن » ، ثم عمد بعدئذ الى اصدار أمره الى الاشبيليين باخلاء ألف بيت لتنزل فواته بها ، فاشتد استياء أهل اشبيلية وعظم تذمرهم منه ، لا سيما وأن جند القاسم الحمودى - وهم أفقر أبناء جنسهم - كانوا معروفين بين الناس بالسمة الشائنة وانهم من كبار اللصوص ، ولما أدرك الاشبيليون - من موقف قرطبة العاصمة - انهم قادرون على التخلص من النير الذى يرسفون فيه فقد حاولوا أن ينهجوا نهجا جديدا ، لكن لم يصددهم عن السير فى هذا الطريق الا خوفهم من الحامية البربرية ، غير أن قاضى المدينة - وهو أبو القاسم محمد - وكان من أسرة بنى عباد - وفق الى استمالة قائد تلك الحامية مهونا عليه الاستيلاء على اشبيلية فبادر « محمد بن زيرى » بالمجاهرة بالعصيان والوقوف الى جانب « أبى القاسم » ، ومن ثم تم التحالف بين القاضى وبين قيادة قرمونة البربرية ، واذ ذاك نهض الاشبيليون وامتشقوا السلاح وانضمت اليهم حامية المدينة ، وحملوا على أولاد القاسم وأحدقوا بالقصر •

ولما وصل « القاسم » الى اشبيلية وجدها قد أغلقت أبوابها فى وجهه ، فحاول استمالة أهلها اليه ومناهم بالوعود الجمة الخلافة ، لكن ذهبت محاولاته هذه كلها أدراج الرياح ، وأدرك الخطر العظيم المحقق بولديه ، فاضطر للاتفاق مع الاشبيليين فيخلى لهم بلدهم لقاء أن يردوا عليه ولديه فاستجابوا لعرضه حتى اذا اطمأنوا الى انسحابه اغتبنوا أول بادرة سمنحت لهم فطردوا الحامية البربرية (٣) •

حين استردت المدينة حريتها التأم شمل أربابها للنظر فى اقامة حكومة لهم الا أنهم لم يكونوا مطمئنين للخاتمة التى انتهت إليها ثورتهم ، فاستبد بهم الخوف من عودة « بنى حمود » الغاضبين وحينذاك لن يقصروا

عن انزال العقاب الشديد بالمنتزعين ، ولم يجرؤ أحد من أهل البلد على تحمل مسئولية ما جرى ، فأجمعوا أن يلقوا التبعة على كاهل القاضى الذى كانوا يحسدونه على ثرائه الطائل ، وخامرتهم الفرحة وان أحفوها وتطلعوا الى اللحظة التى تتم فيها مصادرة الأموال الكبيرة التى عنده (٤) .

حينذاك عرضوا الحكم على القاضى الذى كان أحكم من أن يقبل عروضهم فى تلك اللحظة بالذات رغم ما جبل عليه من الطمع السديد .

لم يكن القاضى أنيل المنيب رعم ثروته الطائلة التى بلغت ثلث أراضى اسبيلية ، الى جانب ما كان يتمتع به من احترام عظيم بفضل مواهبه وعلمه ، غير أن أسرته لم تكن قد بلغت ذؤابة الشرف الا منذ حين قريب ، وقد أدرك هو أنه لا بد من أن يكون تحت امرته فريق كبير من الجند والا قام الأشراف الموتورون فى اسبيلية بالنمرد عليه وهو الدخيل عليهم ، المحدث بينهم مما لا يمكن انكاره ، والواقع أنه قد حدث فيما بعد ان قام بنو عباد - حين أوشكوا على التربع على عرش الحكم - فأرجعوا نسبهم الى ملوك لحم القدماء الذين تولوا الحكم بالحيرة قبل ظهور الاسلام ، واذاك أخذ شعراء بلاطهم فى اهتبال كل فرصة للاشادة بهذا الأصل الزكى وان لم يكن هناك ما يؤيده على الاطلاق ، ولم يستطع بنو عباد - ولا متملقوهم - أن يقيموا البرهان على صحة ما يزعمون ، بل كان كل ما يربط الأسرة بملوك الحيرة القدماء هو انتماء الجماعتين الى قبيلة لخم اليمنية ، غير أن فرع تلك القبيلة - الذى زعموا انه قد خرج منه بنو عباد - لم ينزل الحيرة أبدا ، بل سكن العريش من تخوم مصر ، كما استقر بعضه فى كورة « حمص » من بلاد الشام (٥) ، ولم يستطع بنو عباد أن يرقوا بنسبهم حتى يلتقى بملوك الحيرة بل كل ما فى الأمر أنهم وصاوا به الى « أبى العطف نعيم » الذى كان قد وفد الى الأندلس برفقة « بلج » قائد جند حمص الذين نزلوا قرب اسبيلية ، ثم استقر أبو العطف فى قرية « يومين » من أعمال « طشانة » على شواطئ الوادى الكبير ، وقد ظهر من هذه الأسرة سبعة أجيال من الرجال الفضلاء المنصدين المجدين الذين عملوا فى هدوء وأناة على اخراج الأسرة من ماضيها المظلم ، وكان اسماعيل - أبو قاضينا هذا - أول من رفع مكان أسرته ، وهو الذى خط لاسم بنى عباد سطورا فى صفحة أشراف اسبيلية الذهبية (٦) .

ولقد جمع اسماعيل فى آن واحد بين الفقه والقضاء والسيف ، فقاد كتيبة من حرس هشام النانى ، ثم صار امام مسجد قرطبة الجامع ، ثم تولى قضاء اسبيلية ، وعرف بألميته وحكمته وصواب رأيه وصرامته ، وقرن ذلك كله بالصلاح والنقوى ، فلم يحدث قط أن قبل هدية من

السلطان أو أحد من الوزراء رغم اضطراب البلد اذ ذاك بالفساد الشامل .
كذلك كان كريما الى حد الاسراف ، فوجد القرطبيون المنفيون عنده
كرم الضيافة ، فلا جرم ان هو استحق لكل تلك الخلال أن يلقب بأنبل
رجال المغرب ، ثم مات سنة ١٠١٩ م [= ٤١١ هـ] أى قبيل الحقبة
التي نتكلم عنها بقليل (٧) .

ولعل ابنه القاسم كان ضريبه فى العلم وان لم يماثله فى المروءة ،
بل كانت تغلب عليه الأنانية ويتملكه الطمع ، ودل أول عمل له على الجحود
اذ ما كاد أبوه بموت حتى تطلع لولاية القضاء من بعده فى الوقت الذى كان
فيه هناك من يبرزه ويفضله ، وقد نجح فى تولي هذا المنصب الذى كان
يتطلع اليه بفضل ندخل الأمير قاسم (٨) بن حمود اذ كان كاتبه ، وسنرى
كيف كان تقديره لهذه المنة عليه وكيف كانت مجازاته اياها .

لقد عرض أولو الحل والعقد حكومة أشبيلية على « أبى القاسم »
الذى أدرك الدوافع التى حركتهم للاقدام على ذلك العمل ، فأبدى تمنا
فى قبول هذا الشرف العظيم الا بعد أن يضموا اليه جماعة يختارهم هو
بنفسه ليكونوا وزراءه ومشيريه حرصا على ألا يستبد بأى أمر وحده
وألا يقطع أمرا دون رأيهم ، فقبل الأشبيليون طلبه ازاء اصراره هذا ،
ثم سألوه أن يسمى لهم أولئك الزملاء الذين يريدون فسمى لهم طائفة
من أبرز الأسر أسال « الهوزنى » و « ابن حجاج » وغيرهما ممن يعدون
فى الواقع صنائعه ، أو ممن يميلون اليه أشباه « محمد بن يريم » من قبيلة
« ألهان » ، و « أبى بكر الزبىدى » اللغوى النابه الذكر مؤدب هشام (٩)
التانى .

ولما فرغ أبو القاسم من ذلك أخذ نفسه بتكوين جيش له انخرط
تحت لوائه فيه كثير من الجند العرب والبربر الذين تسارعوا الى صفه
بفضل إعطياته ، كما استترى عددا وفيرا من العبيد ودربهم على فنون
الحرب (١٠) .

كذلك جرد حملة الى الشمال قادها بنفسه ، ومن المحتمل أن يكون
قد ساهم معه فيها بعض الأمراء ، وتمخضت هذه الحملة عن زيادة جيشه ،
اذ حاصر فى هذه المرة حصنين يقعان الى الشمال من « بازو » يواجه
أحدهما الآخر ويقومان على يفاع من الأرض ويفصلهما عن بعضهما أحد
الأخوار ، ويعرفان بحصنى « الأخوين » ، وهو اسم لا يزال باقيا الى اليوم
فى التسمية المعروفة باسم « الأفوين » (١١) وكان ينزلها جماعة من
النصارى الاسبان ممن عقد أسلافهم معاهدة مع القائد موسى بن نصير
حينما فتح « بازو » . أما فى الوقت الذى نتكلم عنه فالظاهر أنهم لم
يكونوا يتبعون ملك ليون ولا أى أمير مسلم .

استولى القاضى [أبو القاسم] على هذين الحصنين وأرغم ثلاثمائة من المدافعين عنهما على العمل فى خدمته (١٣) ، فأصبح منذ ذلك الحين تحت امرته خمسمائة فارس ، وتوفر لديه عدد من الجند كان كافيا لشن الغارات على أراضي جيرانه (١٤) ، ومع ذلك كله لم يكن القاضى قد بلغ من القوة الدرجة التى تمكنه من الدفاع عن اشبيلية ضد أى هجوم جدى .

ولقد ثبت هذا للعيان سنة ١٠٢٧ م [= ٤١٨ هـ] حين قام الخليفة « يحيى بن على الحمودى » - أمير بربر قرمونة - ومحمد بن عبد الله بمحاصرة اشبيلية (١٥) التى كان أهلها أضعف من أن يقاوموا يحيى طويلا ، وما لبسوا أن شرعوا فى مفاوضاته وأعلنوا استعدادهم للدخول فى طاعته على ألا يدخل البربر المدينة ، فقبل يحيى شروطهم ، لكنه طلب منهم أن يسلموه بعض أبنائهم رهينة عنده دليلا على اخلاصهم فى صدق دعواهم ، فلب الذعر فى المدينة من جراء هذا الطلب ، وأنكر كل أسبيلي على نفسه أن يسلم ابنه للبربر الذين قد يقتلونه لأدنى شبهة تحتك فى صدورهم ، أما القاضى فكان هو وحده الذى لم يتردد فى الاستجابة فأسلم ولده « عبادا » الى يحيى [بن على] الخليفة الذى كان يعرف ما يتمتع به ذلك القاضى من سعة النفوذ ، فلا عجب ان قنع يحيى [بن على] بهذه الرهينة المفردة .

أدى هذا العمل المنطوى على الاخلاص الى زيادة محبة القوم للقاضى الذى أمن منذ ذلك الحين جانب الأشراف والخليفة على السواء ، وكان القاضى قد اعترف فى الظاهر بسلطان يحيى ، وتراى له أن الفرصة قد واثته للانفراد بالحكم .

كان القاضى قد صرف من مجلس المشورة بعض أنصاره كالحجاج والهوزنى ، ولم يبق معه سوى الزبيدى « وابن يريم » ، لكنه ما لبث أن صرفهما هما أيضا فنفى الزبيدى (١٦) ، وساق الحجابة الى رجل من أوشاب ضواحي اشبيلية اسمه « حبيب » ، وهو رجل متقلب وان كان ذكيا نشيطا شديد النفاقى لما فيه خير مولاه (١٧) .

وطمع القاضى بعدئذ فى بسط رقعة أملاكه بالاستيلاء على « باجة » التى قاست العذاب فى القرن التاسع من جراء الفتنة بين العرب والعلوج ، والتى أصابها النهب والدمار فى الأيام الأخيرة على أيدي البربر الذين انسابوا فيها يسلبون ويحرقون كل ما يصادفهم ، فعزم القاضى على تجديدها ، غير أن خبر ذلك المشروع تراسى الى سمع « عبد الله بن الأفتس » أمير بطليوس ، فأنفذ إليها الجند بقيادة ابنه محمد الذى خلفه وسمى « بالمظفر » .

لم يكد اسماعيل بن القاضى يقف أمام أسوار « باجة » على رأس جبتس أشبيلية وجيش « قرمونة » الذى كان حليف أبيه حتى كان جند « المظفر » قد تم لهم الاستيلاء عليها ، فبادر اسماعيل فى لحظته بمحاصرتها وشرع هو وفرسانه فى نهب القرى الواقعة بين « يابرة » والساحل ، وعلى الرغم من النجدة التى تسلمها محمد بن الأفطس من « ابن طيفور » أمير « مرتلة » الا أنه كان عائر الجند فقد فقد أحسن محاربيه ووقع هو ذاته فى أبدي أعدائه الذين بعنوا به الى « قرمونة » .

قوى ساعد القاضى وحليفه بما أحرزا من الانتصارات ، فلم يعد الأمر قاصرا على شن الغارات على نواحي « بطليوس » بل تجاوزتها الى أرباض قرطبة التى اضطرت حكومتها الى اصطناع بربر شدونة ، لكن لم تنقض فترة وجيزة حتى عقد الصلح - أو الهدنة - مع بنى الأفطس ، وحسبذاك أطلق سراح محمد من أسره برضاء القاضى وتم ذلك فى مارس ١٠٣٠ م [= ٤٢٢ هـ] .

مضى أمر قرمونة وأفضى الى محمد [بن عبد الله بن الأفطس] بأنه قد أصبح حرا ، وأشار عليه بالانطلاق الى أشبيلية ليشكر القاضى الذى كان محمد شديد المقت له ، فأبى ، ورد على البربرى أنه يؤثر البقاء فى الأسر على الذهاب الى هذا الرجل وشكره ، فلم يشأ أمير قرمونة أن يجرحه فى شعوره ولم يلج عليه فيما طلبه منه ، بل بعث به الى بطليوس مغطيا التعطش اللائق به .

وبعد ذلك بأربع سنوات ، أعنى سنة ١٠٣٤ م [= ٤٢٦ هـ] انتقم عبد الله من الأفطس لنلك الاهانات التى لحقته انتقاما بعيدا عن الشرف ، اذ أذن للقاضى أن تسير جنوشه بقيادة ولده اسماعيل عبر بلاده وهى ماضية فى اغارتها على مملكة ليون ، بيد أن اسماعيل لم يكد يصل الى ممر غير بعيد عن الحدود الليونية حتى فاجأه ابن الأفطس فهلك كثير من جند أشبيلية ، وقتل البعض منهم أثناء الفرار على يد الفرسان اللدنيين ، ونجى اسماعيل فى طائفة ضئيلة من رجاله من تلك المذبحة ، كما صادفوا أشد أنواع الحرمان وهم ماضون شطر مدينة « لشبونة » الواقعة على الحدود الشمالية من ممتلكات أبيه .

أصبح القاضى منذ ذلك الحين ألد عدو لأمير بطليوس (١٨) ، لكن ليس بين أيدينا تفاصيل الوقائع التى جرت بينهما بعدئذ ، ولا شك أنه لم يكن لهذه الواقعة من نتائج هامة فى تاريخ اسبانيا الاسلامية أكثر مما كان لحادثة أخرى ذات وجه آخر سنتكلم عنها حالا .

لقد قلنا ان القاضى اعترف بسلطان « يحيى بن على » الخليفة

الحمودى ، الا أنه كان اعترافا اسميا فقد استبد القاضى بالحكم فى
 أشبيلية دون أية رقابة عليه ، وكان يحيى أضعف من أن يحمله على
 مراعاة ما له من الحقوق عليه ، ثم أخذ هذا الوضع فى التغير بالتدريج ،
 اذ عمل يحيى على اجتذاب جميع زعماء البربر الى صفه ، وأصبح فى الواقع
 ضد ما كان عليه أولا ، اذ صار زعيم الحزب الافريقى بعد أن كان له من
 ذلك الاسم فقط ، ولما كان قد نصب معسكره العام فى « قرمونة » التى
 استنزل منها محمد بن عبد الله (١٩) فقد أخذ يهدد كلا من قرطبة
 وأنشبيلية على السواء (٢٠) .

أوحى شدة الخطر اذ ذاك الى القاضى بفكرة وطنية خطيرة لم يكن
 الطمع هو الباعث عليها ، ذلك أنه رأى ضرورة اتحاد العرب والصقالبة
 تحت قيادة زعيم واحد للحيلولة بين البربر - الذين توحدت صفوفهم -
 وبين معاودة فتح البلاد التى فقدوها ، وكانت هذه هى الطريقة الوحيدة
 المثللى للحفاظ على البلد وتجنب الأخطار التى قاساها من قبل .

كان القاضى يحس بضرورة تلك الوحدة فرغب فى تأليف عصابة
 كبرى تضم جميع خصوم الافريقين ، وطمع فى الوقت ذاته أن يكون هو
 رئيسها ، وان كان يدرك أن هناك عقبات جمة تعترضه لا بد له من
 خطيئها ، ذلك أنه كان يعرف أن كبار الصقالبة ووجوه العرب وأشرف
 قرطبة يرون فى توليته عليهم امتنانا لكرامتهم ومساسا بهم ، لكنه لم
 يدع أمثال هذه الاعتبارات تتغلب عليه مخافة أن يتسرب اليأس الى همته ،
 وكان يدرك أن الظروف أكبر معين له ، لذلك صمم أن يمضى قدما فى
 تحقيق مشروعه . وسنرى كيف تم له ذلك .



قلنا آنفا ان الخليفة المنكود - هشاما الثانى - كان قد هرب من
 قصره زمن حكومة سليمان ، وقلنا ان الدلائل تجمع على أنه مات فى آسيا
 مجهولا من الناس غير معروف لأحد ، الا أن الشعب كان شديد التعلق
 بالأسرة الأموية التى أتاحت له الرخاء والمجد ، فرفض أن يذهب مذهب
 القائلين بموت هذا الخليفة أو يصدق ما يشيعون ، بل أخذ يتلقف فى
 شره وشوق الاشاعات العجيبة المتعلقة بمصيره ، فظهر فريق من الناس
 حذفوا رواية التفاصيل الدقيقة عن رحلة هشام فى آسيا ، وزعموا فى
 بادىء الأمر انه سافر الى مكة حاملا معه كيسا من النقود والأحجار الكريمة ،
 غير أن حرسه السود اغتصبوه منه ، ففضى يومين وليلتين سويا لم تذق
 عيانه فيهما النوم ولا دخل طعام جوفه حتى قبض الله له أن يصادف
 خزاغا رآه فاشفق عليه وسأله : « أتحسن عمل الطين يا فتى ؟ » فقال :

« نعم ! » ، فقال الخزاف « ان تعجنه وافقتك على درهم وقرصة » ، فقال له هشام : « عجل القرصة فاني جائع !! » ،

وظل هشام مدة من الزمن يعمل عند الخزاف رغم عدم اتقانه الصنعة ، ثم ما لبث القلق أن تسرب الى نفسه ، وكان في غاية الفقر والاملاق ، فترك المكان وخرج حيث صادف قافلة كانت في طريقها الى فلسطين ، فانضم اليها ورافقها حتى بلغت بيت المقدس فأقام به ما شاء الله له أن يقيم هناك ، حتى جاء يوم كان يتجول فيه في طرقاتها فتوقف أمام دكان حصرى منهمك في عمله فسأله الحصرى : « كأنك تحسن هذه الصناعة » فقال : « لا » فقال الحصرى : « هل لك أن تقيم عندي تناولني الحلفاء وأجعل لك أجرة على ذلك ؟ » فقبل هشام عرضه مسرورا ، وعمل حتى أتقن صناعة الحصر ، وانقضت عليه بضع سنوات وهو مقيم حيث هو ثم عاد بعدها الى اسبانيا (٢١) في مايو ١٠٣٣ م [= ٤٢٥ هـ] فذهب الى « مالقة » (٢٢) ثم هضى الى « المرية » عام ١٠٣٥ [٤٢٧ هـ] ، غير أن الأمير زهيراً ما لبث أن أخرجه من بلاده فمضى الى قلعة رباح وأقام فيها (٢٣) .

وعندنا أن هذه القصة التي آمن الشعب بها كل الإيمان وصدقها العامة كل التصديق لا تصح في الأذهان مطلقا ، وأن حقيقة الأمر تتلخص في أنه في الوقت الذي كان يحيى يهدد فيه أشبيلية وقرطبة كان يوجد بقلعة رباح حصرى اسمه « خلف » ، شديد النسبة بهشام ، وإن لم يكن ثم ما يؤكد أنه هو الخليفة ذاته ، حتى ان الموالى الأمويين وفيهم المؤرخان ابن حزم وابن حيان ممن يهمهم الاعتراف بهشام المزعوم أنكروا أشد الانكار ما يقوله القوم وسموه بالخديعة الكبرى .

على أية حال استندت المطامع بخلف [الحصرى] حين أكثر الناس في أحاديثهم عن شدة شبهه بهشام الناني ، كثرة أدت به الى أن يدعى أنه هو السلطان ، وصدقاه أهل « قلعة رباح » لجهلهم جميعا أصله ، والأعجب من ذلك أنهم ولوه عليهم وثاروا على أميرهم « اسماعيل ابن ذى النون » أمير طليطلة الذي نهض اذ ذاك لحصارهم فلم يقاوموه طويلا ، واضطروا الى اخراج « هشام » المزعوم من بلدهم والعودة الى طاعة مولاهم القديم (٢٤) .

الا أن دور خلف لم ينته بل بدأ من جديد ، اذ ما كاد قاضى أشبيلية يسمع بخبر عودة هشام حتى شرع يفكر فيما قد يستطيع الانتفاع به من هذا الرجل لو أنه استقدمه الى أشبيلية ، ولم يكن يعنيه قيد شعرة أن يكون « خلف » هذا هو هشام الناني نفسه أم غيره ، بل كان كل ما يرجوه أن يكون الشبه بينهما قويا جدا حتى لا يلقي هو عشاء في

الزعم بأنه الخليفة الراحل ، واذ ذاك يسهل عليه تأليف عصبة باسمه لمقاومة البربر ، وهى العصبة التى يصبح القاضى عصبها ومحركها باعتباره وزير الخليفة ، ومن ثم استدعى الدعى للإقامة فى أشبيلية ووعده بمساعدته ان ثبت ما يقوله من أنه هو هشام النانى .

لم يتوان الحصرى عن المبادرة بالذهاب الى أشبيلية حيث عرضه القاضى على حريم هشام ، ولما كن قد لقن ما سوف يقلنه فقد انعقد اجماعهن على أن هذا الرجل هو الخليفة السابق نفسه ، وحينذاك ركن القاضى الى شهادتهن وكتب الى مجلس المشورة بقرطبة والى شيوخ العرب وزعماء الصقلية يعلن اليهم وجود هشام عنده ويدعوهم لامتشاق السيف تأييدا لحقه (٢٥) .

وأتت هذه الخطة خير النتائج فقد اعترف بهشام وسلطانة كل من محمد بن عبد الله أمير قرمونة المخلوع الذى ألقى عصا التسيار بأشبيلية (٢٦) وعبد العزيز أمير بلنسية و « مجاهد » أمير « دانية » والجزائر الشرقية وأمير طروشة (٢٧) .

واشتدت حماسة أهل قرطبة حين علموا بأن هشاما لا يزال حيا يرزق ، غير أن أميرهم أبا الحزم [جهور بن محمد] بن جهور لم يصدق ما زعمه القوم ، وكان حريصا على ألا يفلت الأمر من يديه فلم يخدع بما أرجف به الناس ، لكنه أدرك ألا قبل له بمقاومة ارادة الشعب ، ورأى ضرورة اتحاد العرب والصقلية تحت رياسة أمير واحد ، لكنه خاف أن يعاود البربر مهاجمة قرطبة ، ومن ثم لم يعارض رغائب مواطنيه وسمح للقوم فى نوفمبر ١٠٣٥ م [= ٤٢٧ هـ] بتجديد البيعة لهشام (٢٨) .

فى هذه الأثناء كان الحزب العربى الصقلية يدعو فى كل مكان الى حمل السلاح ضد يحيى الذى كان يحاصر اذ ذاك أشبيلية مخربا ما حولها ، والذى أجمع عزمه على انزال أشد الانتقام بهذا القاضى الداهية ، وكان يحيى فى محيط من الخونة اذ كان بربر قرمونة الذين حملهم على الانخراط تحت لوائه شديدى التعلق بأميرهم السابق فكاتبوه ، ثم عمد بعض أولئك البربر فى شهر أكتوبر ١٠٣٥ م [= ٤٢٧ هـ] الى التسلل خفية الى أشبيلية فلما بلغوها أفضوا الى القاضى والى الأمير محمد بن عبد الله أنه من اليسر عليهما مباغته الأمير يحيى لأنه لا يفيق من سكره ، وفى الحال عزم القاضى وحليفه على اغتنام هذه الفرصة حيث خرج اسماعيل ابن القاضى على رأس الجيش الاشبيلية وفى صحبته محمد بن عبد الله ، ولما أرخى الظلام سدوله بقى هو ومعظم جنده فى مخبأ بعيدين عن الأعين ، وأنفذ كتيبة للزحف على « قرمونة » مؤملا اخراج يحيى من القصر .

ونجحت خطة اسماعيل فقد كان يحيى منصرفا الى الشراب حين أخبروه بقدوم الأنشيليين ، وسرعان ما غادر مجلسه قائلا : « وابيض بختى ... الليلة ابن عباد زائرى » . ثم دعى رجاله لحمل السلاح فاستجاب القوم لأمره وما لبث أن خرج من المدينة مستصحبا ثلاثمائة فارس ، واشتدت به الحميا فكر بختة على الأعداء دون أن يرتب صفوفه للقتال ، فلم يستتب الأشباح فى الظلمة .

أدى هذا الهجوم الفجائى الى شىء من الاضطراب فى صفوف الأنشيليين ، الا أنهم استنبسوا فى صده ، حتى اذا اضطروا الى الارتداد تقهقروا شطر الناحية الموجود بها اسماعيل ، واذاً ذلك غطى الحين على بصر يحيى فقد انقض عليه اسماعيل بمن معه من نصارى « الأخوين » وقضوا على أعدائهم ، وكان يحيى نفسه بين القتلى ، وما كان لمعظم رجاله الا أن يشاطروه مصيره لو لم يحل محمد بن عبد الله دون ذلك فقد التمس من اسماعيل الأبقاء على أولئك التعساء قائلا له ان أغلبهم من بربر قرمونة الذين أكرهوا على العمل فى خدمة ذلك الطاغية .

نزل اسماعيل على رجائه وأمر رجاله بالكف عن تتبعهم ، ولم يكده هذا الأمر يصدر حتى اعتلى محمد بن عبد الله صهوة جواده وخب به قاصدا قرمونة لاسترداد امارته ، فأراد سودان يحيى الذين استولوا على أبواب المدينة منعه من دخولها الا أنه استطاع بمعونة الأهالى من اقتحامها من عورة فى السور ودخل قصر الأمير يحيى ، وأباح نساءه لأبنائه ، واستحوذ هو على جميع ما بالقصر من مال ومتاع ، وقد تم ذلك كله فى نوفمبر ١٠٣٥ م . [٤٢٧هـ] .

طغت على قرطبة موجة من الفرح حين ذاع خبر هلاك يحيى ، كما سجد القاضى لله شكريا حين تناهى اليه هذا النبأ ، وفعل فعله جميع من كانوا حوله اذ ذاك ، اذ لم يعد ثم شىء يخنساءه الناس من جانب بنى حمود (٢٩) .

غير أن أهل مألقة استخلفوا عليهم ادريس أخا يحيى ، لكن الوقت كان أقصر من أن يمكنه من استمالة زعماء البربر اليه بالعطايا والعهود ، وعجز عن أن يخضع الجزيرة الخضراء التى بايع العبيد السود فيها أخاه محمدا بالخلافة (٣٠) ، فلما رأى القاضى أن الظروف موالية له أراد أن يقيم هو وهشام الثانى المزعوم فى القصر الخليفى بقرطبة لولا اصرار ابن جهور على ألا يدع الحكم له اذ نجح فى اقناع مواطنيه بأن الخليفة المنسوب ليس الا دعيا أفاقا ، كما أبطل ذكر اسم الخليفة هشام الثانى من الصلاة العامة ، ومن ثم وجد القاضى أبواب المدينة مغلقة فى وجهه حين بلغها ، واضطر للرجوع من حيث جاء لقلّة من تحت يده من الجند اللازم لاختضاع مثل هذه المدينة العظيمة (٣١) .

صمم القاضي اذ ذاك على قتال الأمير الصقلي الوحيد الذي أبى الاعتراف بهشام الثاني وهو « زهير » أمير المرية الذي كان أميل بطبيعة الحال الى ابن حمود ، وذلك بفضل الخليفة القاسم الذي أراد استمالة العامريين اليه فأقطعهم الاقطاعات الجمّة ، فلما نودى بادريس خليفة بادر الى الاعتراف (٣٢) به زهير الذي لما رأى أنه مهدد بالخطر من ناحية القاضي حالف « حبوسا » الغرناطى ثم خف على رأس رجاله ورجال حليفه لصد الجيش الأشبيلي الزاحف عليه ، وأرغمه على الارتداد (٣٣) .

ومن الجلى أن القاضي قد أفرط فى النقة بقواته ، وكان يخشى اللحظة التى تقوم فيها جيوش المرية وغرناطة هى الأخرى بدورها فتغزو مقاطعة أشبيلية .

ويشاء حسن طالعه ويمن نجمه أن تساعده المقادير التى كانت فى خدمته على الدوام فخلصته من عدويه واحدا أثر الآخر .

الفصل الثامن

الصراع بين صمويل اليهودى وابن عباس

الكلام عن صمويل بن لبى اليهودى وكفائه • استقدمه للكتابة
بديوان حبوس فى غرناطة بعد موت الوزير أبى القاسم • ارتقاؤه الى
مرتبة الحجابة وثناء الناس عليه • صفات صمويل وخدماته لليهود •
ابن عباس وزير أمير المرية يفار منه ويحقد عليه • كراهية ابن عباس
للبربر • باديس بن حبوس يخلف أياه • ابن عباس يفسد ما بين غرناطة
والمرية ويرفض نصيحة بلجين البربرى فى اصلاح ذات البين • الحرب
بين غرناطة والمرية ووقوع ابن عباس فى أسر حبوس وسجنه ثم مقتله •
فرحة صمويل بزوال ابن عباس •

الصراع بين صمويل اليهودى وابن عباس

كانت مقاليد الأمور فى غرناطة والمرية أثناء الحقبة التى نتكلم عنها فى يد رجلين يتنازعان الشهرة ،، وان انطوى صدر كل منهما على المقت الشديد للآخر ، وأعنى بهما ابن عباس العربى وصمويل اليهودى .

فأما « صمويل هاليقى » الربانى المعروف « بابن نغديلة » فقد ولد بقرطبة ودرس بها التلمود على يد الربانى « هنج » حاخام الطائفة اليهودية بها ، كما اهتم بدراسة الأدب العربى وألم بمعظم علوم الوقت اذ ذاك ، وأصاب حظا عظيما من كل ذلك ، ولم يكن بم ما يشغله بعد هذا سوى حانوت عطارة صغير افتتحه أولا فى قرطبة ثم انقل الى « مالقة » التى نزح اليها بعد استيلاء بربر سليمان على العاصمة . وظل مقبلا بها حتى واتته الفرصة السعيدة فانتشلته من هذا العمل التافه .

كان حانوت هاليقى على كنب من حصن تابع لأبى القاسم بن العريف وزير حبوس ملك غرناطة ، وكثيرا ما كان أهل تلك الناحية - وهم أميون - يكتبون الى مولاهم فكان لابد لهم من التردد على صمويل لكتابة رسائلهم التى كانت تنال اعجاب الوزير لما هى عليه من روعة البلاغة والاناقة اللفظية ، تعطرها زهرات البيان العربى .

وحدث أن قدم الوزير الى مالقة واغتنب الفرصة واستفسر من أهلها عن يكون محرر هذه الرسائل فلما عرف أنه ذلك اليهودى استقدمه إليه وقال له :

« ما يليق بك المقام بالحنوت ، انما مقامك ومكانك عند أقدام سرير الملك ، أستكتبك فتكتب !! » .

واستجاب له صمويل ، واصطحبه الوزير معه الى غرناطة حين رجع اليها ، وازداد تقدير ابن العريف له ، وما تباحت معه فى شأن من شئون الدولة الا تكتسفت له فيه نواح من الذكاء النادر فى الحكم الصحيح على الرجال والأعمال ، كما تبدى له صدق نظرتة ، حتى ليقول أحد المؤرخين اليهود « ان جميع ما يصدر عن صمويل من الآراء يبدو وكأنه الهام » ، ومن ثم كان الوزير دائم الأخذ بآرائه والثناء عليها ، فلما أقعده المرض وشعر بدنو أجله قال لمولاه الذى خف لزيارته وقد أوقع فى يده اذ لم يدر

الى من يعهد بالوزارة ان وافقت ابن العريف المنية وهو الوزير المخلص
حقا له :

« ليس ما عهدت عندي من الرأي برأىي يا مولاي ، انما أنا فيه
تبع لكاتبى صمويل اليهودى ، فاجعله قبلتك يكن لك وزيرا وأبا حنونا ،
وليساعدك الله » .

ونزل الملك حبوس على مشورة وزيره واستقدم صمويل الى القصر
واتخذه كاتباً ومشيراً (١) .

ربما لم يحدث فى أية اماره أخرى ما حدث فى هذه الامارة من أن
يباشر الوزارة رجل من اليهود ، وأن يلقب بالوزير والمشير ، على الرغم
من أنه طالما حظى اليهود بالقرب من بعض الحكام المسلمين الذين كانوا
يؤثرون أن يكلوا اليهم ادارة الشؤون المالية على وجه الخصوص ، لكن
لم يحدث قط أن بلغ التسامح الى الدرجة التى يוכל فيها منصب الحماية
الى أحد اليهود ، فان صبح ذلك فلا يصح الا فى غرناطة التى كانت زاخرة
باليهود حتى لقد تألف الناس على تسميتها « بمدينة اليهود » (٢) الذين
طالما تدخلوا فى شئون الدولة ، يساعدهم على ذلك ما هم عليه من الثراء
والقوة البالغة ، ومجمل القول انهم وجدوا فى غرناطة أرض المعاد أو على
الأقل « من الصحراء والسلى وصخرة حوريب » .

كذلك يمكن تفسير اوتقاء صمويل بطريقة أخرى تلك هى أنه لم
يكن من اليسير على ملك غرناطة أن يجد له حاجبا ، فالواقع أنه كان
لا يستطيع أن يكل هذا المنصب الخطير الى أحد من البربر أو العرب لأن
القوم فى تلك الأيام كانوا يميلون لأن يكون الوزير أديبا كبيرا حتى يضع
الرسائل التى يبعث بها الأمير الى غيره من الأمراء ، وكانت تكتب فى نثر
مسجوع وبأسلوب بالغ الروعة ، وكان ملك غرناطة أشد القوم اهتماما
بالكفاءات التى من هذا القبيل ، وهو فى ذلك يشبه رجلا قد وافته النعمة
على كبر وعلى غير انتظار فحاول أن يظهر بمظهر العظيم . ولما كان حبوس
نصف بربرى فقد عمل كل جهده على اخفاء تلك الناحية فيه ، فراح
يشجع الأدب ، ويظهر الميل اليه والى الأدباء ، ثم ادعى بأن الأمة التى
خرج منها - وهى صنهاجة - ليست بربرية بل هى عربية (٣) النبعة ،
ومن ثم بذل غاية وسعه للبحث عن وزير لا يقل عن وزراء جيرانه .

لكن أنى له به ؟ وكيف يجده ؟ .

ان قومه من البربر يحسنون القتال ويجيدون الاستيلاء على المدن
ولا يجارون فى تخريبها وتدميرها ، لكنهم عاجزون عن كتابة سطر واحد

صحيح بلغة القرآن ، كما أنه هو نفسه لا يستطيع أن يعهد بالوزارة الى العرب الذين كانوا لا يرون عارا أن يخونوه ويسقطوه .

اذن يحق لحبوس - فى هذه الظروف - أن يعد نفسه قد حصل على كنز ثمين اذ أتيج له أن يجد رجلا - وان يكن يهوديا مثل صمويل - يشهد له علماء العرب أنفسهم بتمكنه غاية التمكن من لغتهم الرائعة ، ثم انه - مع عطفه الشديد على أبناء ملته - لم يخطئ القصد مطلقا وهو يكتب الى المسلمين اذ كان يكثر من اقتباس العبارات الدينية التى ألفوا استعمالها (٤) ، لذلك لم يجد حبوس غضاظة فى رفعه الى مرتبة الحجابة ، بل ان العرب أنفسهم زكوا هذا الاختيار واعترفوا - على الرغم منهم - بأنه من ذخائر العبقريات .

والحق أنه كان غزير العلم ، واسع المعرفة ، ملما بالرياضة والمنطق والفلك (٥) ، متقنا لما لا يقل عن سبع (٦) لغات ، أضف الى هذا مبالغته فى العطف على الشعراء وأهل الأدب عامة ولم يقصر عن مدهم بعمائمه جزاء مدحهم اياه والاشادة به ، حتى لقد قال فيه الشاعر المنفلت الأبيات التالية التى لا يذكرها المسلمون الا متبرئين منه ومستعيزين بالله ، ومنها قوله :

أجامع شمل المجند وهو مشئت
ومطلق شخص الجود وهو من الأسرى

فضلت كرام الناس شرقا ومغربا
كما فضل العقيان بالخطر القطرا

وان فرقوا بين الضلالة والهدى
لما قبلوا الا أناملك العشرا (٧)

أما الأمر الذى عجز العرب عن ايفاء صمويل حقه فيه فهو خدماته التى أداها للأدب العبرى ، وهى خدمات جليلة ، فقد وضع مقدمة للتلمود وألف اثنين وعشرين كتابا فى النحو ، كان من أوسعها انتشارا وأبرزها كتاب « الكنز » الذى عده أحد من لهم القول الفصل فى هذا الموضوع وكان على دين صمويل وعاش فى القرن الثانى عشر - أقول انه اعتبر كتاب « الكنز » هذا فوق جميع الكتب التى تبحث فى النحو .

كذلك كان صمويل شاعرا حاكى المزامير وأمثال سليمان وسفر الجامعة وبعض أسفار التوراة ، ولما كانت تلك الأشعار تزخر بالكنايات والأمثال الغريبة والاصطلاحات والتعابير النادرة المقتبسة من الشعراء القدماء فقد كانت صعبة الفهم حتى ان كثيرا من أعظم علماء اليهود كانوا

لا يستطيعون ادراك مراميها دون الاستعانة بالشروح (٧) ، لكن كان التخصص والبحث اذ ذاك شائعين في الأدب العبرى كما هو الحال في الأدب العربى الذى اتخذه صمويل مثالا يحتذيه وكان الغموض يعد اذ ذاك حسنة أكثر مما يعد عيبا .

كذلك كان صمويل يعطف عطفًا أوبيا على شباب اليهود الباحثين فبسط يده للمملقين منهم بما يكفيهم ، واستخدم جماعة من الكتاب ينسخون له « المشنا » و « التلمود » وراح يهب هذه المخطوطات الى الطلاب العاجزين عن شرائها ، ولم تقتصر أفضاله على أبناء دينه من الاسبان وحدهم بل شملت أيضا من كان فى افريقية وصقلية وبيت المقدس وبغداد وغيرها من اليهود الذين عاشوا على رفده وعطاياه (٨) ، وأراد يهود ولاية غرناطة تقديم الدليل على تقديرهم اياه واعترافهم بفضلته فخلعوا عليه سنة ١٠٢٧ م [٤١٨ هـ] لقب « نعيد » أى زعيم أو أمير يهود غرناطة .

ولما كان صمويل رجل دولة فقد جمع الى راحة العقل وجلائه : الحزم والبصيرة النافذة ، وكان من عاداته - شأن السياسى - أن يتكلم قليلا ويفكر طويلا ، واستفاد من جميع الظروف اسفاده عجيبة ، فكان كلما بطابع الناس وميولهم وبالطرق التى يسلكها للتغلب عليهم وعلى شروهم ، وكان الى جانب هذا أيضا رجل دنيا ، فاذا كان فى أبهاء قصر الحمراء الرائعة بدى فى غاية الرقة حتى ليحسبه الناظر اليه أنه ولد فى مطارف النعيم ، فلم يكن ثم من يجاريه ذلاقة لسان فى ادارة دفة الحديث ، أو يساؤه فى اللطف ، أو يبلغ مبلغه فى الرقة وحلاوة الكلام ، أو يجاريه فى اجتذاب محدثه اليه بفصل قريحته الوقادة وحججه القوية الناصعة .

ثم ان هناك أمرا نادرا عند من دفعهم الحظ الى ذروة الرفاهية والمرتبة السامية ، ذلك أنه لم يكن عند صمويل ما قد يكون عند أرباب النعمة الجديدة من التعاطف والغطرسة والزهو الأحق ، وقد بلغ صمويل ما بلغ من المكانة عن استحقاق وذلك نتيجة حتمية للطف معشره وقربه من نفوس الجميع وبعده التام عن التعالى .

أضف الى ذلك أنه لم يخجل من وضعه الأول ، ولم يعمد الى اخفائه ، بل كان يشير اليه فى اعتزاز ويعلنه فى بساطة الى من يعيبه (٩) .

وأما ابن عباس - وزير زهير أمير المرية - فكان هو الآخر رجلا بارزا ، ويقال انه امتاز بأمر أربعة لم يبرزه فيها أحد ما ، تلك هى : الكتابة والمال الوفير والبخل المتناهى والعجب الشديد .

والنابت أن ثروته بلغت من الضخامة مبلغ الخيال ، اذ أربت على ثلاثة آلاف ألف دينار ، وقد أسرف فى تأثيث قصره تأثيثا هو بالأمراء

اليق ، فكان غاصا بالخدم ، تضم حجراته خمسمائة جارية كلهن من ذوات الجمال النادر ، لكن أعظم ما يعجب به المرء هو أنه كان عند ابن عباس مكتبة ضخمة تضم رفوفها أربعمائة ألف كتاب ، هذا الى جانب عدد جم من الدفانر والكراسات .

ولم يكن ينقص ابن عباس شيء من السعادة فكان جميلا ، في مبة الشباب لا يجاوز الثلاثين ربعا ، وكان شريف المولد اذ هو أنصارى الأصل ، وكان يتقلب في مطارف النعمة ، ويترجم عما يريد في لفظ يسيل رقة وبلاغة ، فذاعت بين الناس شهرته الأدبية الا أنه لسوء طالع له لازمه الغرور الذى لم يكن له حد ولا نهاية مما أدى الى كثرة أعدائه ، وكان القرطبيون على الأخص ألد الكارهين له ، اذ حدث فى ذات مرة أن قدم مع زهير الى بلدهم فعامل أبرز رجالهم وأشرفهم أرومة وأرفعهم مكانة معاملة تنطوى على الزراية بهم والتحقيق ، فلما حان وقت رحيله قال لهم : « ما رأيت بقرطبة الا سائلا أو جاهلا » .

ومن المحقق أن غروره قارب الجنون حتى لقد قال فى بعض قصائمه ما معناه انه لو كان جميع الأنام عبيدا له لتمنى ما فوق الجوزاء فان بلغها استقلها .

كما نظم البيت التالى الذى كان دائم التردد له كلما جلس يلعب الشطرنج :

عيون الحوادث عنى نيسام وهضمى على الدهر شيء حرام

غير أن هذا التحدى المعيب للقدر أثار غضب أهل المرية على بكرة أبيهم فقام أحد الشعراء الجريئين وترجم عن رأى الناس فقلب الشطر الثانى من البيت وقال : « سيوقظنا قدر لا ينام » .

ولما كان ابن عباس عربيا خالصا فقد كان شديد الكراهية للبربر عظيم الازدراء لليهود ، ولعله كان لا يود عن صدق أن ينضم مولاة الى العصبة العربية الصقلبية لأن ذلك سوف يؤدى الى أن يصبح زهير فى المرتبة الثانية بعد قاضى أشبيلية رئيس تلك العصبة ، وكان أشد ما يثير ضيق ابن عباس أن يرى مولاة يحالف بربريا استوزر له رجلا من اليهود يكرهه ، لذلك اتفق مع ابن بقنة (١٠) - وزير آل حمود - بمالقة على القضاء على صمويل ، فافتري عليه كثيرا من الوشائيات لكنها لم تبلغه غايته ولم تحقق له اربته ، واذا ذاك حاول التضريب بين مولاة وبين ملك غرناطة بأن سألته النهوض لمعونة محمد أمير قرمونة عدو حبوس ، وجازت عليه الحيلة .

لكن لم يلبث حبوس أن قضى نحبه في شهر يونيو ١٠٣٨ م
 [= ٤٣٠ هـ] تاركا وراءه ولدين أكبرهما « باديس » وثانيهما « بلجين » ،
 فمال البربر وفريق من اليهود لاستخلاف الأخير مكان أبيه ، على حين
 رغب العرب وبقية اليهود - ومنهم صمويل - في أن يؤول الحكم الى
 باديس بن حبوس ، وكادت الفتنة أن تشب بين الجانبين لو لم يبادر بلجين
 بالتنازل لأخيه عن العرش من تلقاء ذاته ، واقتدى به أتباعه فبايعوا
 منله أخاه (١١) مثلما بايعه هو .

وبذل الأمير الجديد قصارى جهده في إعادة التحالف مع صاحب
 المرية الذي أعلن في النهاية أن سيتم الاتفاق على كل شيء عند اللقاء .

وخرج زهير في موكب ضخم رائع ووصل فجأة أمام أبواب غرناطة
 دون أن يستأذن صاحبها في عبور بلاده ، فكان عملا كريها أسخط
 « باديس » لكنه كظم سخطه وبالح في الترحيب بأمير المرية وأوسع على
 من معه في القرى والضيافة وخلع عليهم الخلع الجمة ، الا أن المفاوضة
 لم تفز الى شيء ما ، اذ لم يصل الأميران ولا وزراؤهما (وكان صمويل
 لا يزال في الوزارة) الى اتفاق ما ، أضف الى ذلك أن زهيراً كان تحت
 تأثير ابن عباس ومن ثم تعالى « باديس » تعاليا جرح كبرياءه ، لذلك فكر
 ملك غرناطة في القصاص من أمير المرية جزاء سفهه لولا أن قام أحد
 ضباطه واسمه بلجين أيضا وحاول المحاولة الأخيرة في تهدئة الأمور
 واستقرارها واصلاح ذات البين فتسربل بالظلام ومضى الى ابن عباس
 وقال له :

« اتق الله وصاحبك منقاد اليك ، وقد تعرفنا في تألفنا البركة .

« وقدر بيننا مثل هذه النعمة التي كثر عليها حسادنا .

« ما الذي غرركم من ابن عبد الله حتى تقاطعوننا في رضاه ؟

« فاجيبوا أميرنا الى ما دعاكم اليه من الألفة » .

فرد عليه ابن عباس رد المستخف الهازيء بما يقوله .

ولما حاول البربري استمالته بتقبيله والبكاء بين يديه قال له
 ابن عباس :

« دع القعقة فليست تهولنا ، وكلامي لك الليلة مثل كلامي لك
 بالأمس والله لا نزلتم الا على رضانا والا أعقبكم على ذلك ندامة » .

فتميز بلجين البربري غيظا من قوله هذا وسأله : « يا هذا أو أرجع
 للجماعة فأحمل إليها ما تقول ؟ » .

فأجابه ابن عباس : « نعم ، وزد فيه ما شئت » .

وانصرف [الضابط البربري] بلجين وقد استفزه الحق وتملكه الغضب وانقلب الى باديس ومشيعته فأخبرهم بما كان بينه وبين الوزير وصاح : « يا صنهاجة ٠٠٠ والله هذه احدى الكبر ، قوموا لدفاعها بالقوة والا فليست داركم !! » .

وشاركه أهل غرناطة حنقه ، وكان أشدهم تسعرا فى الغيظ بلجين أخو باديس ، الذى راح يزيد ضرام الحقد فى نفس أخيه وألح عليه أن يبادر الى اتخاذ ما ينبغى اتخاذه من اجراءات عنيفة لتأديب أهل المرية ، فوعده أخوه باديس بتحقيق سؤاله .

واذ كان لابد لزهير - وهو منكفىء الى بلاده - من أن يمر على كثير من الأوعار ، كما لم يكن ثم محيص له من عبور قنطرة « البونت » المسماة باسم البلدة المجاورة لها فقد أمر « باديس » بقطعها وأرسل رجاله لاحتلال الإحراج ، لكنه لما كان لا يحقد على زهير حقد أخيه عليه فانه لم يقطع الأمل بعد فى عودة صديق أبيه القديم الى ما كان بينهما من الحلف والمصافاة بدلا من الخلف والمعاداة ، وأجمع على أن ينفذ فى السر من يحذر زهيرا بالخطر الكامن له ، ومن ثم وسط ضابطا بربريا ممن يعمل فى جيش المرية ، فمضى ذلك الفارس ليلا الى زهير وقال له :

« أطعنى وقلدنى عارها وهون على نفسك هذا الحزن وخل عنها ، وتقدم الى قوادك الليلة فى الارتحال معك سرا ، واتخذ الليل جملا ، فلعلك تجاوز هذه الأوعار فتخرج من الورطة ، فان القوم متى تبعوك فيها دخلوا من التفرير فيما خرجت عنه ، وتهيا لك العطف عليهم بمجال فسيح يمكنك القتال فيه والتعلق ببعض حصونك » .

والظاهر أن زهيرا لم يجد غضاضة فى الأخذ بهذا الرأى لولا أن صاح به ابن عباس وكان حاضرا المجلس قائلا « هذا وسواس أدخلك فيه الذعر ! » ، فأجابه الفارس : « المثلئ تقول هذا وقد نيفت على عشرين وقعة ٠٠٠ وأنت ما قرعتك قط وعوعة ؟ ستعلم عاقبة أمرك !! » ، ثم خرج مغضبا حانقا .

علم المتربصون لابن عباس - وهم كثر - ما كان من نبذه مشورة الفارس البربرى ، ولم يكن نبذه اياها عن اعتقاد فى خطئها بل لطعمه فى أن يلقي زهير مصرعه اذا تشب القتال ، وقالوا ان ابن عباس كان يطمع فى حكم المرية ومن ثم رغب أن يلقي « زهير » حتفه فى محاربته الغرناطين ، وحينذاك ينجو ابن عباس بنفسه وينفرد بامارة المرية .

وليس من المستبعد أن يكون لهذا الاتهام نصيب من الصحة وسنرى

فيما بعد ابن عباس يمن على باديس بأنه نصب الشرك لزهير وأوقعه .
قبحه .

على أية حال أحدثت قوات غرناطة في صباح ٣ أغسطس ١٠٣٧ م [٤٢٩ هـ] بزهير فاستولى الذعر على جنده أما هو فلم تطر نفسه شعاعا بل راح يرتب من معه من السودان للقتال وكانوا زهاء خمسمائة رجل، وضم اليهم الأندلسيين ، ثم أمر قائده ، هذيل [الصقلي] بالتهوض مع الفرسان الصقالبة ومهاجمة العدو ، فاستجاب له هذيل ، لكنه لم يلبث أن سقط عن جواده وربما كان ذلك من طعنة أردته عن صهوته ، أو من كبوة كباها حصانه ، فابتدع أصحابه وانهزموا وهم في أشد حالات الفوضى .

في هذه اللحظة بالذات غدر « السودان » بمولاهم زهير الذي كان شديد الثقة بهم وانضموا الى العدو بعد أن نهبوا خزانة سلاح مولاهم الذي لم يبق الى جواره سوى الأندلسيين الذين كانوا على وجه العموم أسوأ الجند ، فما لبسوا أن فروا ، وفعل زهير فعلهم ان طوعا أو كرها ، ولما كانت قنطرة « البونت » مقطوعة وقد سد العدو الأوعار فقد انطلق الهاربون الى الجبال رجاء الاعتصام بها ، لكن تخطفت سيوف الغرناطين معظمهم أنى تقتلهم ، ولقى غيرهم حتفهم في شعاب وعرة وكان ممن قتل « زهير » ذاته .

وسبق جميع الموظفين المدنيين الى الأسر ، فأمر « باديس » بالابقاء عليهم وكان من بينهم ابن عباس ، الذي لم يكن ثم ما يخشى عليه ويضطرب من أجله سوى كتبه ، فدأب على الصياح استفسارا عما حل بها ، ثم التفت الى الجند الماضين به الى باديس وقال لهم :

« الله الله في حولتى ... قولوا لمولاكم باديس يحتاط عليها حتى لا تنخرم فان فيها دفاتر لا كفاء لها » .

فلما منل في حضرة باديس قال مبتسما « يا أبا مناد ، أرايت أى كاس أدرتها لك على هؤلاء الكلاب ؟ » ، وأشار بأصبعه الى الصقلب ، ثم تابع كلامه قائلا :

« أريد أن تتقدم الى في حفظ دفاترى فانها أهم ما على !! » .

كان الأسرى من أهل المرية في أثناء كلامه هذا ينفضونه بعيون ترميه بنسر الغيظ منه والسخط عليه ، فصاح أحدهم - وهو القاضى ابن شبيب - موجعا الكلام الى باديس : « يا حاجب : بالذى نصرك لا يفوتك هذا الفاعل الزارى بالخليفة فما جر ما تراه سواء ، وليتني عاينت حتفه ولا أبالي . الموت بعده » .

فتبسّم باديس وأمر بإطلاق سراح القائد فكان هو - بين الفرسان والقواد - الرجل الوحيد الذى أبقى الصنهاجى على حياته ، أما من سواه فقد قتلوا جميعا .

بيد أن ابن عباس كان الرجل الوحيد من بين حملة الأقالام (١٢) الذى لم تطلق له الحرية ، وأدرك هذا الوزير التياه المضرة التى سبقتها إليها جرائته فى السفاهة ، ورأى أن نبوءة شاعر المرية توشك أن تتحقق .

وألقي بابن عباس فى سجن الحمراء وقيد بسلاسل ثقال لا تقل عن أربعين رطلا ، وعرف أن باديس متخشن الصدر عليه ، وأن صمويل يتمنى قتله ، لكنه مع ذلك كله كان لا يزال يؤمل بعض الأمل اذ عرض على باديس ثلاثين ألف مثقال من الذهب لقاء إطلاق سراحه ، فأجابه باديس بأنه سوف ينظر فى الأمر ، ثم تركه قرابة شهرين دون أن يبت فيه . براى قاطع .

فى خلال هذه الفترة كان هناك جماعة متضاربة الأفكار تتصارع فى بلاط غرناطة ، فقد بعثت قرطبة برسول من قبلها يستشفع فى إطلاق سراح بعض الأسرى لاسيما ابن عباس ، ومن ناحية أخرى كان أبو الأحوص معن بن صمادح رسول فتى بنى عامر عبد العزيز صاحب بلنسية وصهره يلح على « باديس » بقتل جميع الأسرى بدءا بابن عباس .

كان عبد العزيز [صاحب بلنسية] قد بادر الى امتلاك المرية مدعيا أنها تؤول اليه بحق الولاء لأن « زهيرا » كان من موالى أسرته ، وخاف أن يطلق « باديس » سراح ابن عباس ومن معه من الأسرى فيكون فى ذلك حرمانه من السلطان .

وتحير باديس لا يدري أى الطرق يسلك وإن ينصم ، فقد تنازعه الطمع فى المال والرغبة الملحة فى الثار ، ثم كانت لبلة ركب فيها ومعه أخوه بلقين للنزهة ، وتحدث اليه فيما عرضه ابن عباس وسأله رأيه ، فذكر له بلقين أنه اذا قبل الفدية واسترد ابن عباس بحريته أثار ضده حربا تكلفه أضعاف فديته ، وقال ان الرأى عنده هو أن يبادر الى قتله . ولما فرغ باديس من جولته استقدم اليه أسيره وأقبل يسبه ويلومه على جميع ذنوبه ، وابن عباس قد لزم الصمت حتى يفرغ باديس من تقريره وسبه ، فلما سكث قال له ابن عباس : « ناشدتك الله أن تريحنى من ألى » فأجابه باديس « اليوم تستريح » .

ولما رأى باديس وجه أسيره الشاحب المقطب وقد أومض ببريق الأمل سكث ساعة من الزمان ثم قال فى ابتسامة صفراء : « أجل يا ابن عباس ، اليوم تستريح من هذا الألم وتنقل الى ما هو أشد !! » ثم جعل

يراطن أخاه « بلقين » باللسان البربرى الذى يجهله ابن عباس وان أدرك من آخر كلمات باديس أن قد دنت منيته ، فركع على ركبتيه أمام الأمير وتوسل اليه الإبقاء على حياته رحمة بنسائه وعياله ، على أن يضاعف له الفدية فيجعلها ستة آلاف مثقال من الذهب العين .

أنصت باديس الى ابن عباس وهو صامت لم تنفرج شفثاه عن كلمة ما ، ثم هز مزراقه وقذف به فأغمدته فى صدر ابن عباس ، وحذا حذوه أخوه بلقين وحاجبه على بن القروى . أما ابن عباس الذى لم يكف عن استدوار رحمة قاتلة فلم يسقط على الأرض الا بعد أن أصابته سبع عشرة طعنة (١٣) ومات يوم ٢٤ سبتمبر ١٠٣٨ م [= ٢١ ذو الحجة سنة ٤٢٧ هـ] .

لم تلبث غرناطة أن علمت بموت ابن عباس الغنى التياه ، فاشتد سرور من بها من المغاربة ، وكان أسعدهم جميعا بالخبر صمويل الذى لم يكن له من عدو كاشح غير « ابن بقنة » ، وقد هتف هاتف خفى بصمويل أن ابن « بقنة » لن يلبث أن يزول هو الآخر ، وكان اليهود اذ ذاك كالعرب يؤمنون بأن المرء تغشاه فى نومه روح تكشف له عما سوف يلقاه ، وفى ذات ليلة بينما كان صمويل نائما اذا به يسمع صوتا ينشده ثلاثة أبيات عبرية هذه ترجمتها :

« لقد مات ابن عباس كما مات أصدقاءؤه وحلفاؤه .

« فالشكر لله والحمد له .

أما الوزير الآخر الذى كان يتآمر معه فسوف يهلك عمما قريب وتسحق دولته .

« فما الذى آل اليه جميع ما دبراه » .

« وكيف كانت نهاية سوء طويتهما وقوتهما » .

« فليقدس اسم الرب » (١٤) .

الفصل الثالث

مؤامرة الجرجاني ونهايته

تبديل نظرة الناس الى حكم باديس • مؤامرة أبى الفتوح الجرجاني
وكفائه الفكرية ونشاطه الحربي • تدخله في الشئون السياسية تدخلًا
ضارًا • تحركه ضد ابن عمه باديس وأشبيلية • اضطراره للفرار
الى باديس وطلبه العفو عنه • القبض عليه والتكيد به وإهانته الإهانة
البالغة • مقتله وأسف الناس عليه •

مؤامرة الجرجاني ونهايته

لم يدر باديس أنه بمهاجمته زهيراً وقتله إياه قد أدى أجل خدمة للمتحالفين الذين اتفقوا على الاعتراف بخلافة المدعى هشام ، ذلك أن عبد العزيز - فتى بنى عامر أمير بلنسية الذى أشرنا الى استيلائه على إمارته المرية - كان فى الواقع عاجزاً عن مد يد المساعدة الى حليفه فاضى استبيلية لاصراره على الانصراف حينذاك الى دفع مجاهد أمير دانية الذى نظر بعين الخوف الشديد الى اتساع أملاك جاره (١) ، أما القاضى فلا أقل من أنه لم يكن هناك ما يخيفه من وقوع الحرب بينه وبين « المرية » ، فاطمأن خاطره غاية الاطمئنان من هذه الناحية ولم يعد يشغل باله سوى التأهب فى الوقت ذاته لقنال البربر بطائفة من أهل غرناطة محاولاً دفعهم الى الثورة .

كان أكثر أهل غرناطة كارهين لباديس الذى استهل حكمه بما أطمع الناس فى عهده وبث الأمل فى نفوسهم (٢) ، لكنهم ما لبثوا أن تبينوا ما طبع عليه من القسوة والشدة ، وما ركب فى طبعه من اللؤم والخسة ، وما جبل عليه من مبل لسفك الدماء وإسرافه فى الشرب دون ما خجل ، فكريهم أمره كريباً تحول الى تذمر منه فتأمروا عليه .

كان عصب هذه المؤامرة رجلاً مخاطراً اسمه « أبو الفتوح ثابت ابن محمد الجرجاني » الذى ولد فى بقعة نائية عن الأندلس ، وانحدر من أسرة عربية أقامت فى جرجان ، ودرس الأدب والفلسفة والفلك على يد أشهر أساتذة بغداد ، لكنه كان الى جانب علمه فارساً بارعاً ومجارباً بأسلاً ، فكان يقدر الجواد الأصيل ويعجبه المهند البتار أكثر مما تهزه القصيدة الرائعة أو تستهويه المقالة العلمية الدقيقة ، والأرجح أنه قدم الأندلس سنة ١٠١٥ م [= ٤٠٥ هـ] ليحرب بها حظه ، وقضى فترة من الزمن فى بلاط مجاهد أمير دانية ، فكان يتناقش وهذا الأمير فى فنون الأدب ، وانكب على وضع شرحه للرسالة النحوية المعروفة بالجمل ، كما حارب الى جانب أمير « سردانية » وكثيراً ما شغل نفسه بالتفكير فى أعقد المسائل الفلسفية وفى محاولة الكشف عما يخبئه الغد بين طياته بملاحظة النجوم ، ثم رحل بعد ذلك الى سرقسطة مستقر الأمير « منذر »

الذى أولاه في بادئ الأمر صداقته وعهد اليه بتربية ولده ، الا أنه يتجلى لنا من شهادة صادقة كل الصدق ، ذكرها المؤرخ العربى الذى نعتمد عليه فى هذا البحث أن الزمن كان قد تغير وتغير معه أهلوه ، فقد جاء المنذر ذات يوم وأنبأه باستغناؤه عنه وعدم حاجته الى خدماته ، ثم أذن له بمغادرة سرقسطة ، فيم أبو الفتوح حينذاك وجهه شطر غرناطة واتخذها دار اقامة له ، وشرع يلقى سلسلة من المحاضرات عن الشعر القديم لاسيما المجموعة المعروفة بالحماسة (٣) ، غير أنه قام هنا بعمل آخر ذلك أنه عرف أن أعداء باديس كثيرون ، فعمد الى ابن عم الأمير واسمه « يدير » (*) فحرك مطامعه بأن أدخل فى روعه أن النجوم طالعه أن باديس سيفقد العرش ، وان ابن العم « يدير » سبى الحكم بعده مدة ثلاثين سنة ، وصدق « يدير » ما زعمه أبو الفتوح فراح يعد المؤامرة ما لبث مخفى أمرها أن ذاع وتناهى الى سمع باديس قبل تنفيذها ، فخاف أبو الفتوح و « يدير » وغيرهما من المتآمرين وبادروا الى طلب النجاة من ثأره وغضبه ، والتمسوا لهم ملجأ عند قاضى أشبيلية الذى لا يشك أحد فى أنه كان سريكمهم فى تلك المؤامرة وان يكن من العسير علينا أن نعرف الى أى مدى كان ضالعا معهم ومحركهم عليها (٤) .

فى هذه الأثناء هاجم القاضى محمدا أمير قرمونة وكان جيشه - كما هى العادة - بقيادة ابنه اسماعيل الذى أحرز انتصارات باهرة ، فاستسلمت له « أشونة » و « استجة » ، بل لقد حاصر « قرمونة » ذاتها ، وضيق الحناق على محمد الذى التمس المعونة من ادريس أمير مالقة ومن باديس [ملك غرناطة] فاستجابا له .

أما ادريس الذى كانت العلة قد ألحت عليه فقد أنفذ اليه جنده تحت امرة وزيره « ابن بقنة » ، على حين قدم باديس بنفسه اليه على رأس قواته ، وانضم هذان الجيشان بعضهما الى بعض ، وبادر اسماعيل الى النهوض للحرب اطمئنانا الى كثافة عسكره وشجاعتهم ، ولم يجرؤ باديس وابن بقنة على منازلة اسماعيل ادراكا منهما بتفوقه عليهما فى العدد ، فمالبثا أن غادرا « قرمونة » وتركها أميرها يواجه العدو وحده وبلاقى مصيره ، وسار أحدهما نحو غرناطة ويهم الآخر شطر مالقة .

ولكن اسماعيل أخذ السير فى آثار الغرناطين ، ومن حسن طالع باديس أنه لم تكن قد انقضت ساعة على انفصاله عن « ابن بقنة » حين بعث اليه رسولا يسأله القدوم لتجديده والا تغلب عليه الأشبيليون فاسرع « ابن بقنة » للوقوف الى جانب باديس ، وانضم الجيشان بعضهما الى بعض قرب « استجة » متحفزين لقتال العدو .

أما الأشبيليون الذين حسبوا أنهم سيهاجمون جيشا ناكصا على

(*) بلتج الياء وتشديد الدال المكسورة بعدها ياء ساكنة ثم راء .

أعقابيه فقد فوجئوا بما لم يجر لهم في حسيان ، حين وجدوا أنفسهم يواجهون عسكريين على تمام الأهبة لقتالهم ، فذب اليأس في قلوبهم من جراء تلك المفاجأة غير المتوقعة ، حتى ان الصدمة الأولى كانت كافية لبت الفوضى في صفوفهم ، وحاول إسماعيل أن يحملهم على الثبات في مكانهم وقاتل عدوهم لكن ذهبت مساعيه أدراج الرياح ، بل لقد أدت به شجاعته الى أن يكون في طليعة القتلى ، واذا ذلك لم يعد الأشبيليون يرومون غير النجاة (٥) .

أصبح باديس سيد الموقف بعد نصر جد بسيط ، فأقام معسكره على كئب من أبواب « استجة » ، وما كان أعظم دهشته حين أبصر أبا الفتوح يركع عند قدميه وقد دفعه حبه لعائلته الى المخاطرة بنفسه والمجيء الى هنا ، فقد اضطر لمغادرة غرناطة على جناح السرعة تاركا زوجته وطفليه بين يدي القدر ، حين تناهى اليه الخبر بأن باديس قد أصدر أمره الى نائبه « قدام » (**) السوداني بالقبض عليهم ، فأنفذ « قدام » أمره وزج بهم في سجن المنكب ، وكان أبو الفتوح كبير الحب لزوجته الأندلسية الجميلة ، شديد الحنان على ولده وابنته ، ولم يكن يحتمل العيش دونهم ، وكان أشد ما أفزعه أن يصب باديس نغمته على هؤلاء الأعراء فينتقم منهم لجرم أبي الفتوح ، ومن ثم جاء الى باديس يلتمس منه العفو ، وعلى الرغم مما يعرفه في هذا الطاغية من شراسة الطبع والاستبداد الا انه طمع أن يلين قلبه هذه المرة وأن يعفو عنه كما عفا عن ابن عمه « أبي ريش » الذي زل هو الآخر أيضا حين شارك في تدبير المؤامرة ، لذلك جثا أبو الفتوح أمام باديس وقال له : « اتق الله يا سيدي وارع ذمائي » فصاح به باديس وقد رماه بنظرة حقد قاتلة وقال : « ترى بأى وجه جئتني ؟ ما أجراك على حتفك وأشد اغترارك بسحرك !! » فرقت بينى وبين بنى ماكسن ، ثم جئت تخدعنى كأنك لم تصنع شيئا !! » .

فأجابه : « ارحم غربتى وسوء مقامى ، ولا تلزمنى ذنب ابن عمك فمالي سبب فيه ، وما حملنى على الفرار الا الخوف على نفسى لسابق خلطته ، ولقد لفظتنى البلاد اليك مقرا بما لم أجته رغبة فى صفحك ، فافعل فعل الملوك الذين يجلون عن الحقد على مثلى من الصعاليك » .

فقال باديس : « بل أفعل ما تستحقه ان شاء الله ، انطلق الى غرناطة فدم على حالك واتى أهلك وأصلح من شأنك » .

اطمان خاطر أبي الفتوح حين سمع هذا الكلام الذى لم يدرك فى بادى الأمر مغزاه وما ينطوي عليه من قصد سيء ، وشتخص الى غرناطة

(**) يضم القاف وفتح الدال غير المشددة .

فى حراسة فارسين ، فلما قاربوها أنفذ « قدام » الاسود الأوامر النى نلقاها من مولاه اذ بعث جماعة من شرطته ألقى القبض على أبى الفتوح وحاقدوا له رأسه وأردفوه على بعير ، وجعلوا خلفه عبدا أسود جلدا مفلتول الساعدين ظل يصفعه صفعاً شديداً ، وطافوا به الطرقات على هذه الصورة ، ثم أودعوه سجننا شديد الضيق شاطره فيه أحد المتآمرين معه ، وهو جندى بربرى أسروه فى وقعة « استيعة » .

انقضت عدة أيام عاد بعدها باديس الى غرناطة ولم يكن قد قرر نسبنا ما حبال أبى الفتوح ، لكن جرى له عكس الذى جرى لابن عباس اذ حال أخوه « بلقين » بينه وبين الفقيه دون أن يعرف أحد سر ميله اليه ، ففد عمل جهده على تبرئة ساحته ، ودافع عنه دفاعاً كبيراً حمل باديس على الأحجام فى البت فى أمره بشيء ما حتى لا يفضب أخاه .

ثم كان يوم أفرط « بلقين » فيه فى الشراب مثلما كان يحدث كثيراً منه ومن أخيه ، واذاً ذاك بعث « باديس » فى طلب أبى الفتوح ورفيقه فلما رآه انهال عليه سباً واهانة ثم قال له :

« لم تغن عنك نجومك يا كذاب !! . ألم تعد أمرك الجاهل بالظفر بى وتملك بلدى ثلاثين سنة ؟ . لماذا لم تمنع النظر لنفسك وتحذر ورطتك ؟ . قد أباح الله لى دمك !! » فلم يجبه أبو الفتوح بشيء بل اعصم بالصمت ، لكنه حين رغب فى العودة الى زوجته وولديه الذين يهواهم عمد الى الاستعطاف والكذب ، فلما أيقن ان لا شفاعة ترتجى من هذا الطاغية الظالم الغضوب استرد حيلته ، وعادته شجاعته وقوة شكيمته ، فراح ينظر الى الأرض وقد انفرجت شفتاه عن بسمة ساخرة ، وصمت ساعة من زمان استرد فيها كرامته فأنار هذا المنظر الهادى الكريم نائرة باديس ونزت فيه نزوة الغضب فانتصب واقفاً واستل حسامة وأغمده فى قلب ضحيته فتلقي أبو الفتوح الضربة القاتلة وهو ثابت الجنان دون أن يشن ، حتى لقد أكبر باديس ذاته شجاعته ، فصاح - رغم أنفه - صيحة المعجب به ثم ألقت الى عبده « برهون » وقال له : « خذ برأسه وارفعها على الخشبة ، أما الجسد فضعه الى جنب عدوى [ابن عباس] حتى نقوم الساعة » ثم التفت الى الجندى وقال له : « تقدم فقد جاءت نوبك » .

اشتد الفزع بالبربرى الذى كلمه باديس وارتجفت أوصاله رعباً ، فجلنا على ركبتيه عساة يحمل الأمير على الصفيح عن جرمه والابقاء عليه ، الا أن باديس قال له : « أما تستحي يا ابن الفاعلة . . . يصبر المعلم الضعيف القلب على الموت مثل هذا الصبر ويملك نفسه عن كلامه لى

واستهطافى ، وأنت تجزع وطالما عددت نفسك فى أشداء الرجال ؟
لا أقال الله مقيلك ! » •

ثم قتله يوم ٢٠ أكتوبر سنة ١٠٣٩ م [٤٣٠ هـ] •

ودفن أبو الفتوح — كما أمر باديس — الى جانب ابن عباس ، وحزن
الأدباء والحكماء من أهل غرناطة على موته ، أما العرب الذين أرغمتهم
المقادير على الخضوع لبربرى غريب فكانوا كلما مروا بالناحية التى دفن
فيها أبو الفتوح قالوا :

« يا له من قبر جمع أدبا لا كفاء له !! » •

« والبقاء لله سبحانه » (٦) •

الفصل الرابع

اضطراب الأحوال بين الأمراء مرة أخرى

ظهور قوة البربر في بلاط مالقة • تفاقم شأن الصقالبة في بلاط
غرناطة • وفاة ادريس والنزاع بين ابن بقنة البربري ونجاء الصقلي حول
من يخلف ادريس • ظهور الأسطول الأفريقي فجأة في خليج مالقة •
خلاص الحكم للحسن بن يحيى وقتله ابن بقنة • مقتل الحسن بن يحيى
مسموما بيد زوجته • نجاء الصقلي يأخذ الحكم فيسكت البربر على كره
منهم له • استكناره من الصقالبة ومحاولته التفريق بين البربر ولكنهم
يقتلون ويولون مكانه ادريس بن يحيى الذي أبدى من الضعف ما أحثهم
منه • استخفاف السودان بادريس لطيبته وتمردهم عليه •
تولية محمد ابن عم ادريس وشجاعته • التجاء ادريس الى بربر
رندة • الحرب بين باديس ومحمد • وجود أربعة خلفاء في وقت واحد وكلهم
ضعاف لا حول لهم ولا قوة • مك غرناطة يطرد حمود من مالقة •

اضطراب العلاقات بين أمراء الأندلس

أخذ طاغية غرناطة السفاح فى ارتقاء معارج القوة شيئاً فشيئاً حتى صار زعيم جماعته ، ومع أنه كان لا يزال يعترف بالولاء لبنى حمود إلا أنه كان اعترافاً اسمياً وولاء صورياً وذلك لتبعية ضعف أولئك الأمراء الذين كانوا آله فى أيدي وزرائهم يسرونهم وفق أهوائهم وحسبما شاءوا ، كما يعمد البعض منهم الى قتل البعض الآخر : بالسيف تارة وبالسهم تارة أخرى ، وكانوا لا يفكرون فى مراقبة أتباعهم الأقوياء ، بل يرون أنفسهم سعداء أن أتيج لهم أن يحكموا مالقة وطنجة وسبتة فى شيء من الهدوء الظاهري .

لكن كان هناك تباين كبير بين بلاطى مالقة وغرناطة ، فلم يكن فى بلاط الأولى سوى البربر أو من يعملون دائماً لما فيه مصلحة البربر أمال صمويل اليهودى ، ومن ثم كانت تسود هذا البلاط وحدة تامة فى الأفكار والأساليب .

أما بلاط غرناطة فكان على العكس من ذلك يزخر بالصقالبه الذين كان لابد من سقوطهم أن عاجلاً أو عاجلاً لما كانوا عليه من التحاسد والتنافر والتنافس مما أدى الى سقوط الأمويين .

كان الخليفة ادريس الأول طريح الفراش حين بعث قواته لقتال الاشبيليين ، ثم أسلم الروح بعد يومين من تسلمه رأس اسماعيل المقتول فى وقعه « استجة » ، إلا أن النضال ما لبث أن نشب بين ابن بقنة الوزير البربرى وبين نجاه الوزير الصقلبي ، إذ أراد الأول أن يسوف العرش الى يحيى بن ادريس البكر حتى يتمكن من أن ينفرد وحده بالسلطة والاستبداد بها دون شريك ، فعارضه الصقلبي الذى كان عامل الخليفة على بر العودة بافريقية ونادى فيها بشعار الخليفة حسن بن يحيى ابن عم يحيى بن ادريس ونأهب لعبور المضيق .

كان ابن بقنة ضعيف الشخصية ، جبانا رعيديا ، ومن ثم أذعن لتهديد الصقلبي ، وكان تردده الدائم يجعله يميل تارة للاستمرار فى مشروعه ، وتارة أخرى للرجوع عنه ، وأدى ذلك الى إهماله الاستعدادات لأى طارئ ، لذلك فوجئ ذات يوم بالأسطول الافريقى يرسو فى خليج مالقة فبادر الى الهرب وشخص الى « كمارش » برفقة يحيى بن ادريس ، فلما آل الأمر فى العاصمة الى الحسن بعث الى ابن بقنة يؤمنه ويأذن له بالعودة ، فوثق البربرى بقوله فجاءه فقطع الحسن رأسه ، وهكذا تحققت نبوءة صمويل اليهودى التى رآها فى منامه .

لم يلبث منافس الحسن أن قتل هو الآخر ، وربما كان « نجاه » هو الوحيد المسئول عن هذه الجريمة كما يشهد بذلك جماعة من المؤرخين

(*) كمارش يضم الكاف وفتح الميم وكسر الراء ثم شين .

غير أن الحسن ما لبث أن نال جزاء ما جنت يده ، إذ دست له السم زوجته وكانت أخت يحيى المقتول .

حينذاك ظن « نجاء » أنه قادر على تولية شخص لا يكون له من السلطان غير الاسم ، ولم يقنع بأن يكون له سلطة الحاكم بل تطلع لأن يتولى الحكم ذاته ، ومن ثم عمد إلى قتل ابن للحسن كان لا يزال طفلا ، وسجن أخاه ادريس ، وفرض نفسه ملكا على البربر محاولا استمالتهم إليه بشتى العهود وأطيبها .

وعلى الرغم من سدة حق البربر عليه من جراء قحته المفرطة وطعمه الذى دنس نوقيرهم العظيم الذى يكاد يبلغ حد الخرافة لمن هو من نسل الرسول [عليه الصلاة والسلام] إلا أنهم رأوا أن يترينوا ترقبا منهم لأول فرصة تسنح لهم للوثوب على « نجاء » ، ومن ثم استجابوا له مظهرين الطاعة والولاء .

حينذاك جاهر « نجاء » برغبته فى المضى إلى « الجزيرة الخضراء » بغية انتزاعها من يد حاكمها الحمودى ، وزحف للقتال ، إلا أنه لم يكد يلتحم مع الأعداء حتى أدرك أن البربر غير جادين فى القتال وشاهد فتورهم فعرف أنه لا يستطيع الاطمئنان اليهم ، ورأى السلامة فى الأمر بالعودة بعد أن أسر فى نفسه أن ينفى من يخاف غائلته من البربر حال عودته إلى العاصمة ، كما عول على اكتساب الباقين منهم إلى صفه باغداق المال عليهم ، ورأى أن يبذل غاية وسعه للاكثار من الصقالبة حوله ، إلا أن أشد أعدائه كراهية له علموا بما يبيتهم لهم ، لذلك لم يكد الجيش يمر بأحد الأوعار السديدة الضيق حتى وثبوا على المقتصب يوم ٥ فبراير ١٠٤٣ م [٤٣٤ هـ] وفتكوا به (١) .

سادت الفوضى صفوف الجيش ونعالت صبيحات الفرح من جانب البربر ، بينما أخذ الصقالبة فى التسلل لوإذا مخافة أن يلاقوا ما لقبه كبيرهم ، كما انطلق زعيمان من زعماء البربر إلى مالقة على جناح السرعة فلما بلغها صاحبا بالناس « البشرى لكم أيها الناس !! البشرى لكم أيها الناس !! لقد قتل الطاغية !! » ووثب الناس على عامله بمالقة [واسمه السطيفي] وقتلوه وأخرجوا ادريس بن يحيى - أخا الحسن - من مطبقه واستخلفوه عليهم .

حينذاك انتهى دور الصقالبة بمالقة ، وعاد الهدوء الذى لم يقدر نه البقاء طويلا .

لا جدال فى أن ادريس لم يكن رجلا عظيما وإن كان خيرا جوادا يؤثر

حسن الصنيع ، ولو كان الأمر له وحده دون سواه لما بقى فى مملكته مملق
بائس ، فقلد أعاد جميع المنفيين على اختلاف أحزابهم ورد عليهم أملاكهم ،
أما عطفه على الشعب الذى كان يؤثر التحدث اليه فكان مما يتنافر تماما
مع ما هو مألوف فى البلاط من الأبهة والتعاطف والتقاليد ، وقد أدى
انتساب الحموديين للرسول [عليه الصلاة والسلام] الى أن أصبحوا فى
نظر رعاياهم أنصاف آلهة ، وأراد الحموديون المحافظة على هذا الوهم المتعلق
بسلطانهم فلم يكونوا يظهرون للجمهور الا لاما ، وكانوا اذا طلوعوا عليه
طلوعا محاطين بالأسرار ، حتى ان ادريس نفسه - رغم بساطته - لم يحجر
من التقاليد التى جرى عليها أسلافه من وجود حجاب يحجبه عن عيون
محدثيه ، غير أنه كان ينسى فى بعض الأحيان القمام بهذا الدور لما طبع
عليه من الطيبة الشخصية ، من ذلك ما حدث ذات يوم من أن شاعرا من
أهل لسبونة أنشده قصيدة أطرى فيها كرمه ومجد فيها شرف نبعه وقال
فيها :

فكان الشمس لما أشرقت فانتنت عنها عيون الناظرين
وجه ادريس بن يحيى بن على بن حمود : أمير المؤمنين
يا بنى أحمد يا خير الورى لأبيكم كان وقد المسلمين
أنظرونا نقتبس من نوركم انه من نور رب العالمين

فلما سمع الخليفة ذلك قال لحاجبه : « ارفع الستر » وذلك لانه
لم يكن ليرد أبدا سؤال سائل ، ومن ثم كان هذا الشاعر أسعد من محبوبة
« جويتر » النسقية التى راحت ضحية رغبتها الملحة القاتلة .

وقد استطاع الشاعر حينذاك أن يسرح طرفه مطمئنا فى وجه موله
الذى وان لم يشع نورا باهرا الا أنه كان يحمل دليل اليمن والوداعة ،
ولعل طلعة الأمير كانت أحسن عند الشاعر مما لو كانت محاطة بهذه الأضواء
التي تعتنى الأبصار والتي أشار اليها الشاعر فى أبياته ، والواقع أنه لابد
وقد انقلب الى داره راضيا أكثر مما لو كان قد أصاب صلة سنبه .

لكن الأمر الذى يؤسف له هو أن ما طبع عليه ادريس من التناهى
فى طيبة القلب واللين أضرا بمكانة الدولة واطمئنانها ، ذلك لأنه كان
لا يفكر - أو لا يجرؤ - على رفض طلب أحد ما ، فلو سأله « باديس »
أو غيره أن يهبه حصنا من حصونه لاستجاب له فى الحال . وقد حدث ذات
مرة أن طلب منه باديس أن يسلمه وزيره (٢) لأنه كان يتلقف له على
حقن ، واذ ذلك قال ادريس لوزيره « ان الصنهاجى يطلبك منى ، ولابد
من تسليمك اليه » فأجابه الوزير الغاضل : « افعل ما تؤمر وستجدنى
ان شاء الله من الصابرين » ثم رحل الى غرناطة بحيث قطعت رأسه .

أحقق البربر ضعف ادريس وكرهوا فيه عطفه على الشعب ، ونقموا منه ما نسميه اليوم بميوله الشعبية ، غير أن أشد الناس حنقا عليه هم « السودان » الذين اعتادوا أن يضربوا بالسياط أو يقتلوا بالسيف أو يصابوا على المشنقة ، لذلك استخفوا بمولاهم الذى لم يأمر قط بقتل أحد ما ، ثم عم الغضب منه حتى قام صاحب قلعة « ايرش » (٣) بالنورة عليه ، فاطلق من أسره سراح ابنى عم ادريس وناذى بأكبرهما محمد خليفة ، وحينذاك تمرد السودان الذين رتبهم لحماية حصن « مالقة » وراسلوا محمدا يطلبون منه أن يوافيهم هو ذاته ليكون بينهم .



أما أهل « مالقة » الذين كانوا شديدى التعلق بأمرهم المتحنن عليهم فلم يتركوه وحده فى ساعة الخطر بل جرت جموعهم اليه وطلبوا منه أن يمدحهم بالسلاح ، مؤكدين له أنهم اذا تدرعوا وتسلحوا لم يبق السودان فى القلعة ساعة من نهار ، فشكرهم ادريس [ابن يحيى بن على بن حمود] على اخلاصهم ، لكنه رفض أن يجيبهم الى ما سألوه اياه قائلا لهم : « الزموا منازلكم ودعوني » ، واذاك استطاع محمد دخول العاصمة وحل ادريس محله فى سجن « ايرش » ، وهكذا قام كل منهما مكان الآخر سنة ١٠٤٦ - ١٠٤٧ م [= ٤٣٩ هـ] .



لم يكن الحاكم الجديد على نمط سابقه ، بل شابه أمه وهى مقاتلة بأسلة تميل لحياة المعسكرات ومشاهدة استعدادات الحرب وأعمال الحصار ، وكانت تثبر حماسة الجند بكلماتها وبسط يدها لهم بالمال . أما محمد فقد بلغ من الشجاعة حدا كبيرا ، لكنه كان فى الوقت ذاته شديد القسوة ، واذا كانت الشجاعة تنقص ادريس [ابن يحيى] فهى أكثر مما يجب أن تكون عليه عند محمد ، وهذا على الأقل فى نظر مؤرخى النورة ، منلهم فى ذلك مثل أسطورة الضفادع التى طلبت من جويتر ملكا لها ، وشبيه بشعب المستنقع هذا - كما يقول لافونتين المبدع - جماعة البربر والزئوج الذين سرعان ما تدمروا من ثقل وطأة محمد [بن ادريس] عليهم وراحوا ييكون على سلفه الطيب الهادى .

استعد المتآمرون فيما بينهم للثورة وأخذوا فى مفاوضات حاكم « ايرش » الذى لم يجدوا صعوبة فى ضمه الى صفوفهم ، فرد على ادريس الثانى حريته بعد أن نادى بشعار الخلافة ، وفى هذه المرة لم يتمتع ادريس عن الأخذ بفكرة الحرب الأهلية ، وكان السبب فى ذلك أن اقامته المملة الرتيبة فى السجن لاشتت ترددده .

غير أن محمدا - وقد عاونته أمه - دافع أعداءه أشد مدافعة حتى أكرههم على إلقاء السلاح وإن لم يسلموا إدريسا الذي عمدوا إلى نقله إلى إفريقية قبل استسلامهم ، حيث دفعوه إلى طليق بن بربرين هما (٤) « سقوط » حاكم سبتة ، و « رزق الله » حاكم طنجة ، فأكرموا وفادته وعظما قدره وخطابه بالخلافة وإن لم يسمحا له بنسب من السلطة الحقيقية . بل إن خوفهما على سلطانهما دفعهما للمبالغة في مراقبته ومنعه من الظهور بجورة ، ولم يدع أحدا من الناس يصل إليه ، ومع ذلك فقد استطاع جماعته من أعوان البربر - الذين ينغمون في السر على هذين الحاكمين - أن يجدوا السبيل إلى لغائه وقالوا له : « إن هذين العبدین غلبا عليك وحالا بينك وبين أمرك ، فأذن لنا نكفيكما » ، فرفض طليقهما لما طبع عليه من الرحمة واللين الكبيرين ، ودفعته سريره الطيبة للأفضاء بكل ما جرى للوالدين اللذين انزعجا وأمرأ بنفى من أشار إليهم ، لكن الظاهر أنهما خافا أن يستجيب إدريس - في مرة أخرى - إلى دسائس الناقمين عابثا فبعسا به إلى الأندلس وإن لم يكف عن الحطبة له في الصلوات العامة ، فاتجه إدريس إلى زعيم بربر « رندة » يطلب عنده ملجأ له (٥) .

في هذه الأثناء قام المتذمرون بمالقة يلمسون المساعدة من باديس الذي بادر إلى إعلان الحرب على محمد ، إلا أنه ما لبث أن انفق معه ونمت المؤادعة بينهما ، وحينذاك استغاثوا بأمير الجزيرة الخضراء واسمه هو الآخر أيضا محمد [ولكنه محمد بن القاسم بن حمود] ، وقد نسمي بالخليفة .

بهذا كان هناك في تلك الحقبة أربعة من الخلفاء فيما بين إسبيلية وسبتة وهم :

هشام الناني المزعوم بإشبيلية ، ومحمد [بن إدريس] بمالقة ، ومحمد [بن القاسم بن حمود] بالجزيرة الخضراء ، ثم إدريس الناني [وهو بن يحيى بن إدريس] .

كان اثنان منهم مجردين في الواقع من السلطة . أما الآخران فكانا من الأمراء التافهين أو الأقيال ، فكان سوء اصطناع لقب الخلافة أبلغ في السخرية ، لما كان يدل عليه من أن صاحبه يحكم العالم الإسلامي كله وهو ليس في شيء قط من ذلك أو بعضه .

وفشسل محمد [القاسم بن حمود] أمير الجزيرة الخضراء في محاولته وتخلي عنه من استغاثوا به ، فسارع بالعودة إلى ولايته ، ولم تمض أيام قلائل حتى مات خجلان كسير القلب ، وذلك سنة ١٠٤٨م [٤٤٠ هـ] كذلك ما إن انقضت أربع أو خمس سنوات حتى لفظ محمد [بن إدريس] - أمير مالقة - نفسه الأخير ، فتطلع أحد أبناء عمه - واسمه إدريس الثالث - إلى العرش ، لكنه لم يفلح فيما ارتجاه ، فقد أعاد القوم

هذه المرة ادريسا الثانى [بن يحيى بن ادريس] الذى آن للأقدار أن تكف
عن اضطهاده ، فظل يحكم الباد فى هدوء حتى وافاه أجله سنة ١٠٥٥ م
[= ٤٤٧ هـ] .

حينئذ طمع حمودى آخر فى أن يلى العرش مكانه ، لكن فجعه فى
آماله باديس صاحب غرناطة ، ذلك لأنه لما كان الزعيم الحقيقى للحزب
البربرى فانه كان لا يحب وجود خليفة ما ، ومن ثم عقد العزم على التخلص
من بنى حمود وأن يضم مالقة الى أملاكه . ونجح فى تحقيق مشروعه دون
أن يجد مقاومة كبيرة .

حقيقة أن خضوع العرب له كان عن غير رضا منهم ، الا أنه استطاع
أن يستعمل اليه أقوام نفوذا وأعظمهم شكيمة أمثال الوزير القاضى
عبد الله (٦) الجذامى ، ومن ثم لم يعد يكثر بتذمر الآخرين .

أما البربر الذين تأكدوا من ضعف أمرائهم والذين أدركوا عن حق
ضرورة اتحادهم مع اخوانهم بربر غرناطة اذا شاوروا مقاومة الحزب العربى
الذى كانت أملاكه تتسع فى الجنوب الغربى يوما بعد يوم فقد عطفوا على
مشاريع باديس ولم يناهضوها ، وبذلك أصبح ملك غرناطة أميرا على
مالقة أيضا ، وطرد منها جميع بنى حمود الذين أخذوا يمثلون دورهم بعد
ذلك فى العدو . لكن دورهم فى أسبانيا كان قد انتهى وتلاشى (٧) .

الفصل الخامس

ارتقاء المعتضد «عارج القوة

المعتضد عباد بن محمد يصبح حاجب هشام الثانى • صفات المعتضد
وشماله • الفرق بينه وبين باديس فى السام والحرب • دهاء
المعتضد ومكره وتدبيره المؤامرات • حيلته لمعرفة أحوال أهل قرمونة وما هم
عليه • حقه الأعمى على من يخاصمه ولو كان معوقا حتى بعد موته •
قصته مع الفقيه الأعمى حتى بعد هروبه من وجهه •

ارتقاء المعتضد معارج القوة

ألمنا بحوادث مألقة رغبة منا في متابعة تاريخها ، أما الآن فقد آن لنا أن نلقى نظرة عابرة على ما ناله الحزب (العربي) من التقدم في تلك الفترة ، ومن ثم ينبغي علينا أن نرجع الى الوراء بعض السنوات .

مات أبو القاسم محمد [بن اسماعيل] قاضي اشبيلية في ختام يناير ١٠٤٢ م [= ٤٣٤ هـ] فخلفه ابنه عباد [بن محمد] وكان في السادسة والعشرين من عمره ولقب بحاجب هشام الثاني ، وعرف في التاريخ باسم « المعتضد » ، وعلى الرغم من أنه لم يلقب بهذا اللقب الا بعد زمن طويل لكننا نسميه بهذا الاسم تجنباً لما يحدثه تغيير الاسم من الاضطراب .

لقد تمكن هذا الزعيم الجديد - الذي قيضه الله للحزب العربي في الجنوب الغربي - أن يجمع في ذاته السمات التي لا تكون لمجتمع أشرف على الشيخوخة ، وكان كل ما في هذا الزعيم يؤهله لأن يكون منافساً خطيراً لباديس زعيم الحزب المعارض له ، وكان المعتضد عباد مثل باديس رجلاً شديد الريية ، ميالاً للانتقام ، غداراً ، ظالماً فظاً ، سفكاً للدماء منكباً على الشراب ، لا يتورع عن الموبقات ، ولم يكن هناك أمير من أمراء ذلك العهد قد اجتمع له ما اجتمع لعباد [بن محمد] من الحریم ، ويؤكد البعض أنه وجد له منهن ثمانمائة جارية (١) .

وعلى الرغم مما بين هذين الأميرين من التشابه الا أن كلا منهما كان نقيض الآخر في الشخصية ، قد تفاوتت أذواقهما ، وتباينت عاداتهما بعضها عن بعض في كثير من النواحي ، ذلك أن باديس كان رجلاً بربرياً أو شبه بربرياً لا يكتثر بالتقاليد ولا يعاب بالثقافة والحضارة ، ومن ثم خلت أبهاء قصر الخمراء من الشعراء الذين لم يكن من اليسير عليه فهم قصائدهم لتعوده الحديث بالبربرية .

أما المعتضد [عباد بن محمد] فكان على العكس من ذلك قد تلقى قسطاً من الثقافة والتعليم الرفيع ، وإن لم يرق الى مكانة العالم لعدم مداومته النظر في الكتب ، الا أنه وهب ذوقاً عظيماً رائعاً ، وذاكرة قوية مكناه من أن يتوفر عنده أكثر مما يتوفر للرجل العادي ، ولم تغل قصائده - دون نظر الى قيمتها الأدبية - من فائدة توقفنا على شخصيته ، وقد رفعت هذه القصائد بين معاصريه الى مرتبة الشاعر المبدع (٢) ، وكان محباً للآداب والفنون ، يصل الشعراء بالعطايا الجسام على مديحهم اياه

وان قل ، وكان الى جانب ذلك يتعشق اقامة القصور الفخمة (٣) ، كما كان مسرفا في طغيانه .

اتخذ [عباد بن محمد الملقب] بالمعتضد خليفة بغداد مثلا له يقتدى به ولقب نفسه بلفبه ، ومع انكباب كل من المعتضد وباديس على الشراب الا أن غلظة طبع الأخير كانت تؤدي به الى الاسراف في الشراب مع الاسفاف شأنه في ذلك شأن الرجل الجلف أو الجندي السوقي ، بينما يبدو المعتضد رجلا كيسا محافظا على كرامته فلم يؤخذ عليه شيء من هذا القبيل ، بل كان على جانب كبير من حسن الذوق ورقة الشعور حتى في مجالس شرايه ، وكان هو وندماؤه يرتجلون الخمریات التي تمتاز بالركة البالغة وطلاوة التعبير ، هذا الى أنه كان يقسم وقته قسمة عادلة بين اللهو والعمل ، وقد ينتقل من الانكباب على اللهو الى الانكباب على تصريف أمور الدولة (٤) ، ومن أعجب الأمور أن هذا الطاغية الذي كانت نساؤه حريمه الجميلات يضطربن من نظرتة المروعة قد نظم في بعضهن أشعارا تسيل رقة وعذوبة .

كان بين باديس والمعتضد ما بين العرييد البربري والماجن المتحضر من الفارق ، لكن مهما يكن الأمر فقد كان باديس البربري أقل من صاحبه دناءة طبع ، اذ لم يكن مسرفا في جرائمه ، على حين أن المعتضد كان لغزا حتى على خلانه ، فتراه يحاول بنظرته الفاحصة أن يتعرف على دخائل الآخرين وطواياهم الخفية ويدركها ، لكن لم يحدث قط أن عرف أحد ما ينطوى عليه صدره وما بجول بخاطره لجمود وجهه وعدم تغير نبرات صوته (٥) .

ولقد لقي أمير غرناطة حتفه في ميدان الوغى ، أما صاحب اشبيلية فعلى الرغم من دأبه على شن الحروب وعلى الرغم من أنه لم تكن نعوزه الشجاعة الا أنه لم يقد الجيوش بنفسه غير مرتين أو ثلاث مرات فقط في حياته كلها ، فقد كان يدير أمور الحرب وهو متفرغ ، جالس فوق أريكته (٦) ، بعيد عن مكابدها .

كان باديس مسرفا في مكائده وان كان من اليسير احباطها ، أما المعتضد فكان يحكم تديبرها وتنظيمها حتى قل أن أخطأت هدفها ، وتلك ناحية من نواحي عبقريته ، ويروى المؤرخون بشأن هذا الموضوع قصة تستحق الايراد ، فقد حدث في أثناء محاربته « قرمونة » أن انفصل سرا بأحد سكانها من العرب ، الذي أخذ يفضي اليه بحركات البربر وخططهم ، ومن الطبيعي أن يتخذ المعتضد الحيلة الشديدة حتى لا تقع الرسائل التي يتبادلها هو والعربي في يد أحد ما وحتى لا يخامر الشك

احدا فيما يجرى ، واتفق المعتضد مع جاسوسه العربى على الخطة التى تكون بينهما ، فاستقدم ذاته يوم الى قصره رجلا ساذجا كبير الغفلة من فلاحى تلك الناحية وقال له : « خل عنك هذه التياب واليك هذه الجبة على أن تفعل ما أمرك به » ، فسر الرجل غاية السرور ولبس الجبة دون أن يحدس أن فى جيبها رسالة أراد المعتضد أن يدفعه الى حملها الى رجله بقرمونة ، وتعهد الرجل أن يؤدي باخلاص ما يلقيه اليه الأمير من الأوامر ، واذ ذاك قال له المعتضد : « اخرج الى قرمونة فاذا وصلت بقربها فاجمع حزمة حطب وادخل بها البلد وقف حيث يقف أصحاب الحطب ولا تبعها الا لمن يشتريها منك بخمسة دراهم » .

وعلى الرغم من أن الفلاح لم يدرك مطلقا علة تلك الاوامر العجيبة الا أنه أطاعها ثم غادر أشبيلية ، حتى اذا قارب قرمونة أخذ يحتطب ولم يكن من عادته الاحتطاب ، ثم دخل المدينة متابطا حزمة صغرة من فروع الشجر ووقف بها على قارعة الطريق ، فمر به رجل سأل : « بكم نبيع يا رجل حزمتك هذه ؟ » فقال : « لا أبيعها الا بخمسة دراهم » ، فضحك الرجل منه وقال له : « ما أراك نبيع الأبنوس يا هذا » ، فقال آخر كان يسمع ما قيل ويرى ما جرى : « بل انه ليبيع العود الهندى » ، وراح الناس يسخرون منه ويتضاخكون عليه ، وكاد النهار أن ينقضى حين قدم عليه رجل لم يكن سوى جاسوس المعتضد وسأله عن النمن الذى يطلبه فيها فاشتراها منه بما قال ، ثم قال له : « قد اشتريتها فاحملها الى البيت ، وسوف أدلك على الطريق » . فلما بلغا الدار ألقى الفلاح بما يحمل وأخذ دراهمه الخمسة ، حتى اذا هم بالانصراف سأل رب البيت أين تريد الذهاب فى هذا الوقت من الليل ؟ ، فأجابه : « أرحل فاست من أهل هذا البلد » ، فقال صاحب الدار : « أما علمت خوف الطريق ؟ ٠٠٠ بت الليلة عندى وتناول عشاءك » ، فاذا أصبحت رجعت الى منزلك !! « ١٠ »

فاستجاب له الرجل شاكرا يده عليه ، وأنساه الطعام الجيد ما عاناه من سخرية القوم به ، حتى اذا شبع سأل رب البيت « من أين أنت ؟ » ، فقال له « أنا من بادية أشبيلية » . فسأله : « يا أخى ما جاء بك الى هذا الموضع وقد علمت نكد البربر وشؤمهم وهوان الدماء عليهم ؟ » .

فقال : « حملتنى على ذلك الحاجة ، وماذا يدعوهم للتعرض بسوء لرجل تافه الثمن منلى ؟ » وراحا ينحدتان حتى . أحسن الفلاح بالنوم يقهره ، واذ ذاك سار به مضيغه الى المكان الذى أعده له ، وأراد الضيف أن ينام دون أن يخلع ملابسه الا أن القرمونى قال له : « اخلع عنك فهذا أهنا لنومك وأروح لجسمك » .

فخلع الرجل جبينه وسرعان ما استغرق في النوم .

حينئذ أخذ الجاسوس الجبة . ففتق بطانتها حيث وجد كتاب المعتضد
إليه فقراه وكتب رده في لحظته وجعله مكان كتاب الأمير ، ثم أعاد الجبة
إلى حيث وضعها الفلاح الذي بكر في الاستيقاظ ولبسها شاكرا للقرموني
حسن كرمه ، ثم انصرف عائدا إلى أشبيلية ، فلما دخلها وقف أمام المعتضد
وقص عليه خبره ، فقال له الأمير وقد تهدج صوته فرحا : « اخلع نلك
الجبهة واليك ثوبا جيدا » .

شعر الرجل بالفرح الشديد وأخذ ما خلعه عليه الأمير وراح يقص
في ازدهاء على أصحابه وجيرانه ومن يعرفهم أن الأمير شرفه بما يشرف به
ذوى المكانة وكبار عماله ، ولم يدر الرجل أن الأمير انخذل منه ساعيا عجيبا
يحمل الرسائل التي كانت لابد وأن تؤدي إلى قتله لو أنه وقع في يد
البربر ووقفوا على أمره (٧) .

★★★

كان أمير أشبيلية [المعتضد عباد بن محمد] واسع الحيلة ، ناجح
الوسائل في فنون الحرب وشتى ضروب المكائد ، وكان جم التدابير ،
مسرعا في التفنن في الكيد لمن يثير غضبه ، حتى لقد حدث ذات مرة أن
هرب منه رجل إلى قطر آخر وذهب إلى أقصى الأرض فلم ينجح ذلك من
انتقام الأمير المعتضد ، ويروون في ذلك أنه وضع يده على أموال رجل
أعمى ثم ذهب بباقي ماله حتى افتقر ، فمضى الرجل إلى مكة يلتمس فيها
العيش بالتسول ، ودأب في الدعاء جهرا على هذا الطاغية الذي اضطره
إلى سؤال الناس ، فلما علم المعتضد بخبره استقدم إليه رجلا من مواليه
كان ذاهبا إلى الحج وناولوه حقا فيه دنائير طلاها بالسهم الناقع وقال له :
« لا تفتح هذا الحق حتى تدفعه إلى فلان الأعمى ، وسلم عليه عنا » ، فوعد
الرجل بتنفيذ هذه الأوامر ومضى في سبيله ، فلما بلغ مكة لقي الكفيف
وقال له : « هذا من عند المعتضد » .

فقال الرجل : « كيف يظلمني بأشبيلية ويتصدق على
بالحجاز ؟ » .

فقال الحاج : « لعله أنكز ما فعله معك فخذ إليك ما بعته » .

فقال له الأعمى : « جوزيت خيرا واشكر للأمير يده » .

ثم أخذ المال وأسرع إلى كوخه الحقيق ، ثم أغلق بابا عليه وشرع
يعالج فتح الحق .

لم يكن من هناك هو أعظم فضوة وسرورا من هذا البائس الذي ظل

يصارع المثربة زمنا طويلا حين وجد نفسه فجأة وعلى غير انتظار رجلا موفور الثراء ، ولولا عمى عينيه لمتع ناظره بهذه الحفنة من الذهب ولافتتن ببريق تلك النقود ، غير أن ذهاب بصره حرمه لذة التمتع بذلك ، فقامت حاستا اللمس والسمع عنده مقام حاسة البصر ، واستبدت به الفرحة فأخذ يتحسس دنانيره ويتسمع رنينها ، ويعدها بين آونة وأخرى ، ويضعها فى فيه ويتذوقها ، فسرى السم الناقع فى دمه ، ولم يأت المساء حتى كان جثة هامدة (٨) .

لقد كان باديس والمعتضد رجلين فطين غليظي القلب ، ولكن فظاظة أحدهما كانت تختلف عن فظاظة الآخر ، فبينما نرى الأول يكشر فى نوبات غضبه الأحقق من قتل ضحاياه بيده، إذا بنا نرى المعتضد قل أن يجور على مهمة جلاده ، ومع أنه لا يحب تلطيخ يديه بالدماء إلا أن حفده كان حقا لا يهدأ سعيه ، وهو أشد تاججا مما فى نفس خصمه عليه .

كان باديس إذا مات عدوه هدأت شرة نفسه وقنع بما كان ، وعمد الى رفع رأس القتيلى على خشبة كما جرت العادة ، ثم لا يذهب الى ما هو أبعد من ذلك ، أما أمير أشبيلية فكان على النقيض منه لا تسهل سخيته أبدا ولا تتألف نفرتة قط ، بل انه ليتتبع ضحاياه حتى بعد قتلهم ، ولا يمل رؤية بقاياهم ارضاء لعواطفه الوحشية .

ولقد شابه الخليفة المهدى اذ كان يغرس الازهار فى جماجم قتلاه ، ويضعها فى درج قصره ومسالكه ، ويعلق بكل أذن رقعة تحمل اسم صاحبها ، وكان يشعر بالفرحة على حد قوله كلما سار فى تلك الحديقة التى لم تكن تحتوى الا على أغلى الرؤوس ألا وهى رؤوس الأمراء الذين تغلب عليهم وقهرهم ، بل كان يبالغ فى المحافظة على أمثال هذه الرؤوس فى خزانة داخل قصره (٩) .

على أن هذا الوحش القاتل كان يعد نفسه أعدل الناس ، وكأنه « تيتس » جاء لاسعاد النوع الانسانى فقال فى احدى قصائده :

فلو أردت الهى بالورى حسنا	فملكنى زمام العرب والعجم
فاننى لأعدلت الدهر عن حسن	ولا عدلت بهم عن أكرم النسيم
أقارع الدهر عنهم كل ذى كلب	وأطرد الدهر عنهم كل ذى عرم (١٠)

الفصل السادس

استفحال أمر المعتضد حريصا

تخوف المعتضد من بربر قرمونة على عرشه • حقهه على اسحق
ابن محمد بن عبد الله أميرها • حركاته العلوانى على مرتولة وليلة تؤدي
الى تحالف ضده • افساده فى نواحي بطليوس فى غياب صاحبها • هزيمة
المظفر بسبب رعونته • الصلح بين المظفر والمعتضد بفضل مساعى ابن
جهور • انصراف المعتضد الى مضايقة ليلة وولية وشلب • وعهده بالآخرة
الى ولده المعتمد ابن عباد • زيارته الفجائية لمورور وانفساد كبار بربرها
بالرشاوى • وقوفه على مؤامرة يدبرها بربر رندة وهو نائم عندهم
فيرفها فيكتنم علمه بها • البربر يدبرون هذه المؤامرة ولكن يسفها
ابن أبى قره من الناحية الأخلاقية •

المعتضد يدبر مؤامرة ضدهم ويقتالهم وهم ضيوفه ولا يستثنى منهم
سوى ابن أبى قره ويستبقه عنده مكرما • سقوط رندة فى يد المعتضد •

استفحال امر المعتضد حرييا

بعد أن فرغ المعتضد من قتل حبيب وزير أبيه وموضع ثقته (١) شرع في محاربة البربر لاسيما جيرانه بربر فرمونة ، وكان عنده من المبررات ما يدفعه للحقد عليهم ، فقد كان كبير الاعتقاد بأنهم لابد أن يسلبوا العرش منه أو من أولاده من بعده ان لم يبادر هو الى الوتوب عليهم والتخلص منهم ، وقد تنبأ له المنجمون أن زوال ملكه سوف يكون على أيدي جماعة من الوافدين (٢) على شبه الجزيرة ، ومن ثم بذل قصارى جهده لاستئصال سؤقتهم فحاربهم حربا دامت زمنا طويلا ، فقتل محمد [بن عبد الله] - أمير قرمونة - سنة ١٠٤٢ - ١٠٤٣ م [٤٣٣ هـ] بعد أن استدرجه رجال المعتضد الى كمين نصبوه له (٣) .

لكن ذلك لم يذهب بالكراهية التي ظلت في صدره باقية قوية فتحركت ضد ابنه اسحق (٤) .

على أن المعتضد قام في الوقت ذاته بعد حدوده غربا حيث انتزع في سنة ١٠٤٧ م [= ٤٣٨ هـ] « مرتولة » من ابن طيفور (٥) ، ثم ثنى بمهاجمة صاحب « لبلة » ابن يحيى الذي لم يكن بربريا بل عربيا ، بل ما كان للمعتضد أن يعبا بوشيجة النبعة هذه طالما هو يسعى لحدوده وتوسيع رقعة أرضه ، مما دفع ابن يحيى لعبور المضيق والقاء نفسه في أحضان البربر ، فنهض « المظفر » أمير « بطليوس » لمعاونته وصد المعتضد وكون حزبا قويا ضده ، وانضم اليه باديس ومحمد صاحب مالفه ومحمد أمير الجزيرة الخضراء ومن ثم قام أبو الوليد [محمد] بن جهور الذي حلف أباه سنة ١٠٤٣ م [= ٤٣٥ هـ] كرئيس لحكومة قرطبة وبذل قصارى جهده لتقريب سقاة الخلاف بين الفريقين ، لكن ذهبت كل جهوده ادراج الرياح اذ لم يصح أحد لسفرائه .

اتفق البربر فيما بينهم على الزحف على أشبيلية حالما تنجم قوانينهم - ويتصل بعضها ببعض ، الا أن المعتضد حال بينهم وبين ما يعتمرونه فقد اغتنم فرصة غياب المظفر [محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة] الذي لم تكن لديه قوة كافية للدفاع عن مملكته (٦) فعات في نواحي « بطليوس » ، ثم تولى بنفسه قيادة جيشه على غير عادته ، وزحف على « لبلة » وهاجم

الأعداء عند ممر قريب من أبواب المدينة ووردهم على أعقابهم الى « ريو تننو » ،
بيد أن المظفر نجح في جمع رجاله ودفعهم للقتال وأرغم المعتضد على
الارتداد .

اتصل المظفر بعدئذ بحلفائه ، لكن بينما كان هو وإياهم آخذين في
العيث بالندمير في الاقليم الشمالى انفصل يحيى عنهم ، وأرغمه المعتضد
على التحالف معه ، فعاقبه المظفر بالحوطة على الأموال التي كان قد عهد
بها اليه ، وشرع في نهب اقليم « لبلة » (٧) ، واذ ذاك استصرخ ابن يحيى
بالمعتضد الذي هاجم قوات « بطليوس » ودفعها الى كمين رصده لها وأنزل
بها الهزيمة ، ولم يكتف بهذا النصر بل أرسل ابنه اسماعيل فخر
ارباض « يابرة » .

وأراد ملك بطليوس دفع هذا الهجوم فأمر أن يحمل السلاح كل قادر
على حمله ، وجاءته نجدة من حليفه اسحق صاحب قرمونة وخرج بها لمقاتلة
العدو ، ونصحته بربر قرمونة أن يرجع عما هو بسبيله لكنه جعل كلامهم
دبر أذنه ، فقالوا له : « لا تلقهم فلست تعرف قدر من زحف نحرك ،
ونحن رأيناهم وسمعنا بجمعهم بأشبيلية » ، فلم يستمع المظفر الغضوب
الى كلامهم ومضى في طريقه ، وقد كلفته جرائته ثمنا غاليا اذ منى بهزيمة
ساحقة ، وفقد مالا يقل عن ثلاثة آلاف فارس من رجاله ، وكان من بين
القتلى ابن أمير قرمونة الذي تولى قيادة عسكر أبيه وقد حملت رأس هذا
النشاب الأمير الى المعتضد الذي وضعها الى جانب رأس جده .

وقدر لبطليوس أن تبقى زمنا غير قصير مسرحا لأحداث ضخمة حيث
أغارت الحوانيت وأقفرت الطرق من السابلة وهلك نخبة أهلها في هذه
الوقعة المبيدة (٨) ، وأراد الاشبيليون أن يبلغ النكدة غايته فدأبوا على
اتلاف المحاصيل حتى تهلك المبخاعة المملكة ، ووقف المظفر [محمدا بن
عبد الله] مكتوف اليدين ، فقد تخلى عنه حلفاؤه الذين توسل اليهم أن
يجيئوا لمساعدته فلم يستجيبوا له ، وقضى عليه أن يبقى ببطلينوس ساكنا
لا يستطيع القيام بعمل ما ، تقله الرعدة ويقطع أنامله غيظا ، ومع ذلك
لم تفارقه كبرياؤه فلم يشأ أن يقبل الصلح على الرغم من أن أعداءه
المنتصرين لم يرفضوا توسط ابن جهور ، بل تظاهر بعدم اكترائه بخسائره
حتى لقد بعث رجاله لشراء بعض المغنيات من قرطبة وكن نادرات الوجود
اذ ذاك ، وبعد طول البحث والتقصي عثروا على اثنتين متوسطتي المواهب ،
ولقد عجب الناس بادى ذى بدء لرعونة ملك بطليوس ، فقد عرفوه رجلا
وقورا منصرفا الى الجاد من العمل ، ولم يعهدوا فيه الميل من قبل الى
الجوارى ، ولم يفهم القوم سر اقدامه على شراء الفتيات واختياره بالذات
هذه اللحظة التي كانت بلاده خلالها مسرحا للخراب الشامل ، غير أن

العجب زال حين أدركوا سر سلوكه هذا ، ذلك أنه علم أن المعتضد اشتري جارية ذائعة الصيت حسنة الغناء حين تناهى الى سمعه خبر بيع مخلفات أحد الوزراء القرطبيين ، لذلك أراد المظفر أن يثبت لعدوه أن في طاقته الاهتمام بالجواري ، فقام واشترى هاتين الجاريتين .

غير أن ابن جهور دأب على اصلاح ذات البين ، وقدر لمجهودائه أن تكلل بالنجاح في شهر يوليو ١٠٥١ م [= ٤٤٤ هـ] اذ توصل المظفر والمعتضد حينذاك وبفضل وساطته الى عقد الصلح فيما بينهما بعد مفاوضة طال أمدها (٩) .

حينئذ جيش المعتضد جميع قواته ضد ابن يحيى صاحب بلبة الذي كان قد أذعن لمطالبه من قبل ، ولم ير المعتضد في هذه الحملة إلا نزهة حربية ، ولما كان ابن يحيى يدرك تمام الإدراك ضعف ما تحت يده من العسكر فانه لم يحاول الدفاع عن نفسه ، بل شخص الى مدينة قرطبة قاصدا أن يمضى بها بقية أيام حياته ، كما بع المعتضد اليه بكتيبة (١٠) لحراسه .

أما الأمير الذي كان يحكم في تلك الأثناء في « ولبة » وجزيرة « شلطيخ » الصغيرة واسمه [عز الدولة] « عبد العزيز البكري » [٤٠٣ - ٤٤٤ م] فقد أدرك أن قد حان دوره لكنه كان لا يزال يطمح في انقاذ شيء ما ، ومن ثم بادر الى مكاتبة المعتضد مهثا ايام بفتحه الجديد ، ومذكرا اياه بالعلاقات الودية التي كانت على الدوام بين أسرته وأسرة بني عباد ، وأعلن تبعيته له ، وتنازله له عن « ولبة » على أن يترك له جزيرة شلطيخ ، فقبل المعتضد عرضه وتظاهر برغبته في مفاوضته وجها لوجه ، ثم سار الى ولبة فرأى عبد العزيز البكري أن الصواب يقتضيه ألا ينتظره فانتقل بأمواله الى شلطيخ ، فلما استولى المعتضد على « ولبة » انكفأ راجعا الى أشبيلية ، الا أنه ترك بولبة أحد قواده ، وكانت مهمته منع [عز الدولة] عبد العزيز من مغادرة جزيرته ، والحيولة دون وصول أحد ما اليه ، فلما سمع عبد العزيز بذلك اتبع أقوم سبيل فأخذ في مفاوضة قائد المعتضد وباع لأمير أشبيلية مراكبه وعدده الحربية بعشرة آلاف دينار ، وحصل على الأذن لنفسه بالمضى الى قرطبة ، وأراد المعتضد الخائن أن يستدرجه أثناء رحلته الى شرك نصبه له ليستولى على ما معه من الأموال ، الا أن البكري أفسد عليه خطته وطلب من أمير « قرمونة » جماعة من الحرس استطاع بهم الوصول الى قرطبة سالما (١١) .

أخذ المعتضد بعد ذلك في مهاجمة ولاية « شلب » الصغيرة التي تخضعها جماعة من العرب هم بنو مزين (*) الذين كانت أملاك أسلافهم تمتد

(*) يضم الميم وفتح الزاي بعدها ياء ساكنة ثم نون .

فى تلك النواحى من شبه الجزيرة ، والذين شغلوا الوظائف الكبرى زمن
الأمويين (١٢) .

آثر أمير سلب الموت على الحياة فاستبسل غاية الاستبسال فى
الدفاع عنها ، الا أن الجيس الأشبيلي تمكن أخيرا من الاستيلاء عليها ،
وكان هذا الجيى بقيادة محمد بن المعتضد ، ولم تكن قيادته إياه الا اسمية
اذ لم يكن لبتجاوز اذ ذاك الثالثة (١٣) عشر من عمره ، وكان ابن مزين
قد بذل جهده حتى يموت فى ساحة الوغى الا أن المعتضد أبقى عليه وقنع
بنفيه (١٤) .

حينذاك عهد المعتضد بحكومة « شلب » الى ولده [المعتمد] محمد بن
[عباد] ، ثم سير جيشه للزحف على بلدة « شنت مرية » الواقعة قرب
الرأس الذى لا يزال يعرف الى اليوم برأس شنت مرية ، وكان الخليفة
سليمان قد أقطعها الى رجل اسمه « سعيد بن هرون » من « ماردة »
لا يدري أحد أصله ، فليس هو بالعربى وليس هو بالبربرى . والأرجح
أنه من أصل أسباني لأن الرجال المجهولين عند المؤرخين العرب انما هم فى
العادة من الأسبان ، فلما مات سليمان أعلن سعيد بن هرون استقلاله
بشنت مرية ، ثم خلفه فيها بعد موته ابنه محمد [بن سعيد المعتصم] الذى
هاجمه الأشبيليون فلم يصمد طويلا أمام هجماتهم ، واستولى المعتضد على
الناحية الممتدة من شنت مرية الى سلب وأراد أن يحكمهما معا ابنه
محمد (١٥) [المعتمد بن عباد] سنة ١٠٥٢ م [= ٤٤٤] .

أدت هذه الفتوحات السريعة الى اتساع رقعة أملاك صاحب أشبيلية
اتساعا عظيما فى الناحية الغربية ، على حين كانت فتوحاته فى القسم
الجنوبى الواقع تحت حكم أمراء البربر ضئيلة نسبيا ذلك لأن أغلب أولئك
الأمراء كانوا لا يزالون على وفاق مع المعتضد والاعتراف بسلطانه ، أو على
الأصح بسلطان المدعو هشام الناني ، غير أن المعتضد لم يقنع بما تم له ،
بل كان همه تمزيق أوصال أولئك الأمراء والاستيلاء على ما بيدهم من
الولايات ، لكنه أخذ نفسه بسياسة التمهّل والترثيث والحذر ، ونهج نهجا
اتسم بالاعتدال ، فلم يشأ أن يخاطر بنفسه فى محاولة صعبة الا بعد أن
يستتب له الأمر فى النواحى التى تم له فتحها .

بعد أن تم للمعتضد الاستيلاء على « شلب » استصحب معه خادمين
ورحل بهما لزيارة اثنين من أتباعه هما : « محمد » ابن نوح صاحب
« مورور » ، و « هلال بن أبى قررة » أمير « رندة » دون أن ينبئهما من
قبل بزيارته ، ولقد يعجب الانسان حقا حين يرى أنه لم يكن من العقل
ولا الصواب أن يضع المعتضد نفسه تحت رحمة أولئك البربر مع ما يضررونه

له من المقت الشديد ، لكن الواقع هو أنه لم تكن تنقصه العجأة ، وانه كان يشق بصدق عهود غيره ، رغم ما طبع عليه هو نفسه من الغدر بجميع الناس وعدم وفائه بما يقطع لهم من عهود .

وصدق ظنه فقد لقي أحسن استقبال في « مورور » ، ولم يخف « ابن نوح » فرحه بهذه الزيارة غير المتوقعة ، فبالغ في اقامة اللوائ له ، وعاد يؤكد من جديد بقاءه على الولاء والطاعة ، غير أن المعتضد لم يكن قد حضر ليسمع السناء عليه أو لبرى الترحيب به ، لكنه جاء من أجل غرض آخر ، ذلك أنه أراد أن يسبر غور القوم في الميل اليه ، وأن يكتسب إلى جانبه - ان أمكن - فريقا من ذوي النفوذ ، وأدرك في سر أن السكان العرب يتحرقون شوقا للتخلص من نير البربر ورأى أنه مستطيع الاعتماد على معونتهم اذا جد الجدد وتعقدت الأمور ، وقد تمكن المعتضد بفضل ما حملة خادميه من الأحجار الكريمة والمال أن يفسد كثيرا من الضباط البربر على رؤسائهم دون أن يحدس [محمد] بن نوح بمكائده .

رضى المعتضد كل الرضى بما تمخضت عنه هذه الزيارة من النتائج ، ثم تابع رحلته إلى « رندة » حيث قوبل فيها بنفس الاستقبال الكريم والروح الطيبة التي قوبل بها في « مورور » ، ونجحت وسائله السرية هنا أيضا ، بل ربما كان نجاحها هنا أعظم ، ذلك لأن عرب « رندة » كانوا أكثر تطلعا من عرب « مورور » للتححرر من حكم البربر .

والظاهر أن بنى أبى قره كانوا أقسى من بنى نوح ، ومن ثم نصب المعتضد شباك مؤامرة واسعة النطاق لا تلبث أن تنفجر عند أول إشارة ، فقد حدث في ختام إحدى اللوائم - وقد استبدت الخمر بالرؤوس أن أحس المعتضد بحاجته إلى النوم فأبدأها لمضيفه فقال له أبو قره : « افعل ما بدى لك يا مولاي » ثم سبجاه على الفراش .

ومضى بعض ساعة ظن القوم أن المعتضد قد استغرق في سباته ، وما كان الأمر كما ظنوا فقد كان متظاهرا بالنوم واذا ذاك نهض أحد شيوخ البربر وسأل عشيرته أن ينصتوا اليه برهة فان عنده خبرا هاما ، فأنصتوا اليه فقال لهم بصوت منخفض : « هذا كبش سمين حصل لكم ، والله لو أنفقتم ملك الأندلس عليه ما قدرتم على حصوله في أيديكم ، وهو شيطان الأندلس ، واذا قتل خلصت لكم البلاد » ، فلم يجيبوه ولاذوا كلهم بالصمت كان على رؤوسهم الطير واكتفوا بتبادل النظرات ، وكانت فكرة قتل هذا الرجل الذي يخشاه الجميع ويمقتونه ويسرفون أساليبه الملتوية ترضى كل الرضى أولئك الرجال الذين ألفوا جميع ضروب الجرائم منذ صغرهم ولم تظهر على قسمات وجوههم السمراء دلائل الدهشة أو

الامتعاض ، الا أن رجلا من بينهم - كان أصدق منهم وفاء - سهر بهياج دمه حين فكر فى ضخامة الخيانة الدنيئة التى هم مقدمون عليها ، ذلك هو « معاذ بن أبى قرّة » أحد أقارب أمير رندة ، فاتقدت عيناه غضبا وهب واقفا وقال لهم فى صوت خافت وان يكن قوى النبرات :

« لا فعلنا هذا ولا رضينا به ! » .

« رجل قصدنا ونزل بنا ولو علم أنا نرضى فيه بقبيح لما أتانا مستأما
الينا » .

« كيف تتحدث عنا القبائل أننا قتلنا ضيفنا وخفنا ذمتنا ؟ » .

« فعلى من يرضى هذا لعنة الله » .

أثر هذا القول الكريم فى نفوس البربر وحرك معاذ « بن أبى قرّة » فيهم الشعور بما تقتضيه واجبات الضيافة ، فكأنه بذلك مس من قلوبهم وترا من العبث أن يتلاشى عند شعوب آسيا وأفريقية .

كان المعتضد فى تمام اليقظة وان تظاهر بالنوم ، فسمع كل الذى قالوه وهو مكروب أشد الكرب ، الا أن كلام معاذ فيهم رد عليه جأشه وطمان خاطره ، فتظاهر بالاسنبقاط وانضم اليهم فى مجلسهم ، فبادروا جميعا للوقوف له مجددين السلام عليه والتلطف اليه ، وقبلوه ، وراحوا يتملقونه كأنما وخزتهم ضمائرهم ، ولعلمهم أخذوا يلومون أنفسهم سرا على أن خطرت ببالهم فكرة اغتيال ضيفهم حين قال لهم الأمير :

« ما حملت معى من الخلع غير القليل ، فاتونى بدواة وقرطاس ،
وليكن لكل منكم خلع ودنانير وأفراس وعبيد وجواري » .

فلبوا منيئة الأمير الذى ما كاد يبلغ أشبيلية حتى نوافدت عليه رسل البربر زرافات بعضها فى أثر بعض ، ثم عادوا من عنده الى « رندة » محمكين بالهدايا الرائعة .

وتوثقت عرى المودة بين المعتضد والبربر منذ ذلك الحين ، وسحب النسيان ذيوله على ما كان بين الجانبين من أحن وأحقاد ، وحل محل ذلك كله رباط وثيق من المودة التى لا انفصام لها ، وتمكنت بين الطرفين وشائج المحبة والصداقة العظيمة القلبية ، حتى اذا انقضى نصف عام على زيارة المعتضد لرندة ومورور كتب الى شيوخهما يدعوهم الى وليمة كبرى يقيدها خصبضا لهم ، زاعما أنه يريد إظهار شكره لهم جميعا على جميل لقاءهم اياه ، كما بعث فى دعوة ابن خزرون البربرى صاحب أركس وشريش ، وسرعان ما وصل الأمراء الثلاثة الى أشبيلية سنة ١٠٥٣ م = ٤٤٥ هـ .

فبالغ في اكرامهم غاية الاكرام و « طيب لهم ولن معهم الحمام » كما جرت العادة ، الا أنه احتال فأبقى معاذا المشاب الى جواره .

ودخل الحمام ما يقرب من ستين بربريا فلما نضوا ما عليهم من النياب في الحجرة الأولى دلفوا الى الثانية وهي الحمام ذاته ، وكان كمثله اليوم (*) في البلدان الاسلامية مبنيا من الحجارة ومغطى بالرخام ، تعلوه قبة بها فتحات على شكل نجوم عليها زجاج خشن غير مصقول وتمتد القنوات من الرخام بعضها الى جانب بعض وتخرج من الجدران أنابيب تتصل بمراحل تجعل درجة الحرارة شديدة الارتفاع .

بينما كان البربر يعمون بلذة الاستحمام سمعوا شبه حركة كأنها صادرة من بنائين يقومون بالبناء فلم يلقوا الى ذلك بالا في بادئ الأمر ، الا أن الحرارة اشتدت حتى أصبحت لا تطاق فعالجوا فتح الباب لكن ما كان أشد فزعهم حين وجدوه قد سور من الخارج وأغلقت عليهم جميع منافذ الهواء فاخنقوا جميعا وهلكوا حيث هم (١٧) .

طال انتظار معاذ لرفاقه فاشتد قلقه عليهم ، ثم نجاس على الاستفسار من المعتضد عن سر إبطائهم في العودة اليه ، فلم يكتمه الأمير الخبير ، ثم قال له وقد لاحظ ما ارتسم على وجهه من امارات الفزع المروع :

« لا يرعك الذي جرى ، فقد حضرت آجالهم » .

« لقد أرادوا قتلى ولولاك ما كنت حيا ولا نجوت منهم » .

« وانما جعل الله صيانة دمي بك ، فان أردت أن أقاسمك في جميع ما أنا فيه فعلت » .

« وإن أحببت الرجوع الى بلدك رددتك على أجمل الوجوه وأحسنها وأسرها » .

فرد عليه معاذ في صوت فيه رنة الاسى العميق : « وبأى وجه أرجع أنا دونهم ؟ » .

فقال له المعتضد : « لا عليك ، وابق معي ان شئت » .

ثم التفت الى أحد خدمه وقال له :

« أعد للأمير فصرا ، ورتب له ألف دينار وعشرة أفراس وثلاثين جارية وعشرة أعبد » تم عاد مخاطبا معاذا قائلا له : « ولك كل عام اثنا عشر ألف دينار » .



(*) كتب هذا منذ قرن تقريبا وقد اندثرت هذه الحمامات اليوم أو كادت . انظر :

Lane : Modern Egyptians

أقام معاذ في أشبيلية ينقلب في مطارف النعيم والبلهنية ، واعتاد المعتضد أن يرسل اليه كل يوم غالى الطرف وأندرها ، كما وكل اليه قيادة إحدى كنانب جيشه (١٨) . وكان كلما جمع وزراءه لمشاورتهم في شئون الدولة جعل الصدارة فيهم لمن هو مدين له بحياته .

وضع المعتضد رؤوس أولئك السادة البربر في خزانة رؤوسه العجيبة التي كان يلذ له التمتع بمشاهدتها ، ثم أنفذ جنده للاستيلاء على «أركش» «ومورور» «وشريس» «ورندة» وغيرها من الأماكن . ولم يجد الجند عناء في تحقيق مهمتهم بفضل مساعدة السكان العرب لهم ، وبفضل معونة الخونة الذين استطاع المعتضد رشونهم فاشتراهم الى جانبه ، غير أن الاستيلاء على «رندة» - التي ولى الحكم فيها «أبو نصر» - مكان أبيه المقتول استلزم من العسكر جهدا غير قليل ، وذلك لقيامها على جبل شاهق الارتفاع وحولها المنحدرات التي يصعب اجتيازها ، غير أن العرب تكاتفوا جميعا وقاموا بالثورة على البربر ووثبوا عليهم وفتكوا بهم فنكا ذريعا ، حتى ان أبا نصر ذاته حاول النجاة فلم يفلح ولم يستطع الهرب ذلك أنه في اللحظة التي حاول فيها تسلق السور زلت قدمه ، ونذرج جثمانه فهوى الى قاع ذلك المنحدر (١٩) .

أحس أمير أشبيلية بالفرح الشديد اذ سقطت رندة في يده ، وبادر الى المبالغة في تحصينها تحصينا أعظم مما كانت عليه من قبل ، فلما فرغت أعمال التحصين نهض لمشاهدتها ، فلما وقف أمامها شعر بالطمأنينة تغمره وأنشد (٢٠) :

لقد حصنت يا رنده	فصرت للكنيا عبده
أفادتنك أرمح	وأسياف لها حده
وأجناد أشداء	اليهم تنتهي الشده
غدوت بروني مولى	لهم ، وأراهمو عبده
سأفنى مدة الأعداء	ان طالت بى المدة
وتبلى بى ضلالتهم	ليزداد الهدى جده
نظمت رؤسهم عقدا	فحلت لبسة السده

الفصل السابع

انتقام باديس

اضطراب أحوال باديس النفسية • تدبيره خطة للانتقام من العرب
ومعارضة صمويل له • متابعة باديس لمؤامراته وتسريب صمويل خبرها
للعرب على يد حريم كبار رجال البلد • اضطراب أحوال المهاجرين وهروبهم
الى سبتة وموتهم جوعا • مقتل بربر رندة •
المعتضد يفتح الجزيرة الخضراء • اعلانه موت هشام الثاني • البزلياني
يحرك اسماعيل بن المعتضد ضد أبيه • نهب اسماعيل قلعة أشبيلية
وتفكيره في العودة للجزيرة الخضراء • المعتضد يفسد على اسماعيل خطته •
ويتظاهر باستجابته للحصرى في العفو عن ابنه اسماعيل • الصراع الخفي
بين الوالد والولد • انتشار الثورة بين البربر • هزيمة جيش اشبيلية
وغضب المعتضد على ولده المعتمد وضربه المتوردين بيد من حديد •
موت صمويل وتولى ابنه يوسف مكانه • عنجهية يوسف تؤدي الى غضب
العرب والبربر واليهود منه • الصراع بين يوسف بن صمويل وأبى اسحق
الليبري • مصرع يوسف بن صمويل •

انتقام باديس

بينما كان المعتضد ثملا بانتصاراته ، مسلما نفسه الى فورة النشوة كان باديس فريسة اضطراب راح ينزايده يوما بعد يوم تزايدا أفضى به الى أن يمزق ثيابه ، ويسلم نفسه للحزن ويستولى عليه الغضب فيستخرط فى البكاء ، وذلك حين تنهى الى سمعه نبا النازلة المروعة التى ألت بأدرا ، البربر ، وتناهيته الأفكار السوداء ، وأقضه ما علمه من تحرك جميع عرب « رنسة » بدافع العامل الوطنى فقاموا كلهم قومة رجل واحد للفتك بهضطهدهم ، ولم يكن هناك من يفهم « باديس » أن رعيته من العرب لم تتفق مع « عباد » ولم تتآمر معه عليه وعلى عرشه ، وهى الفكرة التى لم تفارقه ليلا ولم تبارحه نهارا ، بل انها أقضت مضجعه حتى بات يهدى ، وكان اذا اشتد به الغضب صاح وسب من حوله ، ثم يستولى الخوف على نفسه وتسود أمامها السبل فيلزم الصمت الممض وتملكه الكآبة فيصبح كالشجرة التى ضربتها صاعقة ، وكان ذلك مستغربا منه ، ثم يعكف على الشراب .

ودبر « باديس » فى السر مشروعا مروعا ، ذلك أنه رأى أن ابن يطمن له بال مادامت بلاده تزدحم بالعرب ، وخيل اليه أن الفطنة تقتضيه استئصال شائفتهم ، واتفق على أن ينفذ خطته فى يوم الجمعة التالى حين يؤم جموعهم المسجد للصلاة .

ولما كان لا يقضى أمرا دون مشورة وزيره « صمويل » اليهودى فقد أنهى اليه ما انتهى اليه تدبيره ، وان يكن قد أفهمه عزمه القاطع على تنفيذ هذا الأمر سواء رضى « صمويل » عنه أم أنكره .

ولم يدخر اليهودى وسعا فى اظهار ما ينطوى عليه مشروع الأمير « باديس » من الخطر ، وحاول أن يثنيه عنه ويحملة على نبذه ، وساله أن يتدبر الأمر ويتروى فينظر بعين واعية فيما تتمخض عنه هذه الخطة من العواقب قائلا له :

« هبك وصلت الى ارادتك ممن بحضرتك على ما فى استباحتهم من الخطر ، فكيف تقدر على الاحاطة بجميعهم من أهل حضرتك وبسائط أعمالك ؟ أتراهم يطمنون الى الدهول عن مصائبهم والاستقرار فى

مواضعهم ؟ ما أراهم الا سيوفا ينتظمون عليك فى جموع يفرقونك فى لججها أنت وجندك ! » .

وعلى الرغم من وجاهة هذه الآراء الا أنها لم تجده استجابة فى نفس « باديس » الذى أصر على مشروعه ، وطلب الى « صمويل » أن يكتنم الخبر كان لم يدر به ، لكنه فى الوقت ذاته أمر باتخاذ جميع الاستعدادات والتهاب ليوم الجمعة الذى اجتمع فيه شمل الجند وهم فى كامل عدتهم وسلاحهم بدعوى القيام بالاستعراض .

الا أن « صمويل » لم يقف ساكنا ، بل أرسل خفية الى شيوخ العرب وكبارهم بعضا من النسوة اللاتي يعرفنهم ، ينصحنهم بعدم الذهاب يوم الجمعة الى المسجد للصلاة ، ويشرن عليهم بالبقاء فى بيوتهم فى ذلك اليوم . فامتثل الرجال لما أشارت به عليهن النسوة ، فلما كان يوم الجمعة المضروب لم يغش المسجد للصلاة سوى نفر قليل من العامة ، فاحتد باديس غضبا من فشل تدبيره ، واستقدم اليه « صمويل » وعنفه « وقلده البوح بسره الذى ائتمنه عليه » ، فأنكر الوزير ما اتهمه به « باديس » وقال له :

« من أين ينكر على الناس الخبر وأنت قد استركبت جندك وجميع جيشك فى التبعة ، لا لسفر ذكرته ، ولا لعدو وثب عليك ، فمن هناك حدس القوم على أنك تريدهم ، وقد أجمل الله لك الصنع فى نفارهم ، ووقاك شرهم . فاعد نظرك يا سيدى فسوف تحمله عاقبة رأبى وغبطة نصحى » .

الا أن « باديس » ظل رافضا هذه النصيحة بدافع من سورة غضبه الرعناء حتى جاءه شيخ من شيوخ البربر فأيد الأسباب التى ذكرها « صمويل » ، واذا ذلك فقط اعترف « باديس » بخطئه (١) ، ولم يعد يفكر منذ ذلك الحين فى استئصال شأفة رعاياه العرب ، الا أن الحاج الهاربين من « مورور » و « أركش » ، و « رندة » الذين قدموا الى غرناطة التماسا للحياة فيها قد حملة على عقد النية على معاقبة العدو الخائن لبنى جنسه ، ومن ثم خرج لغزو « أشبيلية » على رأس جنده ومن عنده من المهاجرين (٢) . ولمست لدينا تفاصيل وافية عن هذه الحرب ، لكن كل ما هناك يحمل الانسان على الظن بأنها كانت حربا دامية ، لأن الرغبة فى الانتقام لمقتل البربر كانت تسعر نار الحقد فى قلوب رفاقهم ، ولأن الكراهية التى يضمها العرب - من جانب آخر - لأهل غرناطة كانت أشد من كراهيتهم للبربر ، اذ كانوا يعدونهم فسقة كفارا ، وأعداء الداء للدين الاسلامي لأنهم قبلوا أن يستوزروا يهوديا ، حتى لقد قال أحد الشعراء الأشبيليين فى تهنية للمعتضد بالنصر (٣) :

سقيمت بسيفك أمية لم تعتقد الا لليهود وان تسمحوا بربراً
 ومن ثم كان الانسبيليون يعدون محاربة أهل غرناطة جهاداً يتابون عليه ،
 فقاتلهم أشد قتال حتى أرغموهم على الارتداد ، كما ساءت حال أولئك
 « المهاجرين » اذ لم يسمح لهم المعتضد بالعودة الى وطنهم ، ولم يقبل
 « باديس » اقامتهم في غرناطة ، فاضطروا الى عبور المضيق حيث أرسوا
 على مقربة من « سبتة » ، غير أن أميرها « سنوت » كره وجودهم هناك ،
 ولما أنكرهم الناس جميعاً في وقت كانت المجاعة ابانه تخرب أفريقيا فقد
 عملت فيهم المجاعة عملها وأفنت منهم العدد الجم (٤) .

التفت المعتضد بعد ذلك الى محاربة « القاسم الحمودى » أمير الجزيرة
 الخضراء الذى كان أضعف أمراء البربر ، فلا عجب اذن اذا ما بادر القاسم
 الى الاستسلام ، طالبا من « المعتضد » الترفق به ، فأذن له « المعتضد »
 بالاستئصال (٥) الى « قرطبة » وذلك سنة ١٠٥٨ [٤٥٨ هـ] .

ولما فرغ « المعتضد » من هذا الفتح الجديد رأى ان الوقت قد آن
 لانزال السنار على المهابة التى ظل يقوم بتمثيلها حتى ذلك الحين ، وكن
 فيها مقتنيا خطرات أبيه ، وذلك بأن جاهر فأعلن موت المدعو « هشاما »
 الثانى وذلك لزوال الدواعى والأسباب التى كانت تجعل أباه على استغلال
 اسم ذلك السلطان ، ولاعتقاد الجميع اعتقاداً جازماً باستحالة العودة الى
 الماضى ، ولايمانهم بأن الخلافة قد انتهت الى غير رجعة ، وقد بددت
 التجربة كل شك حول هذه المسألة ، ولم تعد هناك جدوى ترتجى من
 « حصرى » قلعة رباح ، وليس من المستبعد أن يكون الموت قد اختطف
 منذ سنوات عدة هذا الرجل الذى لم يره أحد قط من الشعب ولا البلاط ،
 كما أنه لا يستبعد أيضاً أن يكون المعتضد قد مل ثوابه عند ومقامه لديه
 فقتله : وهذا خبر يذهب الى تأكيده رهط من المؤرخين الثقات ، وان كنا
 لا نستطيع الجزم برأى قاطع فيه ، لأن أمير أشبيلية كان اذا أراد شيئاً
 عرف كيف ينجزه دون أن يعلم أحداً ما شيئاً عنه .

لذلك قام « المعتضد » فى سنة ١٠٥٩ م [٤٥١ هـ] بجمع وجزه
 سكان عاصمته ، وأعلن اليهم أن الخليفة هشاما قد مات منذ حين بالصرع ،
 ثم زاد فقال ان الأمور اقتضت اذ ذاك أن يكتم هذا الخبر لانشغاله بحرب
 جيرانه . أما وقد استقر السلم بينه وبينهم فلا خوف عليه ان هو صرح
 بموته ، وحينذاك عمد الى دفن جثة « حصرى » قلعة رباح بكل ما يليق به
 من الاحترام كسلطان وأحاط الدفن بكل مظاهر الأبهة .

ولما كان « المعتضد » ذاته حاجباً لهشام فقد صحب الجثة مترجلاً
 دون طيلسان كما نعى موت الخليفة الى جميع حلفائه فى الشرق سائلاً

أياهم اخيار غيره ، وكان ذلك العمل منه أمرا لم يخطر ببال أحد منهم بطبيعة الحال ، ويقال انه ادعى حينذاك أن الخليفة الراحل استعمله على كل بلاد الأندلس (٦) ، ولا مشاحة في أن المعتضد كان يسعى سعيا حثيثا لبلوغ هذه الغاية التي كرس لها جميع جهوده وبذلك أخذ يتطلع للاستيلاء على عاصمة الخلافة القديمة .

عبر أن المقادير كانت تضر له الفشل الذريع .

كانت قوات « المعتضد » قد شنت كثيرا من الغارات على أرباض « قرطبة » ، وفي سنة ١٠٦٣ م [٤٥٦ هـ] (٧) أنفذ أمره إلى ولده البكر وقائد جيشه « اسماعيل » بالاستيلاء على مدينة « الزهراء » التي كانت نصف مخربة ، وكان ابنه اسماعيل كارها لهذا التكليف ، معترضا عليه لاستيائه من سياسة أبيه وتأفقه من شرسته واستبداده ، حتى لقد اتهم أباه بأنه كثيرا ما عرضه للأخطار الجسام في الوقت الذي رفض فيه أن يمد له بالعدد الكافي من الجند اللازم للقتال أو محاصرة مكان من الأماكن الحصينة ، كما أن هناك رجلا أفاقا طامعا أخذ في تسعير غضب اسماعيل على أبيه « المعتضد » ذلك هو « أبو عبد الله البرزلياني » (*) الذي هاجر من مالقة حين استولى « باديس » عليها وآلت إلى قبضته .

كان هذا اللباس يطمح أن يبلغ بأى تمن مربية الحجابة ، ولم يكن يعنيه لمن يستوزر ولا أين يستوزر ، ومن ثم حاول أن يبيت في نفس اسماعيل فكرة التمرد على أبيه ، ويغريه بتأسيس إمارة مستقلة في أى ناحية ، ولتكن الجزيرة الخضراء مثلا ، ونجح البرزلياني أشبه التوفيق في خطته ، ذلك أنه في اللحظة التي تلقى فيها اسماعيل الأمر بالزحف على مدينة « الزهراء » كان الغضب قد بلغ به غايته في نفسه وطفح الكيل ولم يعد يحتمله . ومما يؤسف له أن أباه عاد فرفض من جديد امداده بالقوات التي طلبها منه ، وراحت جهود الابن اسماعيل عبثا في محاولته افهام أبيه استحالة مهاجمة إمارة قرطبة بهذا العدد الضئيل من الجند لا سيما إذا نهض باديس إلى نجدة القرطبيين وهو أمر كان لا بد أن سيفعله . إذ كان حليفهم ، وحينذاك يقع اسماعيل بين سقى الرحي ، فام يبد « المعتضد » مبالا لسماع رأيه ، ولم يعرفه أذنا صاغية ، بل حنق عليه وقام في سورة غضبه فرمى ابنه بالجبن ، وأخذ يتوعده ، وكاد أن يقرن القول بالفعل إذ قال له : « لئن توانيت عن طاعتي حززت رأسك » .

خرج اسماعيل بالجبن وهو مجروح الكرامة ناثر الصدر على أبيه ؛ غير أنه مضى لاستئثار البرزلياني الذي استطاع التغلب على مخاوفه في سر ، وأفهمه أن قد دنت ساعة تنفيذ ما اتفقا عليه من قبل .

(*) البرزلياني بكسر الباء الموحدة وسكون الزاي وكسر اللام بعدها ياء مثناة من تحت والفاء ثم نون وياء .

حينئذ أصبح اسماعيل على مسيرة مرحلتين من أشبيلية أقصى الى ضباطه أن قد سقطت عليه من عند أبيه رسالة يطلب اليه فيها المبادرة بالعودة اليه ، وان هناك أمرا خطيرا يقتضى مشافهته فيه ومناقشته اياه . ثم سحب البزلياني وثلاثين من حرسه وركبوا الجياد وعادوا على جناح السرعة الى « أشبيلية » النى لم يكن « المعتضد » بها آنذاك ، بل كان مقيما بحصن « الزاهر » الواقع على الجانب الآخر من النهر ، ووجد اسماعيل قلعة أشبيلية ضعيفة الحراسة فهاجمها واستولى عليها وقتلها ان الظلام قد مله طلبه على الدنيا ، ثم حمل ثروة أبيه على الدواب .

ورغبة من اسماعيل فى ألا يتمكن أحد من عبور النهر وينهى الى نازل حصن « الزاهر » خبر ما جرى فقد عمد الى اعراف السفن الراسية أمام القلعة ، ثم أخذ أمه ونساء الحريم وسار قاصدا الجزيرة الخضراء .

لكن على الرغم من الاحتياطات التى اتخذها اسماعيل للحيلولة دون وصول الخبر بما جرى الى أبيه فان أحد فرسان الابن استعجب مسلك الابن الشنيع فعبّر نهر الوادى الكبير سباحة وأفضى بالعصا الى المعتضد الذى بادر فى الحال الى انهض الفرسان لسد جميع المسالك أمام العصبة الفارين ، وأرسل الرسل الى أصحاب القلاع فأخبروهم فى الوقت الملائم بما جرى ، فلا عجب ان وجد اسماعيل أبواب جميع الحصون التى مر بها مغلقة فى وجهه ، وخاف أن يجتمع أصحابها على مهاجمته ، فالتمس حماية « الحصادى » أحد أصحاب الحصون الواقعة على قمة جبل قرب كورة « شذونة » ، فأجابه « الحصادى » الى ما طلبه وان اشترط عليه البقاء حيث هو عند سفح الجبل ، ونزل اليه هو نفسه فى فريق من عسكره ، وأشار عليه حصافة أبيه ومصالحته ، وعرض عليه أن يسعى هو بينهما فى ذلك الصباح ، فقبل اسماعيل كل ما اقترحه « الحصادى » حين أدرك أن خطئه آيلة للفشل ، وحينذاك أذن له « الحصادى » بدخول الحصن وعامله معاملة كريمة تتفق ومكانته ، تم أسرع فكانت « المعتضد » ذاكرة له أن اسماعيل نادم على ما كان منه من هفوة فى حقه ، وأنه تائب عما حدث ، والتمس منه العفو عنه ، فرد « المعتضد » ردا لم يكن متوقعا اذ بعث بالأمان الى ولده عن زلته .

حينذاك عاد اسماعيل الى « أشبيلية » فترك له أبوه جميع أملاكه ، وان يكن فى الوقت ذاته قد أخذ فى مراقبته مراقبة دقيقة ، ولكنه أمر بقتل « البزلياني » ومن معه من المتآمرين ، فلما تناهى خبر ذلك الى اسماعيل - وكان خير من يعرف دهاء أبيه ومكره - لم يعد يرى فى صفح أبيه عنه الا شركا نصبه لاصطياده وللإيقاع به ، فشرع منذ ذلك الحين فى التأهب للعمل ، واستطاع بفضل المال يبسط به راحته أن يضم الى صفه الخرس

وبعضاً من العبيد الذين جمعهم ذات ليلة وفرف فيهم السلاح ودعاهم
لشراب ليذهب عنهم الجبن ، ثم تسلق بهم القصر من ناحية ظن أنه من
اليسير مهاجمته منها ، وكان يطمع أن يجد والده في هذه اللحظة يغط في
سباته ، وصمم في هذه المرة على قتله وكان تصميمه باناً . غير أن
« المعتضد » باغتهم على غير توقع منهم وهو على رأس جنده ، فأوقع في
يد المتآمرين فنبه من نساقتوا لمراه ومنهم من فروا على وجوههم ، أما
اسماعيل فقد نجح في اجتياز سور المدينة ، غير أن العسكر المدجج بالسلاح
انطلقوا في أثره فأدركوه وأمسكوه وردوه .

استورى غضب الأب فقاد ابنه الى أسفل القصر وأبعد جميع الناس
وقتل بيديه (أ) ، وفعل مثل هذا برفأقه المتآمرين معه وبأصدقائه وخدمه
بل وبالحرير أيضاً ، وقتل البعض منهم سرا والبعض الآخر جهراً .

حين انغنا غضب الطاغية الح عليه الشجر المقيم وأمضه نائب الضمير
وراح يبرر فعلته بأن لاشك في أن هذا الابن الذى تمرد عليه وحاول اغتياله
والخوطة على أمواله وحريره إنما هو مجرم مولغ في الاجرام ، لكن على
الرغم من تكرار « المعتضد » هذا الكلام لنفسه الا أنه لم يستطع أن ينسى
أنه كان يحبه ، وأن حبه له كان حبا صادقا ، فقد كان المعتضد شديد
التعلق بأسرته رغم ما طبع عليه من الشدة .

لقد كان هذا الابن [اسماعيل] فطنا سيده الرأى ، ومردى حرب
وفارس بهمة ، وكان أبوه يعلمه ويدخره ليكون درعا له في شيخوخته
وليتابع أعماله . أما الآن فما هو ذا يحطم بيديه أعز آماله ، حتى لقد حكى
أحد الوزراء الأشيبيين أنه دخل مع رفقة له على المعتضد بعد ثلاثة أيام من
قتله لولده فأروا وجهه مربدا ، فلم يجروا على بدنه بالسلاسل ، وأرتج عليهم
الكلام ، فصوب المعتضد فيهم نظره وصعد وزار كالأسد وصاح فيهم :
« يا شامتين ٠٠٠ ما لي أراكم ساكتين ؟ ٠٠ اخرجوا عني !! » .

وتحطمت لأول مرة هذه القوة الطاغية وتلك الإرادة الحديدية ،
أما فؤاده الذى كان يبدو كما لو كان فى كنانة تحميه من السهام فقد
أصيب بجرح أخذ فى الاندمال على توالى الأيام ، وإن يكن هذا المرح قد
ترك فيه ندبة عميقة ظلت باقية على الدوام .

بقيت « جمهورية » قرطبة فى هذه الأثناء تنعم بالهدوء الذى أدهشها
وإن استراحت اليه ، وكف المعتضد عن التفكير فى مشاريعه الضخمة ،
لكنها عادت دون أن يشعر بها ، وكانت « مألقة » هى التى أيقظت الراقدة
من غفوته وأرجعته الى مطامعه ، ذلك أن عربها كانوا قد طأطأوا الهام
منذ سنوات عدة أمام نير « باديس » الا أنهم دأبوا على التذمر من طغيانه ،

ررأودتهم المطامع أن يكون خلاصهم على يد أمير « أشبيلية » رغم ما يعرفونه عنه هو الآخر من شدة الجور ، بيد أنهم كانوا يؤثرون أن يكون الطاغية من بنى جنسهم عن أن يكون من البربر ، ومن ثم انصلوا بالمعتضد وابعقوا معه على تدبير المؤامرة التى سيجهم باديس ذاته عليها بسبب اهماله وانصرافه عن معالجة شئون الدولة الا فى النادر ، اذ كان مسلما نفسه على الدوام الى صبيوانه ، منكبا على شرايه .

فلما كان اليوم المحدد للمؤامرة اجناحت العاصمة نورة جارفة عنها ، وتمرد خمسة وعشرون حصنا ، كما عبرت فى الوقت ذاته الحدود فترات « أشبيلية » بقيادة « المعتمد بن المعتضد » ناهضة لمعونة البوار ، وبوعت البربر بهذا الهجوم ، فحكم المغير والشوار السيف فى البربر ولم ينج منهم الا من أسعفه الظروف بالفرار . ولم ينقض غير أسبوع واحد الا وقد أصبحت جميع نواحي الولاية فى قبضة أمير أشبيلية ، ولم يعز عليه الا حصن « مالقة » الذى تقوم على حراسته حماية من السودان المغاربة ، فقد استطاع هذا الحصن المقاومة طويلا بفضل مناعته ووقوعه على قمة أحد الجبال الناهضة الارتفاع ، فخاف الأمير أن يقتنم « باديس » ذاك الفترة فينهض لنجدة المحاصرين ، وطبيعى أن يشغل هذا الخاطر تفكير «وقدى الثورة ، ولذلك فانهم أشاروا على المعتضد بأن يشدد الحصار على الحصن ، وأن يعتمد على حراستهم هم أنفسهم اياه ، والا يسرف فى الثقة بالعدد الكثيف من البربر الذين يستنخدمهم فى جيشه . . . فلم يصنع المعتمد الى تلك النصائح رغم وجاهتها ، بل ان ما طبع عليه من التراخي وعدم الطنة أديا به الى الفرج بترحيب الشعب الذى أعجبته منه معاملته الودية فاستنمع الى ضباطه البربر الذين يعطفون سرا على « باديس » فخدعوا المعتمد اذ أكلوا له قرب استسلام الحصن لهم من ثلقاء ذاته ، كما اعتقد سواهم من الجند بأنهم صاروا فى أمان من الأخطار فلم يقوموا بالحراسة القيام الواجب ، وعكفوا على ملذاتهم .

وقد أدى هذا التهاون الى الخطر الفادح الذى أضر بهم جميعا ، اذ لم يعدم سودان الحصن الوسيلة لاخبار « باديس » بأنه من البشير عليه مهاجمة العسكر الأشبيلي ، وحينذاك أخذت قوات غرناطة فى الزحف عليهم وعبروا الجبال عبورا اتسم بالحذر والسرعة ، حتى لقد دخلوا « مالقة » دون أن يعلم المعتضد بخبرهم الا وقد قاربوها ، ولم يجر قتال أو تحلست موقعة فقد أخذوا فى حز رقاب الجند الذى كان اذ ذاك مجردا من سلاحه ، مخمورا من كثرة ما شرب ، وما كانت نجاة المعتمد الا بارتداده الى « رندة » ، غير أن الولاية بأكملها اضطرت الى الاستسلام من جديد لحكم « باديس » .

نرى من ذا الذى يستطيع أن يصور غضب المعتضد حين سمع باهمال
ابنه السفیه مما ترتب عليه ضیاع جيشه وفقدانه هذه الولاية الرائعة ؟

لذلك أمر بإبقاء « المعتمد » سجيناً فى « رندة » ، ونسى ما لحقه من
الحزن والعداب من جراء قتله ابنه البكر [اسماعيل] ، فرغب أن يدفع
ابنه الثانى رأسه تكفيراً للغلطة التى ارتكبها .

لم يعلم المعتمد اذ ذاك بغضب أبيه ، ولكنه بعث اليه قصائد يتزلف
فيها اليه ويمندح كرمه ويطرى شفقته ، كما حاول أن يعزیه عن هذه
الهزيمة بانصماراته السالفة ، فكان مما قاله له :

كم ونعة لك فى الأعداء واضحة تفنى الليالى ، ولا يفنى بها الخبر
سارت بها العيس فى الآفاق فانتشرت فليس فى كل حى غيرها سمر

وبذل المعتمد غاية جهده فى التنصل مما انتھت اليه الحملة ، وعزا
النكبة التى منى بها الى خيانة البربر ، ورسم صورة صادقة حية للحزن
الذى ران على نفسه من جراء هذا العار ، فقال :

مکن فؤادك لا يذهب بك الفكر ماذا يعيد عليك العيث والحذر ؟
قد حلت لوناء وما بالجسم من سقم وشبت رأساً ولم يبلغنى الكبر
قالنفس جازعة ، والعين دامعة والصوت منخفض ، والطرف منكسر
لم أوت من زمنى شيئاً ألد به فلست اعرف ما كأس وما وبر
ولا ماكنى دل ولا خفر ، ولا سبى خلدى غنج ولا حور
وضاك راحة نفسى - لا فجعت به - فهو العتاد الذى للدهر آدخر
ما الذنب الا على قوم ذوى دخل وفى لهم عدلك المألوف اذ غدروا .

ولما كان « المعتضد » شديد التدقيق للشعر الجميل فقد لمست قصائد
ولده [المعتمد] عواطفه وألانت من حديثه ، كما عمات على تهديته توسلات
ناسك من أهل « رندة » يسأله الصفح والتجاوز عن زلته ، واذ ذاك أذن
للمعتمد بالعودة الى اشبىاية وغفر له ما تقدم من ذنبه (٩) رغم ضیاع كورة
« مالقة » من يده الى غير عودة .



شرح باديس منذ ذلك الحين فى الانتباه لما يدور حوله مخافة أن
يباغته « المعتضد » مرة أخرى فيتجدد الخطر عليه ، ويقال أيضاً ان ملك
غرناطة الذى لم تكن نأخذ شفقة ولا يتوانى عن تنفيذ انتقامه اذا فكر فى
الانتقام ، والذى كان لا يسير الا فى زهرة من السيافين أخذ فى كى المنكودين
المرتدين عليه بالنار وتكبيلهم بالسلاسل ورميهم فى الجباب ، وبهذه
الوسيلة تمكن من أن يقتل فى نفوسهم كل تطلع لمعاودة الثورة .

وعلى الرغم من عظم البلايا التي امتحنوا بها إلا أنهم وجدوا عزاءهم
بوسلوهم فيما علموه من أن نفوذ اليهود في بلاط غرناطة قد اضمحل حتى
أذنت نهايته بالدنو مما أرضى كراهيتهم وتعصبهم .

كان صمويل قد مات فخلفه ابنه يوسف الذي كان هو الآخر رجلا
أريبيا مثقفا ، إلا أنه خالف أباه فكان لا يذلل كنفه وهو في مكانته السامية
هذه ، بل كان يطلع على الناس في زهو الأمير وخيلائه ، فان خرج في
رفقة « باديس » وكل منهما على جواده لم ير الناس فارقا بين لباس الملك
ولباس وزيره . والواقع أنه كان للوزير يوسف من السلطان فوق ما كان
للمحاكم ذاته نظرا لسيطرته التامة على باديس الذي لم يكن ليصحو أبدا من
سكره ، كما عمه يوسف الى احاطة « باديس » بالعيون الذين يحملون اليه
كل ما يبدر من مولاه من قول : صغر هذا القول أو كبر ، وقد نهج هذا
النهج حتى يظل مسيطرا على الدوام على باديس .

أضف الى هذا أنه لم يكن ليوسف من اليهودية إلا اسمها فزعم
الناس انه لا يؤمن بملء آباءه ولا بغيرها من الملل ، وأنه لا يكثر بأى دين
من الأديان ، وإذا لم يكن قد هاجم الموسوية جهارا إلا أنه هاجم الاسلام
فصرح باستحالة مطابقته للعقل ، ولم يسلم القرآن ذاته من نقده .

ولقد اغضب يوسف بن صمويل العرب والبربر واليهود على السواء
بعتوه وصلفه ومناعه الدينية وقلة احترامه للعدالة، كما رمى بكبر مرء
الكباثر ، وشاء القدر أن يبتليه بنفر من الخصوم الألداء ، كان من أخطرهم
عليه فقيه عربى اسمه « أبو اسحق الألبيرى » الذى كان صغر سنه سببا فى
حدة عواطفه ، فلما تقدمت به الأيام حاول أن يتبوأ فى البلاط فكانة
يؤهله لها طيب نبعته ، لكنه لم يفلح فى محاولته هذه اذ قضى يوسف
على آماله ونفاه ، وحينذاك انصرف للتدين ، ودعاه كرهه ليوسف أن ينظم
القصيدة التالية التى نال فيها من يوسف ومن أبناء ملته ، فقال:

ألا قل لصنهاجة أجمعين	بدور الزمان وأسد العرين
مقالة ذى مقلة مشفق	يهو النصيحة زلفى، ودين
لقد ذل سيدكم ذلة	تقر بها أعين الشامتين
تخير كاتبه كافرا	ولو شاء كان من المؤمنين
فعرز اليهود به وانتخوا	وتاهوا ، وكانوا من الأرذلين
وما كان ذلك من سعيهم	ولكن منا يقوم المعين
فهل اقتدى فيهمو بالألى	من القادة الخيرة المتقين ؟
وأزلهم حيث يستأهلون	وردهموا أسفل السافلين .
فلم يستخفوا بأعلامنا	ولم يستطيلوا على الصالحين

إبديس أنت امرؤ حاذق
 فكيف أخفى عنك ما يعبتون ؟
 وكيف تحب فراخ الزنا
 وكيف يتم لك المرتقى
 وكيف استتمت الى فاسق ،
 فبادر الى ذبحه قربسة
 ولا ترفع الضغط على رهطه
 وفرق عزاهم ، وخذ ما لهم
 ولا تحسبن قتلهم غيرة
 ولا ترض فينا بأفعالهم
 وراقب الاهك فى حزبه
 تصيب بظنك نفس اليقين .
 وفى الأرض تضرب منها القرون ؟
 وقد بغضوك الى العالمين ؟
 اذا كنت تبني وهم يهدمون ؟
 وقارنته ، وهو بثس القرين ؟
 وضع به فهو كبش سمين .
 فقد كنزوا كل علق ثمين
 فانت أحق بما يجمعون
 بل الغدر فى نركهم يعبتون .
 فانت رهين بما يفعلون
 فحزب الاله هم الغالبون

لكن لم تنجح هذه القصيدة فى التأثير فى نفس إبديس لفرط نقته
 لى يوسف ، ولكنها تركت أثرا عميقا فى نفوس البربر ، فأقسموا ليهلكن
 اليهودى ، وأرجف زعماء المؤامرة بانضمام يوسف بن صمويل الى جانب
 المعتصم [بن صمادح] ملك المرية الذى كانوا يحاربونه فى هذا الوقت ،
 ولما تساءل من هم أقل من هؤلاء المتأمرين تعصبا وحماسة عما قد يكون من
 مكسب يوسف ان هو خان الأمير الذى يخضع له كل الخضوع جاءهم الرد
 بأن اليهودى يرمى الى ما فيه هلاك إبديس ونيل عرشه بالمعتصم [بن
 صمادح] ، واذاك يشب على « ابن صمادح » ويتمرس بجانبه ويضمن
 العرش لنفسه . ولا حاجة بنا للقول بأن ذلك كله كان افكا وبهتاناً ،
 فالحقيقة هى أن البربر كانوا يحاولون تلمس علة لاسقاط يوسف بن
 صمويل والفتك باليهود حسدا منهم لهم على ثرواتهم الطائلة ، فلما خيل
 اليهم أخيرا أنهم عثروا على تلك العلة تمردوا وهاجموا قصر « بادين » حيث
 كان قد لاذ به يوسف الذى حاول الافلات من غضبهم المجنون فأختفى فى
 بعض خزائن الفحم وسود وجهه حتى لا يتعرف القوم عليه ، الا أنهم
 عرفوا مخبأه ولم يخف عليهم أمره فقتلوه ورفعوه على عمود من الخشب ،
 واذاك عمد الفرناطيون الى الفتك ببقية اليهود ونهبوا بيوتهم فراخ
 ضحية هذا الغضب ما ينيف على أربعة آلاف شخص (١٠) .

وكان ذلك الحدث يوم ٣٠ ديسمبر سنة ١٠٦٦ م [٤٥٩ هـ] .

الفصل الثامن

فرديناند ملك ليون وأمراء الطوائف

ظهر فرديناند ملك ليون وقشتالة • مواتاة الظروف للنصارى •
موادعة بعض الحكام المسلمين لفرديناد ورضوخ المعتضد لمطالبة المذلة ...
بلوغ المهانة بالمعتضد أقصاها فى أخذ السفارة الليونية جثمان ايزيسور •
حملة فرديناند على بلنسية • النرمنديون يسسولى على بوبشخرو ويسرفون
فى القتل وهتك الحرم • ثم يعودون من حيث جاؤا فيسترد صاحب
سرقسطة الحصن • موت فرديناند ملك ليون وقشتالة • تخوف المعتضد من
البربر والمرابطين • أيام المعتضد الأخيرة ووفاته حزنا على ابنة له كان شديد
التعلق بها •

فردناند وأمراء الطوائف

لم تكن بقية أسبانيا الإسلامية أكثر طمأنينة من الجنوب ، فقد كان الناس في كل النواحي يتنازعون فيما بينهم نزاعا عنيفا حول بقايا الخلافة الدراسة ، وعلى الرغم من ذلك فقد أخذ السيل الراجف يتزايد في الشمال وهددت أمواج هذا السيل ممالك شبه الجزيرة بالابتلاع .

ولقد ظلت مشاغل الملوك المسيحيين تصرفهم مدة قرن من الزمان عن التمكن من القيام بالفتوح حتى آن للأمور أن تبدل سنة ١٠٥٥ م [٤٤٧ هـ] حين استطاع « فرديناند » ملك قشتالة وليون أن يتفرغ لمحاربة المسلمين فوجه جميع قواته ضدهم اذ أدرك استحالة مقاومتهم اياه لما هم عليه من الضعف . والواقع أن الظروف الطيبة كانت جسد موالية للصدارى ، اذ توفر عندهم ما لم يتوفر لأعدائهم وأعنى به الروح الحربية والحماسة الدينية ، ومن ثم اتسمت فتوحات « فرديناند » بالسرعة ، وكانت له فتوحات عظيمة فقد انتزع من يد المظفر - ملك بطليوس - مدينتى « بازو » و « لاميجو » سنة ١٠٥٧ م [٤٤٩ هـ] وغنم ما فى يد ملك سرقسطة من القلاع الموجودة جنوب نهر « دورو » ، وقام بغزوة مبيرة فى املك المأمون صاحب طليطلة ، وتقدم حتى بلغ ما يعرف بقلعة الحنش وحينذاك لم يجد أهلها بدا من أن يفضوا لأمرهم المأمون بأنهم مضطرون للاستسلام للملك قشتالة ان لم يبادر أميرهم الى نجدتهم ومدة يد العون اليهم ، غير أن المأمون كان أضعف من أن يستطيع مقاومة العدو فاتبع الصواب وقدم بذاته الى « فرديناند » ودفع اليه بصرة كبيرة من الذهب والفضة والأحجار الكريمة ، وأعلن تبعيته له تبعية تتمثل فى أدائه الجزية له كما فعل من قبل ملكا بطليوس وسرقسطة (١) .

والآن جاء دور المعتضد .

ففى سنة ١٠٦٣ م [٤٥٦ هـ] قام فرديناند فأحرق ما حول أشبيلية من القرى والندساكر ، وكان ضعف الولايات الإسلامية شديدا حتى لقد رأى المعتضد أن الحكمة تفرض عليه أن يفعل ما فعله المأمون ، هذا على الرغم من أنه كان أقوى حكام الأندلس ، ومن ثم شخص الى المعسكر

المسيحي وقدم بعض الهدايا اللطيفة الى « فرديناند » ملتصقا منه الابقاء على مملكته . والظاهر أن ملك قشتالة لم يكن يبرى ما طبع عليه هذا الرجل من الحتل والقسوة . بل دفعه تفنى الشيب والبياض فى شعر رأسه وكثرة غضون جبينه الى احترام هذا الشيخ وتوفيره ، ذلك أن شدة الأطماع وكثرة العمل والجهد بل وربما تأنيب الضمير قد طبعه بطابع الشيخوخة قبل أن يدركها ، إذ لم يكن يعدو اذ ذاك السابعة والأربعين من عمره (٢) ، فلا عجب أن استجاب ماك قشتالة الى توسلاته، لكنه رأى وجوب استشارة عظماء مملكته وقسيسها ، فجمعهم ليسألهم الشروط التى يرون فرضها على المعتضد ، فقر رأى بالاجماع على أن يبعث ملك أشبيلية بعزبة سنوية الى « فرديناند » ، وأن يسلم الى السفراء الذين سيوفدهم ملك قشتالة جثة القديسة العذراء « جست » التى استشهدت زمن الاضطهاد الرومانى . فاستجاب المعتضد لهذه الشروط ، وحسب ذلك عاد فرديناند بعسكره حتى اذا بلغ « ليون » أنفذ الى أشبيلية « الفيتس » أسقف العاصمة ، و « اردونيو » أسقف « أستورقة » ، ونيطت بهما مهمتان أولاهما أن يحملا الى لبون جثمان القديسة الشهيدة ، أما المهمة الأخرى فخاصة بتنظيم موضوع الجزية (٣) .

لكن مما يؤسف له أن أعمال البحث للكشف عن بقايا القديسة « جست » لم تسفر عن شيء مما كان مقصودا ، واذ ذاك قال « الفيتس » الى رفاقه :

والآن أيها الاخوان ، ها أنتم ذا ترون أننا سنعود فاشلين فى تحقيق هالتنا من هذه السفرة الشاقة اذا لم تسعفنا العناية الالهية بما جئنا من أجاه ، ويبدو لى أنه ينبغى علينا أن نتقرب الى الرب فنعكف على الصلاة والصوم ثلاثة أيام سويا ، سائلين إياه أن يتفضل فيهدينا الى الكنز المخبوء الذى نفتش عنه » .

ومن ثم لازمت السفارة المسيحية الصوم والصلاة ثلاثة أيام مما أدى الى سده تدهور صحة « الفيتس » وتجل ذلك حين باغ اشبيلية .

فلما كان صباح اليوم الرابع جمع الاسقف الفيتس مرة أخرى رفاقه وقال لهم :

« أيها الصحاب الكرام ، ينبغى أن ننوجه الى الرب بنية خالصة وقلوب عامرة بالإيمان اذ تعطف علينا برحمته فلم يشأ أن تفشل رحلتنا فعود صفر الأيدى . خففة ان الرب حال بمننا وبين أن نأخذ من هنا جثمان . أوحسب « الطوبانية ولكنكم ستعودون الى وطنكم بحطية لا تقل عنها ، تلك هى جثمان « ايزيدور » الطوبانى الذى حمل تاج الأسقفية على مفارقة فى هذه المدينة ، والذي كان حلية أسبانيا كلها بجليل أعماله وأقواله ،

وفد كنت أريد أيها الاخوان أن أسهر الليلة بطولها مصليا ، ولكن مرت على لحظة من الضعف الشديد غلبني فيها النوم على أمرى ، واذ ذاك ظهر لى شيخ فى مسوح الأسقف وقال لى : اننى أعلم بما جاء بك الى هنا أنت ورفاك ، لكن الارادة الربانية لم نسا أن يحكم على هذا البلد برحيل القديسة « جست » عنه ، ثم ان رحمة الرب الأبدية لم ترض ان نرحل انت ورفاك صفر الأيدى فمنحكم جسدى » ، فسألته : « ومن أنت يا من تأمرنى بهذا الأمر ؟ » فأجابنى : « اننى كاهن أسبانيا كلها ، ولقد كنت من قبل كبير قساوسة هذه المدينة : اننى أنا ايزيدور ذاته » . ثم اخفى الشبح من أمامى ، فاستيقظت وسألت الرب عما اذا كان هذا أمره ، فنكرر الحديث ثانية وثالثة ٠٠٠ أجل لقد تكرر مرتين كان التسبح فى كل مرة يخاطبنى بنفس الكلام الذى قاله من قبل ، ولما كانت المرة الثالثة دلنى على الناحية التى يثوى بها جثمانه ومسها ثلاث مرات بقضيب فى يده قائلا : « هنا ستجد جتى ، ولكيلا تحسب مخاطبك شبعا فدليل صدقى هو أنه ستلحقك عقب اخراجى من القبر علة لن تبرأ منها أبدا ، ثم تترك هذا الجسد الفانى وتأتى الينا وعليك تاج الصالحين ثم اختفى » .

انقلب « الفيتس » بعدئذ هو ورفاقه الى قصر المعتضد وقص عليه رؤياه ، وسأله أن يأذن له بأخذ جثمان « ايزيدور » بدلا من جنة القديسة « جست » .

أثرت هذه القصة فى نفس المعتضد تأثيرا عجيبا ، فقد كان رجلا شكاكا ساخرا ، يسخر بالأديان جميعها ، ولا يؤمن الا بشيئين هما : التنجيم والخمر (٤) . الا أنه استمع الى الأسقف وقد ارتسمت علامات الجدة على وجهه ، فلما فرغ الأسقف من حديثه صاح به المعتضد فى رنة حزينة « أسف أيها السيد الحبر . ترى ما الذى يتبقى لى ان أنا أعطيتك جنة ايزيدور ؟ ، ومع ذلك فلننفذ أمر الله ، انك رجل موقر مبعجل . ولا أستطيع أن أورد لك طلبا ، فانهض وامض لما أنت مريده ، وابحث عن جنة ايزيدور ، واحملها معك رغم اعترازى بمكانته عندي » .

والواقع أن هذا العربى كان مراثيا فيما قال ، لكنه كان يعرف كيف يوجب النصارى فبه ويحملهم على التأييد له ، وان سخر منهم فبما بينه وبين نفسه .

ولما كان المعتضد ملتزما بدفع الجزية فقد قدر أن ربما كان من الخير له أن يتقألى فى تقدير ما جاؤوا اليه من أجله ، وألا يأذن لهم بنقل جثمان ايزيدور ، فان أذن لهم بما أرادوا ظهر وكانهم يستلون روحه من جسده . وفعل ما يفعله المدين اذا ألج عليه الدائن بسداد ما عليه ، وعرف كيف

يدخل في الحساب شيئا لا قيمة له يفبله دائمه كآثر قديم نادر لا يقدر بمن ، ومن ثم آجاد تمنيل دوره الى النهاية ، فحينما قرر اسقف « أستورقة » مغادرة أشبيلية بجثة « ايزيدور » (لأن زميله الفيتس كان قد مات) ذهب المعتضد لمقابلته ، وكسى التابوت بالديباج المطرز بالطرز العربية الدقيقة الصنع ، وأخذ يقول متنهدا : « ها أنت يا ايزيدور تغادر هذا المكان ، أيها الرجل الوقور ، وانك لتعلم أى صداقة وثيقة توحد بيننا » (٥) .

كان العام التالى ١٠٦٤ م [٤٥٧ هـ] أسوأ الأعوام التى مرت على المسلمين ، فقد اضطرت « قنبرة » للاستسلام لفرديناند بعد ان ظلت تقاوم الحصار ستة أشهر ، وقضت الشروط بتسليم خمسة آلاف شخص من المدافعين عنها الى الغالب ، أما من سواهم فقد غادروا دورهم غير مستصحبين معهم سوى النفقة الضرورية للسفر ، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل صدر الأمر الى جميع المسلمين النازلين بين « دورو » و « منديجو » بمغادرة البلد (٦) .

وجه فرديناند جيوشه بعدئذ ضد مملكة بلنسية التى كانت تحت حكم أمير ضعيف كسول هو « عبد الملك المظفر » الذى خلف أباه عبد العزيز سنة ١٠٦١ م [٤٥٣ / ٤٥٤ هـ] وشرع القشتاليون فى محاصرة العاصمة فعزت عليهم ، فلما رأوا صعوبة الاستيلاء عليها فكروا فى حيلة يخذعون بها المدافعين عنها ويحولون بينهم وبين الذود عنها ، فتظاهروا بالارتداد ، وحينذاك مضى أهل بلنسية فى آثارهم وهم يرفلون فى ثياب العيد ، وقد ظنوا أن النصر مواتهم من غير مشقة ، الا أن جرأتهم كلفتهم غالبا ، اذ ما كادوا يصبحون على مقربة من « بطرنة » الواقعة على يسار الطريق المؤدى من بلنسية الى « مرسية » حتى باغتهم القشتاليون بالهجوم عليهم وفتكوا بالكثيرين منهم ، ولم يستطع ملكهم المظفر النجاة الا بفضل سرعة جواده (٧) .

كذلك تم للعدو الاستيلاء على حصن بوبشترى الذى يعد من أعظم حصون الشمال الشرقى أهمية وأمنها ، وكان وقوعه فى يد العدو خطرا جسيما لسقوطه فى ألى جيش من النرمندين ، وساء مصير المغلوبين اذ استسلم جنده الحامية بعد أن اشترطوا على المهاجم الابقاء على حياتهم ، لكنهم ما كادوا يغادرون الحصن حتى وضع العدو السيف فيهم فأفناهم عن بكرة أبيهم ، ولم تكن العاملة التى عومل بها السكان أحسن مما لقيته الحامية ، فقد حصلوا على الأمان وبينما هم يتأهبون للجلاء عن المدينة اذا بالقائده النصرانى الذى استبد به القلق من كثرة عددهم يأمر جنده ببذل السيف فى البعض منهم ، ولم يثن العسكر عن متابعة الذبح ويكفوا عنه

حتى كانوا قد أبادوا منهم ما يقرب من ستة آلاف شخص ، ثم اصدر القائد النرمندى أمره بأن يعود كل مالك بيت فى المدينة الى بيته مع امراته وأطفاله فأطاعوه ، وحينذاك تقاسم النرمنديون فيما بينهم كل ما وصلت اليه أيديهم . ويقول أحد مؤرخى هذه الحقبة من العرب « ان المشركين اقتسموهم ، فكل من صارت فى يده دار حازها وما فيها من أهل ومال وولد ، فحكم كل عسج منهم فيمن سلط عليه من أرباب الدور بحسب ما يبتليه الله به منه ، يأخذ كل ما أظهر له ، ويعذبه فيما أخفى عنه ، وربما زهقت نفس المسام دون ذلك فاستراح ، وربما أنزله أجله الى أسوأ من مقامه ، ذلك لأن عبادة الله كانوا يومذاك يهتكون حريم أسرارهم وبناتهم بحضرتهم » ايغالا فى اذلالهم والنكاية بهم ، « ويعيتون ، ويغتصبون البكر ، كل ذلك وزوج تلك وأبو هذه موثق فى الحديد ، ومن لم يرض عنهم أن يفعل ذلك بهن أعطاهن لغلمانة » .

كان من حسن حظ المسلمين أن لم يتأخر النرمنديون عن مغادرة أسبانيا الى بلادهم للتمتع بالأموال الطائلة التى استولوا عليها ، ولم يبق منهم ببوشترو يومذاك غير حامية ضعيفة ، فاغتنم هذه الفرصة المقتدر ملك المدينة فى العام التالى (٨) فى ربيع سنة ١٠٦٥ م .

الا أن فرديناند تابع جهوده للاستيلاء على بلنسية التى وجد ملكها نفسه فى مركز بالغ الحرج رغم النجذات التى ألمه بها صهره « المامون » صاحب طليطلة ، غير أن نزول المرض بفرديناند أرغمه على الرجوع الى ليون ، الا أن عبد الملك المظفر لم تستقر أموره ، اذ وثب عليه صهره فى شهر نوفمبر وخلعه من سدة الحكم وزج به فى السجن فى قلعة « كوككة » Cuenca ثم أضاف مملكة بلنسية الى أملاكه (٩) لكن الموت ما لبث أن طرق فرديناند فأنقذ المسلمين من ألد خصومهم .

كان فرديناند منلا للملوك يحتذى فى شجاعته وتقواه وأخلاقه ، اذ لم يكده يباخ ليون يوم السبت ٢٤ ديسمبر حتى يبادر للصلاة فى الكنيسة التى أهداها الى القديس « ايزيدور » وهو يعلم أن قد دنت اللحظة التى آن فيها لجسده أن يرقده رقبته الأبدية ، ثم عاد الى قصره فاستجم فيه بضع ساعات ، فلما كان المساء ارتد ثانية الى الكنيسة حيث كان الكهنة يحيون عيد الميلاد بتراتيلهم المشجية ويؤدون صلاة السحر طبقا لتقاليد طليطلة الدينية كما جرت العادة اذ ذاك ، فأخذ فرديناند يرتل معهم بصوته الواهى الضعيف ، فلما تنفس الفجر سألهم الملك أن ينشدوا القداس ،

ثم انكفأ الى فراشه بعد أن تناول القربان المقدس ، وكان فرديناند يسير منكشاً على سواعد خدم قصره وهو واهى الجسد .

ولما كان صباح اليوم التالى لبس الملك الملوكية وحمل الى الكنيسة حيث ركب أمام المذبح ، ثم خلع المعطف الملكى والتاج وقال فى صوت واضح الثبرات : لك المجد والقوة يا سيدنا ، يا ملك الملوك ، يا من لك ممالك السموات والأرض ، ها أنذا أرد لك ما منحنيهِ ، وما حكمتهُ وفق إرادتك الالهية ، أسألك أنت وحدك أن تكلاً برحمتك روحى التى انتزعتها من هوة هذا العالم » . ثم ركب على عتبات المذبح وبكى متوسلاً الى الرب أن يغفر له خطاياه ، ومسحه أحد الأساقفة بيده ، وغطى جسده بالمسوح ورأسه بالرماد ، ولبى فرديناند فى انتظار الموت وهو ثابت الجنان ، عامر القلب بالإيمان .

فلما دنت ساعة العصر من يوم الثلاثاء أسلم روحه ورقده رقدته الأبدية وقد ارتسمت على وجهه امارات الهدوء وكست البسمة الأليمة (١٠)



نلت هذه الوفاة وفاة أخرى فقد مات المعتضد ملك اشبيلية يوم ٢٨ فبراير سنة ١٠٦٩ م [٤٦٢ هـ] وكان قد ضم قبل ذلك التاريخ بعامين مدينة « قرمونة » الى مملكته واقترب جريمة قتل جديدة اذ طعن بخنجره أحد مواطنى اشبيلية واسمه أبو حفص الهوزنى (١١) ، غير أن الخواطر السوداء ألحت عليه فى السنوات الأخيرة من حياته وراح توارى ، ولم يعد يخشى أن تأتبه القاصمة من هجمات القشتاليين فيطيحون بعرشه الذى اومه بالمكيدة والخيانة والدهاء وذلك أن نبوة عرافيه التى تكلمنا عنها من قبل والتى زعمت أن نهاية دولته ستكون على أيدي رجال طارئى على شبه الجزيرة قد وجهت مخاوفه وجهة أخرى .

ظل المعتضد زمناً طويلاً وهو يظن أن أولئك الطارئىن الأغرار انما هم البربر الذين يقيمون على مقربة منه فعجل على استئصال شأفتهم واعتقد بأنه قد تغلب ما أنبأته به النجوم ، ثم عادت الوسواس تقض مضجعه وذلك لظهور فئة من البربر فى جانب العدو ، وقد سار بهم شخص يكاد يكون نبيا عندهم ونزل بهم الصحراء ، وراحوا يتطلعون لفتح أفريقية فتم لهم فتحها بالسرعة والحماسة اللتين توفرنا للمسلمين الأوائل ، فرأى المعتضد أن غزاة اسبانيا فيما بعد انما هم هذه الجماعات المسماة بالمرابطين ، وفشلت كل محاولة من أجل تبديد الخوف الذى استبد بنفسه من ناحيتهم .

وفى ذات يوم كان يعيد نلاوة خطاب تلقاه من « سفوت » (*) أمير
سبته يقص فيه عليه خبراً مؤداه أن طليعة جيش المرابطين قد عسكرت فى
رحبة مراكش فقال له أحد وزرائه : « وأين رحبة مراكش ؟! » ، ان دونهم
اللعج الخضر والمهامه القفر ، والليالى والأيام ، والجماهير العظام !! «
فأجابه المعتضد وقد ظهرت فى صوته رنة الأسى : « هو والله الذى أتوفعه
وأخشاه ، وان طالت بك الحياة فستراه » ، أكتب الى عاملى بالجزيرة
باحتراس جبل طارق حتى يأتيه أمرى ، ويريش فى تحصينه ووضع
أرصاده » .

ثم صوب ناظره فى أولاده وقال : « ياليت شعرى من تناله معرفة
هؤلاء القوم : أنا أم أنتم ! » فأجابه المعتضد : « جعلنى الله فداك ، وأنزل
بى كل مكروه يريد أن ينزله بك » (١٢) .

ولقد ابتلى المعتضد قبل موته بخمسة أيام بنىء من القلق ، ونفل
فى جسده وروحه ، فاستحضر اليه مغنيا صقلبيا [اسمه أبو العرب]
وطلب اليه أن يغنيه ما يطرأ له ، عاقداً النية على أن يجعل ما يستدى به
قالا فى أمره ، فأخذ الصقلبي يغنى لهما جمع بين الحزن والرجاء مما يزخر
به الأدب العربى ، واستهل ذلك بقوله :

نطوى الليالى علما أن ستطوينا فشعشعينا بماء المزن واسقيننا .

ثم أنشد المطرب خمسة أبيات من تلك الأغنية .

ومن الصدف العجيبة المؤكدة أن المعتضد لم يعيش بعد ذلك سوى
خمسة أيام .

وبعد يومين من ذلك الحلت أعنى يوم الخميس [٢٦ فبراير]
أصيب بجرح عميق مس شغاف حنائه الأبوى ، فقد رأيناه شديداً الكلف
بأولاده ، عظيم الحب لهم رغم ما طبع عليه من الغلظة ، فقد ماتت إحدى
بناته وكان شديد التعلق بها ، وسار فى جنازتها مساء الجمعة وقلبه
يتفطر حزناً وشجاً عايباً ، فلما فرغ من دفنها أحس بألم شديد فى رأسه
فجاء طبيبه ، وأدرك أن به نزيفاً لا بد أن يؤدى الى هلاكه ويفضى به الى
الموت ، وأراد الطبيب أن يفصده فأبى المعتضد الاستسلام له وأمره بارجاء
الفصد الى يوم السبت غده ، فعاوده النزيف أشد وأقوى من المرة السالفة ،
حتى انه فقد القدرة على النطق ، ثم ما لبث أن لفظ نفسه الأخير (١٣) ،
فخلقه ابنه المعتمد الذى سوف نحاول التعريف به فيما بعد .

(*) سقطت بفتح السين وتشديد القاف المضمومة بعدها واو ساكنة وتاء .

الفصل التاسع

ابن عمار والمعتد والرميكية

تفاهة بيئة ابن عمار التي نشأ فيها • أثر ظروف نشأته الأولى في
تغلب الشك والكآبة عليه • تعرفه على المعتد ابن عباد ونزوله أكرم منزلة
من نفس المعتد • تولع المعتد باعتماد الرميكية وزواجه منها • استجابة
المعتد لكل ما تطلبه وتشير به • كراهية المتدينين لاعتماد • شعر المعتد
في الرميكية • ابن عمار يتولى حكومة شلب وهي مسقط رأسه • مجازاته
خيرا لمن كان قله أحسن اليه في متربته •

ابن عمار والمعتمد والرميكية

ولد المعتمد سنة ١٠٤٠ م [= ٤٣٢ هـ] فلما بلغ الحادية عشرة أو الثانية عشرة من عمره ولاء أبوه حكومة « ولبة » ، ثم مات بعد أن عهد إليه بقيادة الجيش الأسبيلي المحاصر لشباب حيث تعرف بواحد من المحاصرين لم يكن يزيد عنه في السن بغير تسعة أعوام ، ولكن قدر له أن يلعب دورا خطيرا في حياة المعتمد .

كان اسم هذا الفتى المحاصر « ابن عمار » ، وقد ولد في دسكرة من نواحي « شلب » من أبوين عربيين فقيرين مغمورين ، وأخذ نفسه منذ البداية بدراسة الأدب في « شلب » وقرطبة ، ثم راح يذرع رحاب أسبانيا عاملا على كسب ما يمسك عليه حياته بامتداحه كل قادر على رده بالمال ، ولما كان الشعراء النابھون يرون من الحطة لهم أن ينظموا القصيد في غير الأمراء والوزراء فان هذا الشاب المملق المغمور ، الرث الثياب ، الذى كان يثير سخرية البعض وشفقة الآخرين بعباءته الطويلة وقلنسوته الصغيرة كانت تغمزه الفرحة ان تفضل عليه متفضل ممن أثروا على كبر بفتات مائدته نظير ما ينظمه فيه من شعر رائع .

وحدث في يوم من الأيام أن بلغ ابن عمار هذه مدينة « شلب » وهو في شدة الضيق ، وليس معه سوى رفيقه في شقائه وهو بطله ، ولم يعرف كيف يلتمس ما يطعمه به ، ولكن شاء حسن طالعہ أن يخطر بباليه رجل لابد وأن يعاونه اذا شاء ، وهو تاجر ثرى من أهل البلد وان لم يكن يتنوق الادب ، لكنه كان على جانب من الغرور يدفعه للزهو بما يقال فيه من المديح ، ومن ثم نظم ذلك الشاعر المفاس [ابن عمار] فيه قصيدة وبعث بها اليه وأفضى اليه فيها بما هو فيه من الضيق وما يعاينه من الضنك ، فامتلا التاجر غرورا بمدح ابن عمار له ، وأنفذ اليه مخللة ملاءها شعيرا ، فلما تسلم ابن عمار الهدية ود لو أن التاجر بعث له معها بأخرى ملاءها برا ، الا أنه فرح غاية الفرح ، وسنوى كبر أظهر فبما بعد عرفانه لجميل المتفضل عليه .



لم يلبث أن ذاع خبر موهبة ابن عمار الشعرية ، وشرف قدره بتقديمه الى « المعتمد » الذى أعجب به غاية الاعجاب ، ولما كان الاثنان

بميلان للهو وممارسة شتى ضروب المغامرات وقرض الشعر الجزل فسرعان
ما تأكدت بينهما وشائج الصداقة الراسخة ، ولما دانت « سلب » للمعتمد
استعمل ابن عمار واليا عليها ، وبادر بإنشاء وظيفة كبرى لصديقه (١) .

لم تسنطع الايام أبدا أن نمحو من ذاكرة المعتمد الأيام الجميلة التي
قضاهما في مدينة « سلب » الفاننة التي لم يكن من أهلها إذ ذاك الا من
يقرض الشعر (٢) ، والتي لا تزال الى اليوم تسمى بجنة البرتغال ، ولم
يكن قلب الأمير قد تفتح حتى ذلك الوقت للهوى ، وإن كانت بعض نزغات
طارئة قد شغلت باله ولكنها لم تلبث أن تلتفت دون أن تترك فيه آثارا
عميقة (٣) ، فقد كان ذلك الزمن عنده زمن العاطفة المتأججة ، ولكنه خلاه
لغير رجعة .

لم يكن ابن عمار قد درج في مهاد البلهنية والنعيم والسعادة كما
درج الأمير ، بل انه كأبد منذ فجر حياته النضال والفشل وخيبة الآمال
القاسية والاملاق ، فكان دون مولاه بشاشة طلعة وطلاوة شباب ، ولم
يكن يستطيع أن يدفع عن نفسه ما يلاحقها من السخرية ، فكان متشككا
في كثير من الأمور ، وقد حدث في يوم من أيام الجمعة أن خرج الصديقان
الى المسجد ، فسمع المعتمد المؤذن يؤذن للصلاة فارتجل هذا الشطر :
« هذا المؤذن قد بنى بأذانه » ، ثم سأل ابن عمار أن يكمل البيت فرد
عليه قائلا : « يرجو بذاك العفو من رحمانه » .

فقال المعتمد : « طوبى له من شاهد بحقيقة » ، فأكمل ابن عمار
البيت باسمه وقال : « ان كان عقد ضميره كلسانه » (٤) .

ومع غرابة هذا الأمر الا أن في الامكان تفسيره بأنه أدرك منذ زمن
بعيد طوية الناس فهو ساخر منهم ، شاك فيهم ، حتى لقد كان يشك في
مودة الأمير الشاب له رغم أنها مودة خالصة من كل شائبة نشوبها ، ولعل
عذره في ذلك أنه لم يكن يستطيع التخلص من الأوهام السوداء التي
كثيرا ما كانت تسيطر على نفسه لا سيما في أثناء الولايم ، إذ كان يستبد
به الحزن كلما زاد في الشرب . وتروى عنه في هذا الصدد قصة نادرة
عجيبة وفست له بالفعل ، فقد رواها أصدق من يوثق بهم ومن بينهم
المعتمد بل وابن عمار ، فقد قيل انه حدث في ذات ليلة أن دعا المعتمد
ابن عمار للعشاء وأخذ يلاطفه أكثر مما جرت به العادة ، فلما فرغوا مما هم
فيه انقلب المسعورون الى فرشهم غير ابن عمار فقد استبقاه المعتمد وأقسم
عليه أن يشاطره لراحته ، فنزل الوزير على طلبه ، ثم ما لبث أن هوم
وأغفى ، وحينذاك سمع هاتفا يهتف به : « لا تفتري أيها المسكين فانه
قاتلك ولو بعد حين !! » ، فتملكه الذعر وصحا من غفوته فزعا ، ثم حاول

أن يتخلص من تلك الوسواس السوداء الناجمة عن الخمر وجهد أن ينাম ، ولكنه سمع هذا النذير مرة ثانية وثالثة فلم يستطع النوم ولم تغفص له عين ، واعتقد أن هذا هائف خفى يوحى بما يعجز البشر عن ادراكه ، فتسلل في غاية من السكون والنف في حصار ومضى فربض في أحد أركان دهاليز القصر ، وهو مزعم الانفلات حالما تفتح أبواب القصر لبأني باب البحر ويركب منه الى العدو .

غير أن المعتمد استيقظ هو الآخر فلما لم يجد رفيقه الى جانبه نددت منه صرخة حادة بادد على أثرها جميع خدمه وأخذوا يجوسون خلال القصر مفتشين عن ابن عمار في كل ناحية من نواحيه ، وصحبهم المعتمد ذاته في التفتيش عنه ، وأراد أن يرى عما اذا كان الباب قد فتح فصار حتى بلغ الدهليز حيث كان ابن عمار مختبئا ، فبدت من الشاعر حركة عن غير قصد منه ولم يسع اليها ، واذا ذاك وقعت عينها الأمير على الحصار الذي كان صاحبه ملتقا به فصاح بمن معه : « ما الذي يتحرك في هذا الحصار ؟ » فجرى الخدم نحوه ونقضوا الحصار فبدى ابن عمار وهو أجدر ما يكون بالثناء وأحق بالشفقة ، وليس عليه من الثياب غير سرواله وقد ارتجفت أعضاؤه واحمر وجهه خجلا لم يستطع حياله أن يرفع عينيه الى المعتمد الذي ما أن رآه على هذه الصورة حتى انفجر باكيا وسأله : « يا أبا بكر .. ما الذي حملك على هذا ؟ » .

واذ رأى صديقه موصول الرجفة فقد تفرق به وسار وياه الى حجرته محاولا الوقوف على سر مسئلكه العجيب هذا ، فبقي فترة غير قصيرة لم يوفق فيها الى الوقوف على ما يريد .

ووقع ابن عمار فريسة اضطراب عصبي شديد ، وتناهبه الخجل من السخرية به والفرع مما فعله ، فأنشأ ييكي ويضحك حتى اذا هدأت نفسه أخيرا اعترف بما جرى ، فضحك المعتمد لاعترافه وأمسك بيده في حنان وقال له : « يا أبا بكر .. هذه أضغاث أحلام ... هذه آثار الخمر ، وكيف أقتلك ؟ أرايت أحدا يقتل نفسه ؟ وهل أنت عسدي الا كنتفسى ... ؟ فانس الأمر » .

وتناسى ابن عمار الأمر فنسيه على حد قول أحد المؤرخين (٥) . وتوالت الايام والليالي بعضها في أثر بعض الى أن كان من أمره ما كان مما ستأني الإشارة اليه .



كان الصديقان اذا غادرا «سلب» خلفاها الى انبيلية حيث يمارسان شتى ضروب الملذات التي لا تتوفر الا في هذه العاصمة الرائعة المتألقة ،

وكثيرا ما كانا يمشيان متنكرين الى مرج الفضة على ساطع نهر الوادى الكبير حيث يختلف الى هناك الرجال والنساء بحثا عن اللهو والتسلية وطلبا للترويح عن النفس ، وقد التقى فى هذا المكان المعتمد لأول مرة بتلك الفتاة التى قدر لها أن تصبح رفيقة حياته ، وذلك أنه بينما كان يتجول ذات مساء مع صديقه فى مرج الفضة اذ مس النسيم وجه الماء مسا هينا فجده . فارتجل المعتمد هذا الشطر « صنع الريح من الماء زرد » ثم سأل ابن عمار أن ييجز الشطرة الثانية فعجز ابن عمار ، ولكن قامت بذلك فتاة من بنات الشعب كانت على مقربة منهما فقالت : « أى درع لقتال لو جسد » .

فتملك العجب المعتمد أن يسمع فتاة صغيرة تبز ابن عمار فى الارتجال ، وكان الارتجال أمرا قد شاع خبره عن ابن عمار ، ثم نظر المعتمد اليها فشدده جمالها ، وسرعان ما نادى أحد الخصيان ممن يتبعونه عن قرب وأمره أن يأخذ الفتاة التى ارتجلت هذا الشطر الى القصر ، ثم بادر هو بالرجوع اليه .

فلما جىء بالفتاة اليه سألها من تكون ومكانتها فأجابت :

« اسمى اعتماد ، ويلقبوننى بالريميكية نسبة الى مولاي رميك ابن حجاج ، ومهمتى وضع السرج على الدواب » .
فسألها : « اذات يعمل أنت ؟ » .

فقالت : لا .

فقال لها : « أنت لى زوجة » (٦) .

ظل المعتمد بقية حياته على طولها سديده الولع باعتماد الريميكية ، وصارت هى عنده غاية المنى ، وكان الناس أحيانا يقرنونها بولادة القرطبية : « سافر » ذلك العصر ، ولكن هذه المقارنة قد تكون صحيحة من بعض الوجوه ، وخاطئة من وجوه أخرى .

لم تكن « الريميكية » تستطيع أن ترقى لمنافسة « ولادة » فى المعرفة لانها لم تنصرف للنظر فى الكتب، بيد أنها لم تكن دونها فى حلالة الحديث ورقة الألفاظ وعذوبة المنطق ، وحضور البديهة ، وكثرة الفكاهة ، وسرعة النكتة ، بل لعلها بزت « ولادة » فى مفاتها الطبيعية ، وسذاجتها وبشاشتها ودلالها (٧) ، وقد كانت أهواؤها ورغباتها مؤدية الى سعادة زوجها وشبقوته معا ، اذ كان يرى نفسه مضطرا لاستجابة كل ما تطلبه منه مهما تكلف فى سبيل تحقيقه ، وما كان يتأتى لأحد ما أن يزحزحها .

عن رأى ارتأاته ، وقد حدث فى أحد الأيام فى شهر فبراير أن نظرت من كوة
باحدى نوافذ القصر بقرطبة فأبصرت اللج يتساقط قطعاً قطعاً ، وكان
هذا منظراً قل أن يساهم فى هذا البلد الذى لا يكاد يعرف الشتاء ،
فاذا بها تنفجر باكية على غير انتظار ، فسألها زوجها : « ماذا بك يا قرة
العين ؟ » فأجابته وهى تنهد : « تسألنى عما بى؟ ويحك من قاس!!
ما أحمل هذا البرد وما أفتن تساقط قطع الثلج !! » فاجابها وهو يكفكف
عبراتها التى انحدرت على وجنتها : « أناتك ، وسترين هنا ان شاء الله
ما تحبين » *

ثم أمر بزرع أشجار اللوز على جميع جبال قرطبة عسى أن تكون
أزهارها البيضاء التى تتفتح بعد انتهاء الصقيع تعوض الوميكية عن كرات
الثلج المولعة بها (٨) *

وحدث فى مرة أخرى أن شاهدت طائفة من نسوة الحى يعجن الطين
بأقدامهن العارية لعمل الآجر ، فبككت فسألها زوجها عما يبكيها فقالت :
« واشقوتى وأنا أسيرة هذا القصر !! أما رأيت هؤلاء النسوة
على شاطئ النهر ؟ ... لو ددت لو كنت معهن أفعل فعلهن فأعجن الطين
بقدمى العاريتين ... لكنك فرضت على قيود الغنى والملك » *

فاجابها الأمير : « حنانيك سيكون لك ما شئت » *

وبادر فى لحظته فنزل الى ساحة القصر وأحضر كمية كبيرة من السكر
والقرفة والزنجبيل ومختلف أنواع الطيوب ، ثم أمر الخدم بخلطها بالماء
وعجنها بالأذرع حتى صارت عجينة ، فلما فرغ الخدم من ذلك قال
للميكية : « هلا نزلت الى الساحة وعجنت الطين مع جواريك ؟ » *

فنزلت السلطانة وخلعت هى ووصيفاتها نعالهن وأخذن يغمسن
أرجلهن فى هذا العجين المعطر ، وهن جذلات مرحات *

كان هذا الهوى غالى الثمن ، وعرف عن المعتمد أنه يستجيب لزوجته
المدلة التى لم يكن لرغباتها نهاية ، وحدث فى ذات يوم أن سألت زوجها
شيئاً لم يستطيع تحقيقه لها ، فصاحت به : « واتعسى ... والله ما رأيت
منك خيراً قط !! » *

فسألها المعتمد فى صوت رقيق ملؤه الحنان : « ويوم الطين ؟ ... »
فخجلت ولم تصر على طلبها (٩) *



وافنا لمضطرون لأن نضيف الى ذلك أن المتدينين كانوا لا ينطقون
أبداً اسم هذه السلطانة النشيطة الا مستعيزين بالله ، ويعلمونها أكبر

نقبة فى سبيل هداية زوجها ، ويقولون انها هى التى تدفعه الى الانغماس فى الملذات والفن ، واذا راوا المساجد غير عامرة بالمصلين يوم الجمعة نسبوا اليها انصراف الناس عن الصلاة •

وكانت الرميكية « تسخر منهم ، ولما كانت طائشة غير مكترثة بشئ ما فانها لم تقدر ولم يخطر لها على بال أن سيأتى يوم يغدو هؤلاء الرجال خطرا كبيرا عليها (١٠) •

على أن حب المعتمد للرميكية لم يغير من بقائه على مودته لابن عمار فلم يزل ، ينزله من نفسه أكرم منزلة ، وحدث فى ذات مرة أن سافر الأمير وانفصل عن الرميكية وكان فى صحبة صديقه فكتب اليها رسالة ضمنها هذه الأبيات الستة :

(ا) أغائبة الشخص عن ناظرى	وحاضرة فى صميم الفؤاد
(ع) عليك السلام بقدر الشجون	ودمع الشئون وقدر السهام
(ت) تملكت منى صعب المرام	وصادفت ودى سهل القياد
(م) مرادى لقياك فى كل حين	فياليت أنى أعطى مرادى
(ا) أقيمى على العهد ما بيننا	ولا تستحيلى لطول البعاد
(د) دسست اسمك الحلو فى طيه	وألفت فيه حروف «اعتماد» (١١)

ثم ختم كتابه اليها بقوله « سألراك ان شاء الله ربى وشاء ابن عمار » •

فلما علم ابن عمار بهذه العبارة نظم الأبيات التالية موجهها اياها الى رفيقه وفيها يقول له :

مولاي عندى لما تهوى مساعدة
كما يتابع خطف البارق السارى
ان شئت فى البحر فاركب ظهر سابعة
أو شئت فى البر فاركب ظهر طيار
حتى نحل - وحفظ الله يكلؤنا -
ساحات قصرك واتركنى الى دارى
وقبل خلع نجاد السيف فاسح الى
ذات الوشاح ، وخذ للجد بالثار
ضما ولثما ، يغنى الحلى بينكما
كما تجاوب أطبار بأسحار

هكذا كان قلب الأمير الشاب ورزعا بين الصداقة والحب ، ومن ثم
نعم بحياة لطيفة ، الا أن صفو هذه الحياة ما لبث أن تكدر ، فقد نفى
المعتضد ابن عمار ، فكان هذا الحادث ضربة شديدة الوقع على الصديقين
... ولكن ماذا يعلن ...

لقد كان المعتضد رجلا لا يرجع عن قضاء قضى به في أمر ارتآه ، لذلك
أمضى ابن عمار في الشمال - لاسيما في قرطبة - أشد سنوات نفيه
قسوة ، وظل على هذا المنوال حتى ولى الحكم المعتمد بعد أبيه وله من
العمر تسع وعشرون سنة (١٣) ، فبادر الأمير الى استدعاء ألف شبابه
البه ، وترك له الحرية في اختيار ما شاء من الوظائف في الحكومة ، فقر
رأى ابن عمار على تولى حكومة الولاية التي كانت مسقط رأسه ، فأجابه
المعتمد الى طلبه رغم ما يرضه من الأسى لابتعاده عنه وما في هذا البعاد
من فراق (١٤) بينهما .

فاما أخذ المعتمد في وداعه جاشت نفسه بذكريات أيامه العذاب
بشلب ، ورفرفت أمام عينيه صور الماضي التي لم تبارح فؤاده أبدا ،
فأنشد مرثلا (١٥) :

ألا حى أوطانى بشلب أبى بكر
وسلطن هل عهد الوصال كما أدرى

وسلم على قصر الشراييب من فنى
له أبدا شوق الى ذلك القصر

منازل آساد ، وبيض نواعم
فناهيك من غيل وناهيك من خدر

فكم ليلة قد بت أنعم جنحها
بمخصبة الأرداف ، بجذبة الخصر

وبيض وسممر فاعلات بهجتى
فعال الصفاح البيض والأسل السممر

وليل بسد النهر لبوا قطعته
بذات سوار مثل منعطف البدر

نضت بردها عن غصن بان منعم
نضير ، كما انشق الكمام عن الزهر .

ودخل ابن عمار مدينة « شلب » فى أفخم موكب وأروع حاشية لم
يتيها مثلها للمعتمد ذاته أيام ولايته حكومة هذه الكورة .

لكن الذى يغفر له هذا الزهو هو أنه قام بعمل كريم دل على عرفانه
للجميل ، اذ ما كاد يعلم أن التاجر الذى أعانه فى ضيفه يوم كان هو
ساعرا مملقا مجهول الشأن لايزال على قيد الحياة حتى بعث اليه بصره
مملوءة بالدراهم ، ولم تكن هذه الصرة سوى المخلاة التى بعها اليه التاجر
وقد ملاها شعيرا ، وكان ابن عمار قد احتفظ بها حتى يوده هذا ، ولم
يكتف عمن أحسن اليه قديما أنه لم يكن قانعا بعطيته اليه ، اذ قال له :
« لو كنت ملانها برا لكننا ملانها لك تبرأ (١٦) » .



لم تطل ولاية ابن عمار بشلب ، لأن المعتمد لم يطلق الجيش بعيدا عنه
فاستدعاه الى القصر وولاه الحجابة (١٧) .

الفصل العاشر

صور من حياة المعتمد

بلاط أشبيلية مجمع فطاحل الشعراء • المعتمد ووصيفه الشاعر
ابن وهبون • اللص الباز الأشهب واعجاب المعتمد بحيلته على سبيل
الفكاهة • استعمال المعتمد للباز الأشهب فى الشرطة • بعض من حياة
المعتمد • منادمته لوداد ومسامرته للونا (قمر) وعشقه لجوهرة • نجاح
قرطبة فى القضاء على آل بن جوهر ونفيهم الى شطليش • ظهور
ابن عكاشة محمى بن مرتين وعباد بن المعتمد على مسرح الأحداث وخلو
الجو لابن عكاشة الذى لا يلبث أن يموت مسموما • المعتمد يقتل
ابن عكاشة ثارا لولده عباد • مطامع ألفونس السادس فى اشبيلية وحيلة
ابن عمار فى رده •

صور من حياة المعتمد

كان المعتمد ووزيره ابن عمار يحبان الشعر حبا جما دفعهما لايتاراه على كل ما سواه ، ومن ثم أضحي بلاط أشبيلية ندوة يلتقى فى رحابها أنبغ الشعراء فى يومهم ، أما من دونهم فلم تواتهم الفرصة للظهور به لأن المعتمد كان ناقدا لودعيا ينقد كل قصيدة ترفع اليه نقد الخبير الألمى ، ويزن كل عبارة بها بل وكل لفظ حوته (١) ، وكان يسرف اسرافا لاحد له فى العطف على الشاعر الملهم اذا وفى فى العتور عليه ، وقد سمع ذات يوم أحدهم ينتقد هذين البيتين :

قل الوفاء فلا تلفيه فى أحد ولا يمر لانسنان على بال
كانه عندهم عنقاء مغربة أو مثل ما حدثوا عن ألف مقال
فسأل لمن البيتان ؟ ، فقبل له : « لعبد الجليل [بن وهبون] ،
أحد خدم مولانا » . فصاح المعتمد اذ ذاك : « هذا والله هو اللؤم ...
رجل من خدامنا والمنقطعين إلينا يقول : « أو مثل ما حدثوا عن
ألف مقال ؟ ، وهل يتحدث أحد عنا بأسوأ من هذا المقال وهذه
الأحدوثة ؟ » .

ثم بادى فى لحظته وأمر بوصل عبد الجليل بألف مقال (٢) .



وحدث فى مرة أخرى أنه كان يتحدث الى أحد الشعراء الصقليين الذين وفدوا على بلاطه بعد فتح « روجر النرمندى » بلادهم ، فدخل عليه بعضهم يحمل جملة دنائير قد ضربت منذ قريب ، فوصل المعتمد الصقلي منها بخريطين ، فلم يقنع الشاعر [واسمه أبو العرب] بما أصاب من العطية رغم ضخامتها ، وتطلع بعين الطامع الى تمثال بالقاعة لجمل مصنوع من العنبر ومحلى بالجواهر ، وقال للمعتمد : « ما يحمل هذه الدنائير يا مولاي الا جمل !! » ، فقال المعتمد : « هو لك » (٣) .

وتخلاصة القول فالثابت أن المعتمد كانت تعجبه راحة الفكر سواء عند الشاعر أو غيره حتى ولو كان هذا اللبيب لصا قاطع طريق ، كما تشهد بذلك قصة « الباز الأشهب » وهو رجل كان من أفتك قطاع الطريق

فى زمنه وأعباهم وأشدهم خطرا ، وقد انفرد بهذا اللقب وخصه الناس به
فكان نعتا له دون سواء •

ظل الباز الأشهب يبعث الرعب فى قلوب سكان الريف ويدمر
ما يملكون حتى وقع فى النهاية فى يد العدالة ، فأدين فحكم عليه بالصلب
على قارعة الطريق لينظر الفلاحون ما حل به ، وكان اليوم المضروب لتنفيذ
الحكم يوما حارا قائطا كأشد ما يكون القيظ ، وخلا الطريق - أو كاد - من
المارة الا من زوجته وبناته اللاثى وقفن عند أسفل الختنبه التى رفع عليها
وهن يقلن : « لمن تتركنا ؟ » سوف نضيق بعدك » ، وكان الباز الأشهب
رجلا شديدا الحنو على أسرته ، ينتسق قلبه عطفها عليها ، فاشتد جزعه
اذ فكر فى التربة التى سوف تلقاها بناته من بعده ، وحدث فى هذه
اللحظة أن مر به تاجر غريب الدار على بغل وتحت حمل تياب وجملته من
بضائع مختلفة وهو ماض لبيعها فى القرى المجاورة ، فصاح به الباز
الأشهب : « يا سيدى ، أنظر فى أى حال أنا ، ولى عندك حاجة ان تقضها
ففيها نفع لى ولك !! » فسأله التاجر « وما حاجتك يا رجل ؟ » قال :
« أنظر الى تلك البثر ، لما أرهقنى الشرط رميت فيها مائة دينار فعسى
تحال فتخرجها ٠٠٠ وهذه زوجنى وبناتى يمسكن بغلتك خلال ما تخرجها ،
فان فعلت فلك نصفها حالا » •

وتحركت فى التاجر شهوة الكسب وتغلبت عليه ، وسرعان ما
اجتنب حبلا وشده الى حافة البثر وتدلى وهو ممسك به حتى بلغ القاع ،
واذ ذاك قال الباز الأشهب لامرأته : « اقطعى الجبل وخذى ما على البغل ،
وفرى بيناتك » •

وتم ذلك كله فى طرفه عين والتاجر يصبح ويستغيث فى الجب
كالمجنون فلا يفاث ، وبقي على ذلك ساعة من الزمن غير قصيرة لم يهرع
لنجدته أحد ما فقد كان الطريق خاليا من السابلة ، حتى جاءه أخيرا أحد
المارة فلم يقو لضعفه على جذبه من البثر فوقف يلتمس عابرا آخر يعاونه
فى اخراجه •

ولما أتبع للتاجر الخروج بعد لاي من محبسه العميق قصص - على
منقذه اللذين سألوه عن السبب الذى من أجله نزل البثر ، فروى لهما
نكد طالعه وهو يصب اللصنات على اللص الذى غرر به واحتال عليه هذه
الحيلة الماكرة التى سرعان ما ذاع خبرها فى كافة أرجاء البلد حتى تناهت
الى سمع المصتمد الذى أمر بانزال الباز من فوق الخشبة وأحضره اليه ،
فلما صار بين يديه قال له : « كيف فعلت هذا مع أنك فى قبضة الهلكة ؟ »
فأجابه اللص : « يا سيدى ٠٠٠ لو علمت قدر لذتى فى السرقة لخليت
ملكك واشتغلت بها !؟ » •

فانفجر الأمير ضاحكا وقال : « عليك اللعنة ٠٠٠ او سرحنك وأحسن
الك وأجريت عليك رزقا يقيلك أتتوب عن هذه الصنعة الذميمة ؟ » .
فأجابه : « يا مولاي ، كيف لا أقبل التوبة وهى نخلصنى من
القتل ؟ » .

وبر الباز الأشهب بعهد ، فما كاد يسغل وظيفة فى الشرطة حتى
بت الرعب فى قلوب رفاقه السابقين ، بعد أن كان يتير الفزع من قبل فى
نفوس الفلاحين (٤) .



لقد تقلب المعتمد فى أعطاف حياة ناعمة لاهية ولم يسغل نفسه كبرا
بأمور الدولة ، حتى لقد قال فى احدى قصائده (٥) :

بالعقل تزدهم الهموم على الحشا والعقل عندى أن تزول عقول
وقد استنفدت المآذب شطرا كبيرا من وقته ، كما اضطرت رغبته فى
تذوق لذائذ الحياة لصرف ما تبقى منه قرب الكواعب الحسان من حريم
قصره ، وان لم يمنعه ذلك من البقاء على حبه للرميكية التى ظل هواها فى
قلبه عنيقا حبا حتى مات ، لكن لما كان مألوفاً عند البعض من أنه لا جناح
على السرى أن يكون له هوى مع غير زوجته دون أن يرمى بالتحول عنها ،
فقد كان المعتمد يبعث بين حين وآخر بالهدايا الى غيرها من النسوة فلا
تغضب الرميكية لوثوقها من سيطرتها على فؤاده .

لقد كانت هناك « وداد » الجميلة وفاتنته ، وكانت اذا شربت مع
الأمير أحس للشراب نكهة لا يلقاها مع سواها (٦) .

ثم كانت « لونا » التى تجلس اليه اذ يمضى لقراءة شعر القدماء أو
حين ينتهى لنظم القريض ، وحدث فى ذات مرة أن انسلت الشمس فألقت
بأشعتها فى حجرة مطالعته فقامت دونه تستره منها ، فقال فى ذلك :

قامت لتجذب ضوء الشمس قامتها عن ناظرى : حجب عن ناظر الغير
علما لمصرك منها أنها « قمر » هل تكسف الشمس الا صورة القمر؟

وكانت له جارية تدعى « جوهرة » ، جمعت بين حدة الطبع والحشمة ،
فان غضبت لقي المعتمد آلاما جساما فى فثا غضبها وفى ردها الى الهدوء .
وقد حدث ذات مرة أن سخطت عليه فكتب اليها يترضاها ويقدم اليها
معاذيره ، فأجابته اجابة كريمة وان لم تضع اسمها أعلاها كما جرت
العادة ، فلما رأى الأمير ذلك أنشد يقول (٧) :

لم تصف لى بعد والا فلم لم أر فى عنوانها « جوهرة »

دوت بأني عاشق باسمها فلم ترد للغيظ أن تذكره
قالت : لعنه اذا أبصره فباله ، والله لا أبصره

وما أروع السقم بأني به السحر !! •

لقد دعا الله الأمير أن يمن عليه بالمرض الدائم عساه أن يطالع عند
سريره تلك الطيبة الفاتنة الوردية النسفتين (٨) •

فد يخطيء من يظن أن المعتمد كان منصرفا كل الانصراف عن متابعة
عمل أبيه وجده من قبل ، فهو وإن لم يكن له من الأطماع ما كان لهما
الا أنه أخرج الى الوجود ما عجزا عن عمله من قبل ونجح هو فيما لم ينجحا
فيه ألا وهو ضم قرطبة الى مملكته في السنة الثانية من حكمه •

حقيقة أن أباه مهد له السبيل ، كما عاونته الظروف معاونة عجيبة ،
ذلك أنه قبل هذا التاريخ بست سنوات ، أعني سنة ١٠٦٤ م [= ٤٥٧ هـ]
تغلي أبو الوليد [محمد] بن جهور حاكم قرطبة عما بيده الى ولديه
عبد الرحمن وعبد الملك فساق الى أكبرهما مهمة الاشراف والجباية ،
وجعل للثاني (وكان شديد الميل الى) قيادة الجند (٩) ، غير أن ادارة
الابن الصغير سرعان ما غطت على ادارة أخيه الأكبر ، وإن يكن كل شيء قد
سار سيرا لا عوج فيه طول المدة التي كانت الادارة خلالها بيد ابن السقاء
الذي فرض احترام الحكومة على جميع أعدائها : من ظهر منهم ومن استتر ،
وكان من بين هؤلاء المعتضد ذاته الذي أدرك أن تحقيق رغائبه مرهون بما
يفعله لاسقاط ابن السقاء •

لذلك حاول المعتضد افساد ما بين عبد الملك بن جهور وبين وزيره ،
وشاء القدر أن يكسب له النجاح في تلك المحاولة ، فقد لقي ابن السقاء
مصربه قتلا مما نرتب عليه أوخم العواقب للبلد ، فقد استعفى الضباط
والعسكر الذين كانوا شديدي التعلق بالوزير ، كما كره الشعب في
عبد الملك قسوته وإهماله ، وبدى لهم أنه يحاول أن يمحو بالتدريج ما بقي
قائما حتى ذلك الوقت من النظم الجمهورية •

وأخذت قوة عبد الملك في التدهور منذ أن نهض المأمون صاحب
طليطة لحصار قرطبة في خريف ١٠٧٠ م [= ٤٦٣ هـ] ولم يكن عند
عبد الملك من قوة يدفع بها المغير سوى مائتي فارس ينقصهم التنظيم ،
ومن ثم طلب النجدة من المعتمد ونال ما تمنى ، وأمد المعتمد بامدادات
هائلة حملت الجيش الطليطي على رفع الحصار عن قرطبة والارتداد عنها ،
الا أن عبد الملك لم يجن من وراء هذا شيئا ما ، فقد راح زعماء الجيش
الاشبيلي ينفذون في السر أوامر مولاهم ، فاتصلوا خفية بأهل قرطبة

وانفقوا معهم على نزع السلطة من يدى عبد الملك ووضعها فى يد ماك
أشبيلية ، ولم ندبر هذه المؤامرة بليل فى الخفاء تدبرا بلغ من احكامه انه
لم يخامر شئ خاطر عبد الملك من ناحية القوم ، فلما كان صباح اليوم
السابع من رحيل المأمون نهيا ابن جهور للخروج ليكون فى وداع الاسبيليين
الذين كانوا قد أشاعوا أنهم راحلون عن المدينة فى ذلك اليوم ، فما راع
عبد الملك الا صيحات الشعب والتبرؤ من أمره تصك سمعه ، فتدبر الأمر
ولوى عنان فرسه الى قصره وقد أهدق به الشعب والجند الذين كانوا
يتظاهرون بمساعدته وتأييده ، فقبضوا فى هذه اللحظة عليه وعلى ابنه
وجميع أهل بيته .

هكذا أصبحت قرطبة فى قبضة المعتمد ، وسيق بنو جهور أسرى الى
جزيرة « شلطيش » ، فلم يلبث أبو الوليد التميمي غر أربعين يوما فارق
بعدها الحياة (١٠) .

ويتكلم الملك الساعر عن هذا النصر كما لو كان هو الذى قام به ،
وتنضج عباراته بالزهو اذ يقول (١١) :

خطبت قرطبة الحسناء اذ منعت من جاء يحطبها بالبيض والأسل
وكم غدت عاطلا حتى عرضت لها فأصبحت فى سرى الحلوى والحلل
عرس الملوك لنا فى قصرها عرس كل الملوك به فى مآتم وجل
فراقبوا عن قريب - لا أبا لكمو - هجوم ليت بدرع البأس مستمل
الا أن المأمون لم ير الهزيمة فيما جرى ، بل نراه على العكس من
ذلك يصمم على انتزاع قرطبة وامتلاكها مهما تحمل فى سبيلها من المشاق ،
فنراه يخرج بصحبة حليفه الفونس السادس مغربا أرباض المدينة ، الا أن
حاكم المدينة عبادا النساب وابن رميكية والمعتمد (١٢) دفعوه عنها ، وحينذاك
ساهم عكاشة فى الاستيلاء على ما كان يتطلع اليه .

كان عكاشة رجلا سفاكا للدماء ، كما كان من قبل قاطع طريق
يعتصم بالجبال ، ولم تكن تنقصه الكفاءة ، كما أن معرفته بقرطبة كانت
معرفة الخبير حيث قدر له أن يلعب دورا فيها من قبل حين كان فى يده
أحد حصونها ، فأخذ يدبر المكائد ويحيك المؤامرات بقرطبة ، ولم يكن
ذلك بالامر العسير عليه نظرا لتدمير الكنبرين من أهلها من سير الأحداث
بها .

حقيقة أن كل ما فى الأمير « عباد » كان يوحى بالأمل المرجو منه ،
الا أن صغر سنه لم يكن يسمح له لأن يكون مؤهلا للانفراد بالحكم ، ومن
ثم صارت القوة فى يد قائد الحامية « محمّد بن مرتين » الذى يظهر انه

نصراني الأصل ، ومع كفاءة هذا الرجل كجندى الا أنه كان فظا قاسيا ، سفاكا للدماء ، وفاجرا منبذلا ، فكرهه اهل قرطبة ولم يجد الكثيرون منهم أدنى غضاضة فى الاتصال بابن عكاشة الذى لم ينبجح فى ابقاء مؤامراته طى الكتمان ، اذ لاحظ أحد الضباط أن هذا اللص القديم يكثر من طرق أبواب المدينة ليلا ويتصل بعسكر الحامية اتصالا مربيا ، فحمل هذا الخبر الى الأمير « عباد » الذى لم يكثرث بالأمر كثيرا ، وبعث بهذا الضابط الى « محمد بن مرتين » الذى أحاله بدوره على جماعة من صغار الضباط . والخلاصة أن كلا منهم كان يلقي عبء الأمور على كاهل غيره دون أن يقوم أحد ما منهم بما يفرضه الواجب عليه .

ظل ابن عكاشة دائبا على الترصده له دون أن يكف عنه ، فلما جاء شهر يناير سنة ١٠٧٥ م [= ٤٦٨ هـ] استطاع ان يدخل المدينة مع رجاله ، وكانت الليلة عاصفة ، والدجنة طخياء ، ثم زحف مباشرة على قصر « عباد » وقد خلى من الحرس ، وبينما هو على وشك اقتحام الباب اذا بالبواب يسعر بما يجرى فيوقظ الأمير الذى يهب مع حفنة من العبيد والجند محاولين اعتراض ابن عكاشة والحيولة بينه وبين ما يريد . وعلى الرغم من شدة صغر سن الأمير الا أنه دافع دفاع الليث عن عرينه وأرغم المهاجمين على الجلاء عن الدهليز ، غير أن قدمه زلت فسقط عليه أحد المتآمرين وقتله ، ثم تركوا جثته بالطريق وهى تكاد تكون عارية اذ كانوا قد أيقظوه من نومه على حين غفلة ، ولم يسعفه الوقت لارتداء ثيابه .

سار ابن عكاشة بعد ذلك برجاله الى بيت القائد [محمد بن مرتين] الذى لم يدر بخلده أن سيهاجم الا فى اللحظة التى رأى القوم فيها يحملون على داره ، وكان اذ ذاك يتلهى بمشاهدة الجوارى وهن يرقصن بين يديه .

كان محمد بن مرتين دون « عباد » شجاعة ، لذلك ما كاد يسمع قعقة السيوف فى فناء بيته حتى بادر الى الاختفاء ، لكن القوم كشفوا مخبأه وقبضوا عليه وما لبثوا ان قتلوه .

وبينما كان الفجر يرسل أولى أضوائه ، وبينما كان ابن عكاشة ينتقل من دار الى دار ليضم الى جانبه الأشراف ويحملهم على نأبيده اذا بأحد المؤذنين يمر أمام قصر « عباد » وكان هذا المؤذن فى طريقه الى الجامع فأصرت عيناه جثة عارية هامدة فى الوحل ، فتأملها فعرف فيها الأمير الشاب ، فما كان منه الا أن ترحم عليه وغطاه بعباءته ، ولم يكده بخادر المكان حتى قدم ابن عكاشة الى هذا الموضع بالذات وحوله خليط من أولئك الأوهاب الذين يهتفون فى المدن الكبرى لكل ثورة جديدة .

ولما رأى ابن عكاشة «عبادا» مطروحا أمر بحز رأسه ، وطاف بها العوم شوارع المدينة وفد رفعوها على رمح ، فلما رأت الحامية هذا المنظر ألقت السلاح وحاولت النجاة ولاذت بأذيال الفرار ، حينذاك جمع ابن عكاشة أهل قرطبة بالمسجد الجامع وأخذ منهم البيعة للمأمون . وعلى الرغم من نفاق الكيريين منهم بالأمير [عباد] نعلقا كبيرا وإخلاصهم له إلا أن شدة الغزع وانتشاره بين الجميع حملهم على طاعة ابن عكاشة .

ثم قدم المأمون ذاته بعد عدة أيام من هذا الحادث ، وكان مظهره يدل على عظم بقدره لابن عكاشة فأسرف في تبجيله ، وزعم الناس أن ثقته به لم يكن لها حد ، ولكن الواقع أنه كان يكره في سريرته هذا اللص القديم الذي لا ينف عن ارتكاب الجريمة ، والذي ما كان له أن يتورع عن المبادرة إلى قتل المأمون ذاته إن دعت الحاجة إلى هذا القتل ، كما قبل «عبادا» الصغير بلا شفقة ولا رحمة ، لذلك راح يفتش عن حيلة يتخذها ذريعة ويتربقب فرصة تمكنه من إبعاده من مملكته دون أن ينير ضجة ، ولم يكتم خبر هذه الحطة عن المقربين إليه من جلسائه ، وحدث في ذات يوم من الأيام أن نهض ابن عكاشة لمغادرة المجلس ، فزفر المأمون زفرة طويلة ، ونفضه بعين يتطاول منها شر الغضب ، ودمدم بكلمات تنذر بالشر ، واذ ذاك جرؤ أحد أصدقاء ابن عكاشة على قول قالة أراد بها الدفاع عنه ، فقال له المأمون : «دع عنك هذه القعاقع . من اجتراً على الملوك لا يصلح للملوك !!» .

وفي شهر يونيو من سنة ١٠٧٥ م [= ٤٦٨ هـ] مات المأمون مسموما بعد مجيئه إلى قرطبة بسنة أشهر ، فاتهم أحد رجال حاشيته بأنه المدبر لقنائه ، أفهل يستبعد أن يكون ابن عكاشة هو مدبر هذه الجريمة ؟؟



من ذا الذي يستطيع الانطلاق إلى بلاط أشبيلية وبصور الحزن الذي كان يأكل حنايا المعتمد حين نناهى إلى سمعه ذلك النبأ المنشوم : نبؤ ضياع قرطبة ومصرع ابنه البكر الذي كان متعلقا به تعلق الجاهلي بوثنه .

لقد انطوى هذا القلب النبيل على شعور أنبل وأرفع من الرغبة في التآمر ، ذلك هو احساسه بالشكر العميق تجاه هذا المؤذن الذي دفعته رقة قلبه لوضع عيائه على جثمان ولده عباد ، وأسف المعتمد لعجزه عن مكافأته لجهله اسمه ، فأنشأ يقول (١٣) :

ولم أدر من ألقى عليه رداه سوى أنه قد سل عن ماجد محض

ظل المعتمد ثلاث سنوات يبذل المحاولات دون جدوى لاسترداد قرطبة والانتقام من ابن عكاشة لمقتل ابنه حتى تحقق له الاستيلاء على قرطبة يوم الثلاثاء الرابع من سبتمبر سنة ١٠٧٨ م [= ٤٧١ هـ] ، وبينما كان يهيم بدخول المدينة من أحد أبوابها كان عكاشة يفادرها من باب آخر ، فبعث المعتمد في اثره نفرا من فرسانه يقصون اثره حتى قبضوا عليه ، ولما كان هذا اللص القديم يدرك ألا أمل له في الحصول على عفو الأب المفجوع في ابنه الصريع فقد اعزم أن يبيع حياته غالية ، فكر على أعدائه كرة الور الهائج فلم تنفعه غضبته ، اذ أسعفتهم كثرة عددهم بأن تكون لهم الغلبة عليه فأمسكوه وجاؤوا به الى المعتمد الذى أمر بصلبه فصلبوه وجعلوا الى جانبه كلبا .

وتلى سقوط قرطبة سقوط جميع نواحي طليطلة فيما بين نهر الوادى الكبير ووادى آنة (١٤) .



كان هذا النصر من الانتصارات الباهرة ، لكن المعتمد كان يحام بالمكافأة ، فلو أننا قارنا المعتمد بجميع ملوك الأندلس لبزهم جميعا ولكان أقوى أمير فيهم ، الا أنه لم يكن أكثر من أى واحد منهم استقلالاً ، اذ كان هو الآخر متلهم فى مرتبة التابع يدفع الجزية التى أداها أولا الى غرسبة (١٥) ثم الى الفونس السادس من بعده منذ استيلاء الأخير على مملكتى أخويه : سانجة وغرسبة .



كان الفونس السادس حاكما شديدا الوطأة ، لم يكتف بالجزية السنوية يفرضها على أعدائه بل راح يهدد من آن لآخر بضم أملاك أتباعه العرب الى مملكته ، وقد حدث فى احدى المرات أن خرج على رأس جيش كنيف العدد لغزو اقليم أشبيلية مما أدى الى انتشار الذعر بين المسلمين الذين كانوا أضعف من أن يستطيعوا دفعه ، ودب اليأس فى قلوب الجميع باستثناء ابن عباد الذى لم يعتمد قيد ذرة على الجيش الاشبيلي ، اذ أدرك استحالة قهر القوات المسيحية بمثل هذا الجيش ، غير أنه كان يعرف « الفونس » لكثرة نردده على بلاطه (١٦) ، ويدرك فيه طمعه ، وأيقن أنه من اليسير التغلب عليه لمعرفته بذوقه وحيله ، واعتمد على هذا الأمر فبادر الى تنظيم المقاومة الحربية ، وصنع سفرة شطرنج كانت بديعة غاية الابداع ولم يكن عند ملك من الملوك سفرة شطرنج مثلها ، وجعل رموزها من الأبنوس [والعود الرطب] والصندل ، وحلاها بالذهب ثم دخل بها على الفونس فى معسكره ، فأعظم الفونس قدومه اذ كان ابن عمار أحد المسلمين القلائل الذين يقدرهم الفونس .

ثم جاء يوم أظهر فيه ابن عباد تلك الرقعة من الشطرنج لأحد النبلاء

القنستاليين من خواص ألفونس ، فنقل النبيل خبرها الى مولاه فاستحضر
المعتمد وسأله : « كيف أنت فى الشطرنج ؟ » .

قال : « يزعم خواصى أننى فيه طبقة » .

قال : « بلغنى أن عندك سفرة غابة فى الاتقان ؟ » .

قال : نعم !!

قال : كيف السبيل الى رؤيتها .

قال ابن عباد : أنا آتبك بها على أن ألعب معك عليها ، فإن غلبتني
فهى لك ، وإن أنا غلبتك فلى حكى .

فقال ألفونس : « هلمها لننظر » .

فحملها ابن عباد الى ألفونس الذى ما أن رآها حتى أعجبته دقة الصنعة
وبراعة الاتقان ورسم الصليب على صدره ثم قال : « ما ظننت أن اتقان
الشطرنج يبلغ الى هذا الحد » .

وامتلأت نفس ألفونس إعجابا بالرقعة فقال للمعتمد : « كف
قلت ؟ » .

فأعاد عليه ابن عباد قوله الأول ، فقال ألفونس : « لا ألعب على حكم
مجهول لا أدرى ما هو ، ولعله شيء لا يمكننى » .

فقال ابن عباد فى هدوء : « وأنا لا ألعب الا على هذا الوجه » .

ثم أمر أحد خدمه برفع السفرة فطواها وحملها الى معسكره .

وانفض المجلس .

لكن ابن عباد لم يكن بالرجل الذى يسمح لليأس أن يجد سبيلا الى
نفسه ، بل بادر فاتصل سرا بجماعة من النبلاء القشتاليين . وبين لهم
ما سيطلبه من ألفونس ان تمت له الغلبة عليه ، ووعدهم بمال جزيل ان
هم أزروه فى هذا الموضوع ، فاستهواهم الذهب ووثقوا بعهود الأمير العربى
وناصروه كما اشتهى اذ كان ألفونس يتحرق شوقا للحصول على هذه
السفرة من الشطرنج ، ومن ثم سأل أمراءه الرأى فيما يفعل ، فقالوا :
« ان أنت غلبته كانت عندك سفرة ليس عند ملك من الملوك مثلها . وإن
غلبك فما عسى أن يحتكم ؟ . . . وإن هو طلب مالا يمكن فنحن لك برده
عن ذلك » .

وظلوا يحادثونه ويلقون اليه بمنل هذه الأقوال المغرية حتى استطاعوا
التغلب على تردده وأجابهم الى ما أرادوا .

وارسل ألفونس الى ابن عباد الذى كان ينتظر بسفرتة ، فلما دخل عليه قال له : « فد قبلت ما رسمته ! » •

فرد عليه قائلا : « اجعل بينى وبينك شهودا كعلان وفلان » ، ثم سمي له كثيرا من النبلاء القسطنطينيين ، فقبل الملك طلبه ، وحضر أولئك الكبراء ، وبدأ اللعب ، فغابه ابن عباد غلبة ظاهرة ، فقال له : « هل صح أن لى حكمى ؟ » فأجابه الملك : « نعم ، فما هو حكمك » قال : « ان ترجع من هاهنا الى بلادك » •

فأربد وجه ألفونس وامنعق ، وأقامه الهم وأقعدته ، وأخذ يذرع الفسطاط فى خطوات واسعة ، ثم قال لخواصه : « قد كنت أخاف من هذا حتى هونتموه على » •

وصمت ساعة من الزمان ثم قال : « سأنكت ، وأنمادى لوجهى » • فقال له القسطنطينيون : « قبيح بك أن نفعل هذا ، وكيف يجمل بك الغدر وأنت ملك ملوك النصرارى فى وقتك ؟ » •

ولما هدأت أخرا فورة ألفونس بعض الهدوء قال لابن عباد : « سأفى لك بمعهدي ولا أرجع حتى آخذ أناوة عامين خلاف هذه السنة » •

فقال ابن عباد : « هذا كله لك » •

ثم جاءه ابن عباد بالمال الذى طلبه •

وهكذا سلمت أشبيلية هذه المرة من الغزو الذى كان يهدد وجودها . واطمأن خاطرها بفضل لباقة وزبرها (١٧) •

الفصل الحادي عشر

مطامع ابن عمار ونهايته

تطاع ابن عمار الى مرسية • ولاية أبي عبد الرحمن بن طاهر العربي القيسي • ابن عمار يوثق علاقانه مع الناقمين على ابن طاهر من كبار رجال مرسية • اتفاق ابن عمار وكونت برشلونة على مهاجمة مرسية • غضب المعتمد على ابن عمار ثم صفحه عنه • اطلاق سراح ابن أخى ريموند والرشيد • ابن عمار وقشير يزحفان على مرسية • الاستيلاء على مولة • دخول ابن عمار مرسية منتصرا واهماله أمر مولاة المعتمد ثم اعتذاره اليه • ابن زيدون الشاعر أكبر الواسين بابن عمار عند المعتمد • ابن عمار يزج بابن طاهر فى السجن ويرفض اطلاق سراحه • هرب ابن طاهر الى بلنسية ومحاولة ابن عمار اثارة أهلها ضده • ابن عمار يهجو صاحبه ابن عباد ويعرض بالرمبكة • تأليب الجند على ابن عمار وهروبه الى الفونس ليساعده فى استرداد بلنسية • السباق بين ابن عمار وابن رشيق فى التقرب من الفونس • تقلب ابن عمار بين الولايات والحكام ووضع نفسه فى خدمة المؤتمن • أسر بنى سهيل لابن عمار وبيعهم اياه للمعتمد • ابن زيدون يهينه ويؤجج الحقد فى نفس ابن عباد على ابن عمار • المعتمد يقتل ابن عمار •

مظالم ابن عمار ونهايته

لم يكتف ابن عمار بانقاذ مملكة أشبيلية بل تطلع أيضا الى بسط حدودها لا سيما على حساب ولاية « مرسية » التي كانت في بادئ الامر جزءا من أملاك زهير ، ثم صارت تابعة لمملكة « بلنسية » ، غير أنها استقلت بتدبير أمورها ابان الحقبة التي نتكلم عنها ، حيب كان يحكمها « أبو عبد الرحمن بن طاهر » الأمير العربى الأصل ، الفيس القبيلة .

كان ابن طاهر وافر التراء اذ كان يمتلك نصف الولاية ، كما كان فى الوقت ذاته على حظ عظيم من الثقافة (١) . لكن لبس نحت يده من العسكر غير شزيمة ضئيلين ، فكان من السهل غزو ولايته وهو أمر لم يفت انتباه « ابن عمار » الذى قام فى (٢) سنة ١٠٧٨ م [= ٤٧١ هـ] فاخترق مرسية ميمما وجهه شطر كونت « برسلونة » واسمه « ريموند برانجر » الثانى ويلقب بصاحب القلنسوة الكتانية Cap d'Etoupe نظرا لكثافة شعره ، ولا ندرى الدافع لابن عمار على القيام بتلك الحركة ، ولكنه اغتنم هذه الفرصة فوثق وشائج المودة بينه وبين فريق من أشراف « مرسية » الناقمين على ابن طاهر ، أو بلفظ أدق بالمستعدين لخيانته اذا تقدم أحد اليهم بالمال يرشوهم به .

ولما وصل ابن عمار الى « ريموند » عرض عليه عشرة آلاف دينار اذا قبل معاونته على غزو مرسية ، فقبل الكونت عرضه ، واكد قبوله ودفع ابن أخيه الى ابن عمار تأكيدا للاتفاق فوعده الوزير من جانبه بتسليمه الرشيد بن المعتمد قائد الجيش الاشبيلي ان لم يصل المال فى الوقت المتفق عليه ، الا أن المعتمد كان يجهل هذا الشرط ، ولم يكن يدور بخلد ابن عمار أن الحاجة ستدعو لتطبيقه يقبنا منه بأن المال لابد واصل فى حينه .

وخرجت قوات أشبيلية للغزو وانضمت اليها قوات ريموند ، وهاجم الفريقان ولاية مرسية ، غير أن ما طبع عليه المعتمد من التوانى والابطاء أدى الى التفصير فى الوفاء بالشرط المتفق عليه ، مما خيل معه للكونت أن ابن عمار قد غرر به ، فقام فى سورة غضبه وألقى القبض على « الرشيد » الذى لم يفلح الجنود الاشبيليون فى انقاذه ، فقد دارت عليهم الدائرة ولحقت بهم الهزيمة واضطروا الى الارتداد .

كان المعتمد اذ ذاك فى طريقه الى مرسية . وكان الى جانبه ابن أخى الكونت واتسم زحفه بالبطء ، فلما بلغ ضعاف نهر الوادى اليانغ الذى

عجز عن عبوره نظرا لتلاطم أمواجه رأى على الجانب الآخر من النهر فريقا من جنده الفارين من المعركة ، ومن بينهم فارسان يحملان اليه تعاليم ابن عمار ، وسرعان ما دفع هؤلاء الجند دوابهم فخاضت بهم النهر وجاوزوه الى حيث يوجد المعتمد فذكروا له الاحداث المؤلمة التي جرت ، وأضافوا الى ذلك قولهم ان ابن عمار يأمل ألا يطول الوقت عليه لاسترداد الحرية . وسألوا الأمير - على لسانه - أن يبقى حيث هو ، فلم يلق سمعا الى طلبهم بل استند به الذعر من جراء الأخبار التي تناهت الى سمعه ، ولم يطمئن بآله على مصير ولده ، فنفهر حتى بلغ « جيان » بعد أن قيد ابن أخى الكونت .

بعد عشرة أيام من ذلك الحادث وصل ابن عمار وفد أطلق سراحه الى مقربة من « جيان » الا أنه لم يجرؤ على المول أمام المعتمد خوفا من غضبه عليه ، واكتفى بأن بعث اليه بالآبيات التالية :

أسلك قصدا أم أعوج عن الركب؟
وأصبحت لأدري أفي البعد راحتي
إذا انقدت في أمرى مشيت مع الهوى
على أننى أدري بأنك مؤثر
أهابك للحق الذى لك فى دمي
أظلم فى وجهي لذا فمر الدجى
حنانيك فمن أنت شاهد نصحه
وما جئت شيئا فيه بغى لطالب
سوى أننى أسلمتني للممة
وما أغرب الأيام فيما قضيت به
أمسا انه لولا عوارفك التى
لما سمت نفسى ما أسوم من الأذى
سأستسمح الرحمن لديك ضراعة
فان نفحتني من سمائك مرجف

فقد صرت من أمرى على مركب صعب
فأجمله حظي ؟ أم الحظ في القرب؟
وان أتعبه نكصت على عقبي
على كل حال ما يزحزح من كربى
وأرجوك للحب الذى لك فى قلبي
وتنبو بكفى صفحة الصارم العضب؟
وليس له غير انتصاحك من «حسب»
يضاف به رأى الى العجز والعجب
قللت بها حدى وكسرت من غربى
ترينى بعدى عنك آنس من قربى
جرت جريان الماء فى الفصن الرطب
ولا قلت ان الذى فيما جرى ذنبى
وأسأل سقيا من تجاوزك العذب
سأهتف : يا برد التسييم على قلبي

أما المعتمد الذى لابد أن قد أحس أنه هو الذى أخطأ بتاريخه فلم يعارض دعوة ابن عمار فى تذكيره بصداقته ، ورد عليه قائلا :

لدى لك العتبي تراح من العتب
وأعزز علينا أن تصيبك وحشة
فدع عنك سوء الظن بى وتعهده
قريضك قد أبدى توحش جانب
تكلفته ، أبغى به لك سلوة

وسمبك عندي لا يضاف الى ذنبى
وأنسك ما ندرية فيك من الحب
الى غيره فهو الممكن فى القاب
فراجعت تأنيسا، وعلمك بى حسبى
وكيف يعانى الشعر مشترك اللب

ولما أفرخ روع ابن عمار بهذا الرد خف الى مولاه وانطرح على قدميه ، واتفقا على اطلاق سراح ابن أخى الكونت واعطاء ريدوند العشرة آلاف مثقال المتفق عليها ، على أن يطلق هو الآخر « الرشيد » من عنده ، غير أن ريموند لم يقنع بالمال المتفق عليه فيما بينهما بل طالب بنلاثين ألف دينار ، ولما لم يكن لدى المعتمد حينذاك هذا القدر من المال فقد زيف سبيكة عظيمة وسكها عملة ، وشاء حسن حظه ألا يفتن الكونت لهذه الخديعة الا بعد اطلاقه سراح الرشيد (٣) .



لم يكف ابن عمار عن طمعه فى الاستيلاء على « مرسية » رغم هذا النجاح الضعيف الذى انتهت اليه محاولته الاولى ، فقد ادعى أنه تلقى كتباً نبعت فيه الآمال الجسام ، وأن هذه الكتب قد أنفذها اليه فريق كبير من أشرف « مرسية » ، وأدخل ذلك فى روع المعتمد الذى أذن له أخيراً بالخروج بالجيش الاشبيلي لمحاصرة « مرسية » .

ولما بلغ ابن عمار قرطبة مكث بها أربعة وعشرين ساعة ضم خلالها الى جنده من كان بهذه المدينة من العسكر ، وقضى الليلة بصحبة حاكمها ابن المعتمد واسمه « الفتح » الذى أعجب ببراعة أحاديثه وحدة ذكائه ، اذ جاء أحد الصبيان الى ابن عمار ينهى اليه أن الفجر كاد أن يتنفس ، فزجره الوزير وارتجل هذا البيت :

اليك عنى فليلي كله صبح وكيف لا وسميرى الحاجب الفتح

تابع ابن عمار زحفه حتى قارب حصنا كان لا يزال يسمى حتى ذلك الوقت بـ« حصن » بلج » زعيم عرب الشام فى القرن الثامن ، وكان الحصن فى يد رجل من قبيلة « بلج » ينعت بقشير (٤) فخف هذا العربى المدعو بابن رشيق لمقابلته ، وعرض عليه النزول بـ« حصنه » حتى يستجم ، فلبى ابن عمار دعوته وتلطف صاحب الحصن به حتى وثق به ابن عمار ، ولم يخطئ فى ثقته بهذا الصديق الجديد الذى صحبه ، وزحفا على مرسية وحاصراها ، ولم تلبث « مولة » ان استسلمت لابن عمار وكان فى هذا الاستسلام ايدان بشر مستطير لأهل « مرسية » اذ كانت مؤونتهم تصلهم من هذه الناحية ، ولم يخامر ابن عمار الشك فى أن المدينة ذاتها لن تلبث هى الأخرى. أن تدعن له ، وعهد الى ابن رشيق بحراسة « مولة » وان لم يترك بها من فرسانه الا نفرا قليلا ، ثم انكفأ هو الى « أشبيلية » ببقية عسكره ، فلما بلغها وصلته رسائل قائده ينهى فيها اليه أن المجاعة أهلكت « مرسية » ، وأن جماعة من وجوه أهلها الموعودين بأرفع المناصب قد مدوا يد المعونة للمحاصرين بها ، واذا ذاك قال ابن عمار : « كأنكم بفتح مرسية من غد الى بعد غد ؟ » ، وتحققت نبوءته فقد فتح جماعة من

الخونة أبواب المدينة لابن رشيق ، وزج بابن طاهر فى الحبس ، وقام جميع السكان فباعوا المعتمد (٥) .

لم يكذ ابن عمار يتلقى هذا الأنباء حتى تملكته الفرحة وازدهام الفرح ، وطلب من المعتمد أن يأذن له بالإقامة فى البلد المفتوح فأجابه المعتمد لما أراد ، وحينذاك رأى الوزير أن يحسن مكافأة أهل « مرسية » المكافأة الطيبة ، فأهداهم كثيرا من الخيول والبغال التى ساقها من قصر مولاه ، وحمل غيرها الى أصحابه ، وحملها بالثياب الغالية ، ثم أخذ فى الرحيل بين دق الطبول وخفق البنود ، وكان كلما مر ببلد ترك به بعض المال ، ثم دخل « مرسية » دخول الظافر ، فلما كان اليوم التالى جمع أهلها وخرج اليهم بظهر الملك عاصبا رأسه بقلنسوة طويلة لم يكن من عادة المعتمد لبسها الا فى الأعياد الكبرى ، ولما شرع الناس يرفعون اليه حاجاتهم راح يمهرها بعبارة « ينفذ هذا ان شاء الله » مسقطا اسم المعتمد .

لم يكن هذا المسلك من ابن عمار الدال على اعجابه بنفسه الا دليلا على تمرده ، أو لعل هذا ما رآه المعتمد الذى لم يسلم نفسه للغضب ولكن استولى عليه الأسى والقنوط ، ورأى بعينه حلم خمسة وعشرين عاما يتبدد فى لحظة ، وأدرك أنه كان مخدوعا فيما أوحاه اليه قلبه ، وأيقن أن مودة ابن عمار له وتظاهره بالنزاهة وشدة الاخلاص لم تكن الا افكا وتضليلا ، ولربما كان ابن عمار فى الحقيقة على الصورة التى ظنه عليها مولاه ، الا أنه لم يكن يفكر أبدا ولم يكن يدور بخلده أن يتمرد على ولى نعمته ، ولما كان ابن عمار مفسدا قليل الانفعال فانه لم يشعر نحو المعتمد بالصدقة العنيفة الفائرة التى كان المعتمد يظهرها له ، ومع ذلك فقد كان ابن عمار يضم الحب الصادق لمولاه ، تشهد بذلك الابيات التى وجهها اليه ردا على لومه اياه :

ولا أنا ممن غيرته الحوادث
لينبأى بحظى منك ثان وثالث
ولا نفحت تلك السجايا الدمائن
حلاوته عنى الرجال الأخائب
لدى ، ولا أنى لعهدك ناكث
كما ساعدت صوته المنانى المثلث
تجافت لنا عنها الخطوب الكوارث
ولا تليت عنى مساع خباثث
نهايا ، وللايام أيد عواثث
إذا مت عنها قام بعدى وارث

لك المثل الأعلى وما أنا حارث
ولا شاركته الشمس فينا وانه
فديتك : ما للبشر لم يسر برقه
أظن الذى بينى وبينك أذهبت
تنكرت ؟ لا انى لفضلك ذاكر
ولكن ظنون ساعدتها حمائم
أبعد انقضا خمس وعشرين حجة
مضت ، لم ترب منى أمور شوائب
حللت يدا ، بى هكذا وتركتنى
وهل أنا الا عبد طاعتك التى

أعد نظرا ، لا توهن الراى انه قديما كبا هاف وأدرك رائت
ستذكرنى ان بان حبلى، وأصبحت نبيد بكفيك الحبال الرثائب
وتطلبنى ان غاب للراى حاضر وقد غاب منى للخواطر باعث
ومن يدرى لعل لحظة من اللقاء تجمع بينهما كانت كافية لنبيد
سوء ظن المعتمد بوزيره وتعيد هذين الصديقين الى سابق عهدهما الذى
كانا عليه !!

لكن وأسفاه !!

لقد كان كل من الأمير والوزير بعيدا عن الآخر كل البعد ، وكان
لابن عمار فى أشبيلية رهط من الحساد والأعداء الذين لم يكفوا عن افتراء
الأكاذيب عليه ، ويصورونه فى صورة تقلد لها عين الأمير ، وقد تمكن
هؤلاء « الوشاة » كما سماهم ابن عمار فى احدى قصائده تمكنا عجيبا من
الأمير فسيطروا عليه كل السيطرة ، ومن هؤلاء « الوشاة » (٦) الوزير
أبو بكر بن زيدون (٧) ، أوسع رجال ذلك العصر نفوذا فى القصر ، فقد
استطاع أن يشكك المعتمد فى صدق محبة ابن عمار له منذ أن طلب
الوزير الاذن له بالشخص الى « مرسية » . أضف الى ذلك أن ابن عمار
وجد عدوا لا يقل عن سابقه خطورة فى شخص ابن عبد العزيز أمير
« بلنسية » وحليف ابن طاهر وصديقه .

حين بلغ ابن عمار « مرسية » عنى باظهار أحسن المعاملة تجاه
ابن طاهر فلم يقصر فى البحث اليه بكثير من الثياب الغالية ليختار منها
ما يعجبه ، غير أن ابن طاهر كان مطبوعا على السخوية المريعة ، وزاد من
حدة غضبه ضياع ولايته من يده ، فرد رسول ابن عمار قائلا له (٨) :
« قل لمولاي الأمير اننى ما أريد سوى هذه الجبة والعمامة » .
فلما وقف ابن عمار على رده قال : « والله لقد عناني يوم كنت
فقيرا وجئت أنشدته شعري » .

لم ينفر عرق لابن طاهر من هذه الصفعة القاسية التى جرحته
كبريائه ، وقد زج به فى حصن « منت أقوط » (٩) .
استجاب المعتمد لتوسلات ابن عبد العزيز فبعث الى وزيره بأمره
باطلاق سراح ابن طاهر ، فتغافل ابن عمار عن أمره (١٠) ، لكن ابن طاهر
تمكن من التخلص من حبسه بفضل المعونة التى قدمها اليه ابن عبد العزيز
ومضى فأقام ببلنسية فاستشاط ابن عمار غضبا ، واذا ذاك نظم
ومضى فأقام ببلنسية فاستشاط ابن عمار غضبا ، واذا ذاك نظم قصيدة
يحث فيها أهل بلنسية على التمرد والثورة على أميرهم ، وكان مما جاء
فيها قوله (١١) :

يا أهلها من غائب أو حاضر
جاروا بنى عبد العزيز ، فانهم
ثوروا بهم متأولين وقلدوا
هذا محمد أو فهذا أحمد
جاء الوزير بها يكشف ذيلها
نكت اليمين وجار عن سنن التقى
بر اليمين ولم يعرض نفسه
هبهات تطمع في النجاة لطالب
كيف التفلت بالخدعة من يدي

وقطينها من راسخ أو طارى
جروا اليكم أسوأ الأقدار
ملكا يقوم على العدو بنار
وكلاهما أهل لتلك الدار
عن سواة سوى ، وعار عارى
وقضى على الأقبال بالادبار
ونفوسكم لمصارع الفجار
ساع - اذا دنت الكواكب - سارى
رجل الحقيقة من بنى عمار ؟

فلما تنهى خبر هذه القصيدة الى سمع المعتمد رعب أنفه غضبا
وتسعر حنقا على ابن عمار ، ونظم أبياتا سخر فيها منه ، فقال :

كيف التفلت بالخدعة من يدي
الأكثرين مسودا ومملكا
والمؤثرين على العيال بزادهم
الناهضين من اليهود الى العلا

رجل الحقيقة من بنى عمار
ومتوجا في سالف الأعصار
والضاربين لهامة الجبار
والمنهضين الغار بعد الغار

ما أن سمع عبد العزيز هذه الأبيات حتى أفرحته وان أغضبت
ابن عمار الذى نظم قصيدة أولغ بها فى هجاء المعتمد والنيل من الرميكية
ومن بنى عباد أجمعين ، وقد تجرأ ذلك المغامر المولود فى المهانة والذى
رفعته مودة المعتمد الى مكانة سامية فتطاول على بنى عباد وقذفهم بأنهم
لم يكونوا سوى مزارعين مغمورين فى نواحي « يومين » أو « أم القرى » ،
كما قال فى إحدى قصائده ساخرا ، وتابع كلامه قائلا :

تخبرنها من بنات الهجين « رميكية » ما تساوى عقالا
فجاءت بكل قصير العذار لثيم النجارين : عما وخالا
قصار القدور ، ولكنهم أقاموا عليهم قرونا طوالا

غير أن - بقية من خجل منعت ابن عمار من الجهر بتاك الأبيات
التي نظمها فى لحظة لم يستطيع التحكم فيها فى زمام غضبه ، فلم يعلم
بها سوى أقرب خواصه اليه ومن بينهم رجل يهودى وافد من الشرق وثق
به ابن عمار ثقة صار معها عنده غير ظنين أو متهم فى ولاءه له ، ولم يدر
بخلد ابن عمار أنه عين من عيون ابن عبد العزيز . وتيسر الأمر لهذا
اليهودى فحصل على نسخة من هذا الهجاء بخط ابن عمار نفسه فانفذها
الى أمير « بلنسية » الذى بادر بكتابتها الى المعتمد ، وطيرها باحدى الحمام
الزاجل ، مدرجة طى كتاب منه اليه .

واستحال الوفاق بين الأمير والوزير ، ولم يتسنى للمعتمد
ولا للرميكية ولا لأبنائهما أن يغفروا لابن عمار هجوه المقذع ولا ينيله العبدى .
منهم الا أن ملك أشبيلية لم تكن حاجته مثل حاجة وزيره ، فقد تكفل غيره .
بهذه المهمة .

انصرف ابن عمار انصرافا تاما الى صبواته ، ولم يدر بخلده أن
ابن رشيق سوف يغدر به بمعونة أمير بلنسية ، ولم يدرك حقيقة الأمر
الا وقد تم الأمر ، فقد حرك ابن رشيق الجند على ابن عمار فألحوا فى
مطالبتهم اياه بما تأخر من رواتبهم ، فلما عجز ابن عمار عن مرضاتهم
هددوه بتسليمه الى المعتمد فارتعدت أوصاله جزعا ، ورأى السلامة فى
الفرار السريع .

والتبس ابن عمار النجاة عند الأذفونش ، مؤملا أن يعاونه فى
استرداد «بلنسية» لكن خاب فآله اذ تمكن ابن رشيق بهداياه السنية من
استمالة الأذفونش اليه ، فقال لابن عمار : « انما مثلك مثل السارق (١٢) ،
سرق السرقة فضيعها حتى سرت منه ، فسرقتها غيره (١٣) فضيعها ،
فسرقتها غيرهما » (١٤) .

فأثبت حينئذ كل أمل لابن عمار من ناحية مملكة ليون ، ومن ثم
شخص الى سرقسطة حيث خدم المقتدر ، غير أن بلاطه كان دون بلاط
أشبيلية روعة وفخامة ، فلم يطلب له المقام به فغادره الى «لاردة» التى كانت
تحت حكم «المظفر» أحد أخوة المقتدر الذى رحب به أجمل ترحيم ، الا انه
ابن عمار رأى أن «لاردة» أقل أنسا من «سرقسطة» فعاد إليها حيث كان
«المؤمن» قد خلف أباه المقتدر (١٥) .

استولى الضجر على نفس ابن عمار ، والضجر خطر مخيف ، وامتد
كالسحابة السوداء على يومه وغده ، وعلى حاضره ومستقبله ، ومن ثم
اعتبر نفسه سعيدا ان هو أتاحت له الفرصة للخروج من سكونه حيث
ثار أحد أصحاب الحصون ، وكانت لابن عمار معرفة سابقة بهذا الثائر ،
فتعهد للمؤمن باخضاعه له وزحف عليه فى نفر قليل ، حتى اذا بلغ
سفح الجبل الذى يقوم على قمته الحصن طلب ابن عمار من الثائر أن
بأذن له فى زيارته غير مستصحبه معه سوى رجلين فقط ، فلم يسه
صاحب الحصن الظن بابن عمار وبأدر قلبى طلبه ، واذا ذاك قال ابن عمار
لخادميه : جابر وهادى : « صبا سيفيكما عليه اذا رأيتماني أماشيء ويدى
فى يده » .

وقضى صاحب الحصن نجه مقتولا فالقى جنده بأيديهم الى ابن عمار
مستشفعين به فأنهم ، وحفظ المؤمن لابن عمار يده هذه عليه ، ثم لم يلبث

أن أخذ يترقب فرصة جديدة ينفس فيها عن نشاطه الجهم ، فأراد أن يحصل للمؤمن على « شقورة » التي كانت تقوم على قمة جبل صعب المرتقى صان لها استقلالها ، ثم استولى عليها « سراج الدولة » بن علي أمير « دانية » وبقيت « شقورة » خاضعة له مدة من الزمن ، فلما مات « سراج الدولة » طمع الفائمون بالوصاية على - أولاده - وهم بنو سهيل - في بيع « شقورة » الى أحد الأمراء المجاورين لها ، غير أن ابن عمار كان قد وعد المؤمنين أن يستخلصها له كما استخلص له من قبل الحصن الذي أشرنا اليه . ومن ثم سار على رأس جماعة من الجند وطلب من بني سهيل أن يأذنوا له بلقائهم ، فاستجابوا له ، ولكن بدلا من أن يوقعهم ابن عمار في شرك حباله وقع هو فيما نصبوه هم له ، اذ كادوا له نارا لاساءة سبقت منه اليهم أيام ولايته « مرسية » .

كانت أطراف هذا الحصن شديدة المنعة بفضل وجود هوة شديدة الانحدار ، فاذا أراد أحد دخول الحصن كان لابد له من الاستعانة في الضعود اليه بساعديه ، فلما بلغ ابن عمار هذه الناحية بصحبة خادميه جابر وهادي أحس بمن يجذبه الى فوق ، ولم تكن قدماء تسان الأرض حتى أخطق به جند الحامية ونهبوا رقيقه . أن يهربا بأنفسهما ان كانا يطعمان في الحياة ويكرهان الموت بحد السيف ، فانطلقا على وجهيهما حاملين لجند سرقسطة نبأ وقوع ابن عمار في الأسر ، فحاول الجند انقاذه فلم يفلحوا فيما حاولوا ولم يحققوا ما ارتجوه ، فعادوا من حيث أتوا .

زوج بنو سهيل بابن عمار في السجن ، ثم عزموا على بيعه لمن يغلي لهم الثمن ، ففقد للمعتمد أن يشتريه وأن يشتري أيضا حصن « قشورة » ، وكلف ابنه الراضي بأخذ الأسير الى مدينة قرطبة التي دخلها ذلك الأمير المنكود وهو يرسف في أغلاله ، وقد أركبوه بغلا ووضعوه بين عدلى تبين ، وانهاى المعتمد عليه تقريبا ، وأطلعته على الهجاء المقلد سائلا إياه عما اذا كان يعرف صاحبه .

أما الأمير الذي كان غير قادر على الوقوف لثقل الأغلال التي يرسف فيها فقد أنصت صامتا لا يستطيع النطق ببنت شفة ، وعيناه الى الأرض ، حتى اذا فرغ الأمير من تقريره إياه قال له ابن عمار : « ما أنكر شيئا مما يذكر مولانا أبقاء الله ، ولو أنكرت لشهدت به على الجمادات فضلا عن ينطق ، ولكنى عثرت فأقل عثرتي ، وزللت فاصفح » ، فرد عليه المعتمد قائلا : « هيهات ، هيهات ، انها عشرة لا تقال » .



أما نساء القصر اللاتي عرض بهن ابن عمار في هجائه فقد انتقمن منه بأن أسرفن في السخرية اللاذعة به ، كما سلقته عامة أشبيلية بشتائمها

وطال بقاؤه في الأسر بالمدينة مما أحيى في نفسه ميت الأمل ، وكان ابن عمار يعرف كثيرين من ذوى المكانة الرفيعة ومن بينهم « الرشيد » فتحدثوا في شأنه الى المعتمد ، وكتب اليه بعضهم في استصلاح أمره ، أضف الى هذا أن ابن عمار لم يكف عن استعطافهم بما يبعثه اليهم من شعره ، بيد أن المعتمد ضجر من كثرة توسلات القوم اليه من أجله ، ومن ثم أمر أن تمنع عنه كل ادوات الكتابة ، حتى كان يوم التمس فيه ابن عمار أن يسمح له بالورق والقلم والدواة فجأوه بما طلب فأنفذ الى المعتمد قصيدة طويلة حملها بعضهم ذات مساء اليه وهو على شرابه ، فلما انفض السامر شرع يتلوها فحركت عاطفته ، فاستقدم اليه في حجرته ابن عمار وعباد يؤنبه من جديد لجحوده منته عليه وكفرانه بجميله اليه ، فغص ابن عمار بالدموع وشرق بالقول ، وعجز عن الرد ، حتى اذا هدأت نفسه انطلق لسانه بأعذب بيان يشيد بذكر السعادة التي رزعا أفوايقها معا من قبل ، فسكنت نائرة المعتمد قليلا ، وكاد أن يغلب على عزمه وخاطبه خطابا سكن من روعه ولكنه لم يجزم له بالعفو عنه .



لعل أشد ضروب نكد الطالع هو أن نفجع في الآمال التي نرجوها ، ومما يؤسف له ان ابن عمار تنكب الصواب في تقدير مشاعر المعتمد نحوه ، فقد تاتي له أن يشاهده ساخطا عليه أشد السخط ، ثم أبصر سكونه فقدر أمرا لم يجز بحسبان مولاه .

كانت نفس المعتمد لا تزال تنطوى على شيء من العطف على ابن عمار ، لكن هذا العطف كان أبعد من أن يصل الى العفو عنه ، وقد أخطأ ابن عمار التقدير فما كاد يعود الى مطبقه حتى اعتقد أنه عائد عن قريب الى سالف منزلته ، فلم يستطع كتمان فرحته التي هزت فؤاده هذا ، فكتب الى الرشيد كتابا يفضي فيه اليه بالخاتمة السعيدة التي تمخض عنها لقاءه بالمعتمد .

وتلقى الرشيد الكتاب وهو في جماعة من الناس ، وبينما هو يطالعه اذا بوزيره عيسى يلقي نظرة خاطفة سريعة على الكتاب ولكنها كانت كافية لايقافه على مضمونه ، فأذاع عيسى الخبر ، وقد يكون فعل ذلك بسبب ثورته أو كراهيته لابن عمار ، وتناهى النبأ الى سمع أبي بكر ابن زيدون على صورة فيها أشد المبالغة ، وزاد القوم في رسالة ابن عمار زبادات قبيحة حتى ليقول أحد المؤرخين انه « ينزه كتابه عن ذكرها ، ويمسك عن إيرادها » .

وبات ابن زيدون على جمر الغضا ، اذ عرف أن في رجوع ابن عمار الى سالف مكانته اقضاء له هو نفسه عما هو فيه بل ربما أدى ذلك الى القبض عليه وقتله .

وجاء الصباح ، فلم يدر ابن زيدون ما يصنع .

وبقى ملازما داره لم يغادره حتى حانت الساعة التي جرت العادة أن يكون فيها بالقصر فغاب عنها ، فالتمسه المعتمد فلم يجده ففتش عنه فلم يقف له على أثر ، فبحث في طلبه حتى جاءوه به فأدنا المعتمد مجلسه منه كدأبه في كل يوم ، فأفرخ روع ابن زيدون ، وتأكد أن موضعه عنده غير مغموز ولا مهدد كما كان يظن ، فلما سأله الأمير عما حجب به عنه هذا الوقت الطويل أجاب بأنه اعتقد أن مكانته عنده قد تراجعت ، ثم أفضى إليه في الوقت ذاته عما يتحدث به الناس في مجالسهم بكل مكان عن خبر لقائه بوزيره السابق « ابن عمار » ، وأنهم يرجفون بعودته الى سابق سطوته ، وكان « ابن سلام » - صديق ابن عمار وابن بلده وعامل شرطة المدينة - قد قام فهايا في داره جناحا كأحسن ما يكون الجناح لنزول ابن عمار ، ثم خرج ابن زيدون ، دون ان تكون تمت حاجة لمزيد من القول وذكر الأراجيف التي يرجف بها الناس .

فلما سمع المعتمد ما سمع طفح كيل الغضب في نفسه ، ولم تكن الكراهية والحقده على أسيره مبعث هذا الغضب بقدر ما كان من غضبه من زهو ابن عمار وان يكن زهوا باطلا ، اذ سمع بضغ الفاظ رقيقة فقدور منها اطلاق حربته وعودته الى سالف مكانته وبأسه . لذلك أحضر المعتمد أحد الخصيان الصقالبة وقال له : « اذهب الى ابن عمار وقل له كيف وجد السبيل - مع الترتيب - الى افشاء ما أخذت معه البارحة » .

وسرعان ما عاد الخصى اليه وهو يقول : « ان ابن عمار يقول انه لم يفعل ولم يقل شيئا ما » ، فقال المعتمد : « ولكنه يستطيع الكتابة ألا قل له : « الورتان اللتان استدعيتهما ، كتبت في أحديهما القصيدة ، فما فعلت بالأخرى ؟ » .

فمضى الخصى اليه وعاد يقول : « يدعى ابن عمار أنه يبض فيها القصيدة » .

فقال المعتمد : « قل له : هلم المسودة » .

وحينذاك لم يستطع ابن عمار انكار الحقيقة فقال : « كتبت فيها الى الرشيد أفضى اليه بما مناني به الأمير » .

فلما سمع المعتمد قوله هذا ثار في عروقه دم أبيه الطاغية الذي كان كالنسر اذا ما وقع على فريسته مزقها اربا واطفا ثورته بتمزيق أحشائها .

ثم استبد الحنق بالمعتمد الذى تناول أول سلاح صادفه وهو طبرزين. رائع كان ألفونس قد أهدها اليه ، وأخذ يشب الدرج المؤدى الى الحجرة التى أغلقت على ابن عمار الذى ما كاد يرى نظرات المعتمد الغاضبة حتى صبح ، فقد رأى الموت واضحا فى قسماات وجهه ، فزحف فى قيوده وانكب باكيا مقبلا قدمي المعتمد الذى لم يشفق عليه بل علاه بالطبرزين ولم يزل يضربه فى مواضع مختلفة من جسده حتى أسلم الروح وسكنت جثته وبردت أطرافه (١٦) .

على هذه الصورة كانت خاتمة حياة ابن عمار وهى خاتمة دامية ، وقد أثارت فى أسبانيا العربية عاطفة قوية وان لم تدم طويلا ، اذ جددت بطليطلة أحداث جد خطيرة ، واتجهت الأفكار اتجاها آخر من جراء تقدم الجنود القشتاليين .

الفصل الثاني عشر

اذلال الفونس لملوك الطوائف

أطماع الفونس السادس في الأندلس واستنزافه أموال المسلمين . .
القادر يلجأ الى الفونس ليحميه من غضبة شعبه . الفونس يبالي في قدر
الجزية على المعتمد على لسان سفيره اليهودي الذي لا يحتمل المعتمد
عجرفته فيطلبه . تخريب الفونس لشذونه ودخوله طليطلة فيأخذ منها
مالا كبيرا ويتسلم بعض الحصون . دخوله طليطلة منتصرا وعلان الأمراء
طاعتهم له ولكنه يزدريهم . تطلعه الى غيرها من الولايات . قائده غرسية
جيمز يكثر من الاغارة على المرية وغرناطة . اختلاف الأراء حول فكرة
الاستعانة بالمرابطين . اجابات يوسف بن تاشفين الغامضة واستفتاء
الفقهاء في هذا الموضوع . حملته على الجزيرة الخضراء ثم زحفه على أشبيلية
وصف لقائه مع المعتمد . اصطدام الفونس بالمرابطين في زلاقة وانتصار
المرابطين . انهيار الثقة بين الجيوش الاسلامية بعضها وبعض .

اذلال الفونس لملوك الطوائف

وجه الامبراطور ألفونس السادس ملك ليون وقشتالة وغاليسيا ونفارة كل اهتمامه للاستيلاء على جميع أرجاء شبه الجزيرة (١) ، وكان الفونس من القوة بالدرجة التي تمكنه من انجاز مشروعه ، الا أنه رأى أن يتريث بعض الوقت ، ورغب ألا يتعجل الأحداث حتى يستعد للأمر فيجمع أكبر قدر مستطاع من المال اذ هو عصب الحرب وأضمن السبيل للوصول الى الغاية التي يصبو اليها والهدف الذي ينشده ، ومن ثم وضع الأمراء المسلمين بين شقى الرحى ، واذا كانت المعصرة تعصر التفاح فتخرجه خمرا فانه راح يعتصر الذهب من هؤلاء الأمراء .

وربما كان أضعف الأمراء حولا وقوة هو « القادر » ملك طليطلة الذى درج فى بلهنية القصور ونعيمها ، وكان ألعبه فى أيدي خصيائه ، وسخرية فى أعين جيرانه الذين راحوا يتنافسون فيما بينهم على تجريده مما بيده ، ولم يكن له من حام يذب عنه سوى « أذفونس » الذى توجه اليه القادر حين عجز عن استرضاء قومه الذين سئموا طغيانه وكرهوا منه استبداده ، فوعده « ألفونس » بأن يرسل اليه قوات من عنده ، ولكنه طلب لقاء هذا الصنيع مبلفا ضخما من المال ، فدعى القادر اليه وجوه أهل بلده . وسألهم اسعافه بالمال الذى يفرضه « ألفونس » ، فأنكروا عليه طلبه ورفضوا سؤاله فصاح بهم : « أقسم لئن لم تحضروا هذا المال الذى طلب فى لحظتى هذه لأجعلن عند الفونس رهينة جميع من عندكم من العيال والبنين ا » ، فأجابوه : « لقد خلعت نفسك بما قلت وبما أزمعت عليه وعولت » .

والواقع أن الطليطليين أسلموا الأمور الى « المتوكل » صاحب بطليوس ، مما اضطر القادر الى التسلل لواذا تحت جنح الظلام الى الفونس يلتمس من جديده معوثته ، فقال له الامبراطور : « نحن ماضون لحصار طليطلة على أن تجعل أموالها فى يدي ، وأعطينى حصن سريه وحصن قنورية رهنا على ذلك » ، فاستجاب القادر لكل مطالب ألفونس ، وابتدأت الحرب (٢) ضد طليطلة سنة ١٠٨٠ م [= ٤٧٣ هـ] .

استمر النضال مدة عامين ثم أرسل الامبراطور - كما هو دأبه - سفارة الى المعتمد يطلب منه الجزية السنوية ، وكانت هذه السفارة تتألف

من فريق كبير من الفرسان و وكل باستلام المال رجلا يهوديا اسمه ابن شاليب (٣) ، اذ كانت العادة قد جرت في تلك الأيام أن يقوم اليهود بالوساطة بين المسلمين والمسيحيين .

عسكر السفراء خارج المدينة وأمر المعتمد جماعة من رجاله على رأسهم حاجبه « أبو بكر بن زيدون » بحمل المال الى أولئك السفراء ، ولكن المال الذي حملوه كان دون ما ينبغي على المعتمد تأديته لأنه لم يكن في حال تمكنه من جمع هذا المبلغ الكبير على الرغم من فحش الضرائب التي فرضها على رعيته ، فلما رأى ابن شاليب اليهودي ما رأى من المال صاح : « لا أخذت منه هذا العيار ولا أخذت منه الا ذهباً مسجراً ، ولا يؤخذ منه في هذا العام الا أجفان البلاد » .

فلما سمع المعتمد ما قاله اليهودي استبد به السخط وصاح في جنده : « اتنوني باليهودي دون أصحابه واقطعوا حبال الخيابة » فعمل أصحابه بما أمرهم به ، فلما جاء الرسل الى القصر قال المعتمد : « اسجنوا النصراني واصلبوا هذا اليهودي » .

فصاح اليهودي وقد فارقه كبرياؤه وارتجفت أوصاله رعباً : « لا تفعل وأنا أفقدى نفسى منك بزنتى مالا » .

فقال له المعتمد : « لو أعطيتنى العدو والأندلس ما قبلتهما منك » .
وتم صلب اليهودي (٤) .

ما كاد خبر هذا الحادث يتناهى الى سمع الفونس حتى أفسم بالثالث المقدس وبجميع الرسل ليكون انتقامه فظيحا حاسما ، وقال : « لا أرفع يدي عنه ، وسأحشد من الروم عدد شعر رأسى ، وأصل بهم الزقاق !! » . غير أنه لم يكن قادرا على ترك فرسانه القشتاليين يكابدون الضيق ويعانون الموت فى غياهب سجون اشبيلية ، ومن ثم سأل المعتمد أن يوافيه بالشروط التى يطلبها لقاء اطلاق سراحهم ، فطلب المعتمد منه أن يرد عليه حصن (٥) « المنور » فلما صار فى يده أفرج عن الفرسان (٦) الذين ما كادوا يصلون الى موطنهم حتى قام الفونس فنقذ وعيده بأن خرب قرى « الغرب » وأحرقها ، وأعمل فى الناس القتل والأسر ، وفتك بالمسلمين الذين لم يسعفهم الوقت بالاعتصام بأحد الأماكن الحصينة ، وظل مقيما على حصار اشبيلية ثلاثة أيام ، خرب فيها كورة « شذونة » وبلغ الساحل الرملى على مقربة من « طريف » ، ثم دفع جواده فخاض ضحضاح الماء وقال : « الآن وطأت شط الزقاق ! » .

واذ بر يمينه وأرضى كبرياه زحف على رأس جيشه الى مملكة طليطلة (٧) .

وقدر لجيش الفونس أن ينتصر في طليطلة أيضا مما دفع المتوكل الى اخلاء البلد له ، وفتح سكان العاصمة أبوابها للقائد الذي نهب منهم أموالا جساما قدمها لالفونس الذي قال له فى برود عجيب : « هذا غير كاف ! » ، فقدم اليه القادر مرة أخرى ثروة أبيه وجده ، فقال له الفونس : « وهذا ما يكفيني ! » ، فقال له القادر : « أمهلنى أحمل اليك غيره » فقال الملك : « لك ما طلبت ، لكن أسلمنى بعض القلاع هنا » .

فنزل القادر على أمره ، وهكذا تمزق ميراث القادر ، واستنزف كل ما لديه من الثروة لكن ترى ما الذى كان مستطعبا عمله ؟ .

لقد كان يعرف أن سيف الفونس البتار مصلت على عنقه يحزه ان بدرت منه أدنى بادرة من العصيان ، لذلك راح « القادر » يعطى الامبراطور الذهب بعد الذهب ، ويسلمه الحصون تلو الحصون ، الا أن ذلك كله لم يقنع الفونس فاضطر القادر أن يسرف فى الضغط على رعيته حتى خلت المملكة من سكانها ، وذلك أنهم أدركوا أن لا قبل لهم باحتماله فهاجروا زرافات الى بلاد ملك « سرقسطة » ، غير أن ذلك كله لم يتسفع للقادر عند الفونس بل كان يزداد فى الالحاح عليه بما يطلب منه ، حتى اذا أقسم القادر له أن قد خوى وطابه عاث الامبراطور فسادا فى أرباض طليطلة وظل القادر فترة من الزمن وهو شديد التمسك بعرضه المنخوب ، الا أنه تخلى فى النهاية عن تمسكه الذى لا جدوى منه ، ومن ثم ذهب الى حيث كان الفونس فى انتظاره فأنبأه بتخليه عن طليطلة له ، ولكنه اشترط عليه شروطا كان أهمها ما يلى (٨) :

« أن يؤمن من فيها من المسلمين على أنفسهم وأموالهم وذويهم وبنينهم .
ومن أحب منهم التنقل لم يمنع منه ، ومن أحب المقام لم يلزمه سوى أداء الجزية على عدد من عنده من الأشخاص ، وإن رجع بعد رحيله نزل عما كان بيده من عقار دون تعرض عليه فى كثير » .

« وأن يترك لهم المسجد الجامع » .

« وأن يتكفل بارجاع القادر الى بلنسية » .

وقبل الامبراطور [الفونس السادس] هذه الشروط ، حتى اذا كان يوم ٢٥ مايو سنة ١٠٨٥ م [= ٤٧٨ هـ] دخل الفونس عاصمة المملكة القوطية القديمة (٩) .

واذ ذاك لم يعد ثم شئ يعادل كبريائه الا خمول شأن الأمراء المسلمين وضآلة قدرهم وتفاهة شأنهم . فقد بادروا جميعا تقريبا الى بعث رسلهم لتهنئته على ما أصاب من الفتح العظيم ، وبعثوا اليه بهداياهم ، وأنهوا

إليه رغبتهم في أن يشاركونهم في بلادهم ، وأن يكونوا عمالا له بها ، وجباً
يجبون إليه أموالها .

على أن الفونس « حاكم أهل الملتين » كما لقب نفسه في رسائله
لم يعن مطلقاً بكتهم احتقاره الذي دفعوه للشعور به نحوهم ، من ذلك أن
حسام الدولة [بن رزين] صاحب « السهلة » نهض إليه بنفسه حاملاً
هدية عظيمة القدر سعى بها للتقرب إليه ، وكان الامبراطور [الفونس]
حين دخوله عليه يتلهى بمشاهدة قرد يطفر أمامه ، فقال الفونس لحسام
الدولة ساخراً به : « جزيتك على هديتك بهذا القرد ! » فلم يشعر الأمير
المسلم بأذى غضاظة ، ورأى في هذه الهدية دليل الود ، وأصبح يراها
جنته مما كان يحذر من الفونس من خلعه من ولايته التي بيده (١٠) .

بعد أن فرغ الفونس من طليطلة جاء دور « بلنسية » .

كان يتنازع السلطة في بلنسية ولدا عبد العزيز ، ثم ظهر حزب
ثالث أراد أن يسوقها إلى ملك سرقسطة ، كما قام فريق رابع كان يعمل
لنقلها إلى المقتدر ، وكانت الغلبة لهذا الفريق الأخير ، والواقع أن القادر
كان له كل ما يساعده على أن تكون بلنسية له ، إذ كان يشد أزره من
الخلف جيش قشتالي بقيادة القائد الكبير « ألفار فايئز » وهو يكلف أهل
بلنسية ستمائة دينار يومياً ، وقد زعم أهلها للقادر ألا حاجة له إلى هذا
الجيش طالما هم مخلصون له ، باقون على خيسته ، إلا أن القادر لم يكن
من البلاءة بالدرجة التي تحمله على الوثوق بهم والركون إلى أقوالهم
لعله بمدى مقتهم له ، وأن الأحزاب القديمة لم تزل تطمح في الوثوب
عليه ، ومن ثم استبقى القشتاليين ، كما عمد إلى فرض ضريبة باهظة
اثقلت كاهل المدينة وما حولها ، وكان قصده من هذا دفع أعطيات الجند ،
كذلك استلج مبالغ ضخمة من الأشراف ، غير أن أعمال الاضطهاد المروع
لم تكن كافية في نظر « ألفار فايئز » إذ أخذ يلج على القادر بدفع رواتب
الجند المتأخرة الحاحاً أفضى بملك بلنسية إلى أن يجد نفسه ذات يوم
وقد أصبح على شفا الافلاس ، وحينذاك لم ير بداً من أن يعرض على
القشتاليين الإقامة في مملكته نظير اقطاعهم أراضي شاسعة ، فقبلوا عرضه
وجلبوا العبيد للفلاحة وزرع تلك المساحات الشاسعة من الأرض ، كما
أثروا الثراء الفاحش من وراء الغزوات التي دأبوا على شنّها على البلدان
المجاورة سلباً ونهباً ، كما ازداد عددهم بمن انضم إليهم من أوشاب
العرب ، إلى جانب من انخرط تحت لوائهم من العبيد وسفلة القوم وطريدي
العدالة ممن نبذ الكثيرون منهم الاسلام ، وكان هؤلاء وهؤلاء جموعاً وفيرة
العدد ، واشتهرت هذه العصابات بارتكاب الشرور لما طبعت عليه من
الفظاظة والاسراف في قتل الرجال وهتك أعراض النساء ، وطالما باعوا

الأمير المسلم لقاء رغيف من الخبز أو كأس من الخمر أو رطل من السمك ، وكان الأمير اذا عجز عن افتدائه نفسه أو امتنع عن ذلك وثبوا عليه فقطعوا لسانه وسملوا عينيه وتركوه للكلاب تنهشه (١١) .

على أن واقع الأمر أن بلنسية كانت اذ ذاك فى قبضة الفونس لوجود الجزء الأكبر من أرضها فى حوزة القشتاليين ، وكان ضم هذه المدينة الى أملاك الفونس مرهونا بكلمة تخرج من فمه رغم أن القادر كان لا يزال يلفب بملكها .

وكان يبدو أيضا أن مدينة « سرقسطة » كانت هى الأخرى على وشك الضياع ، اذ قام الامبراطور [الفونس] بمحاصرتها واقسم لتدينن له (١٢) .

كان هناك فى الطرف الآخر من اسبانيا أحد قواد الفونس واسمه « غرسية جينز » وقد أقام مع قوة من الفرسان فى حصن « الليط » على مقربة من « لورقة » ، واتخذ الاغارة على مملكة « المرية » (١٣) عملا موصولا ظل يدأب عليه ، ولم يهمل شأن غرناطة فقد حدث فى ربيع ١٠٨٥ م [٤٧٨ هـ] أن تقدم القشتاليون حتى بلغوا قرية « نبرة » التى تقع على مسيرة فرسخ شرقى غرناطة وقتلوا مسلميها (١٤) .

كان الخطر محققا بالمسلمين فى كل مكان ، واستحكم الضيق فلم يعد أحد يجسر على المقارنة بين المسلمين والمسيحيين ، فكان خمسة من الأولين دون واحد من النصارى ، وقد حدث قبل ذلك بقليل أن خرجت نخبة منتقاة من الجند قوامها أربعمائة رجل من أهل « المرية » فلم تلبث أن ولت الادبار أمام ثمانين من القشتاليين (١٥) ، وأصبح من الواضح أنه اذا ترك عرب اسبانيا وشأنهم لما كان أمامهم الا أن يسلكوا أحد طريقين : أما الاستسلام للامبراطور [الفونس السادس] أو الهجرة جميعا .

والواقع أن الكثيرين منهم مالوا للأخذ بفكرة مغادرة البلاد ، وفى ذلك يقول أحد الشعراء :

يا أهل أندلس حثوا مطيكمو فما المقام بها الا من الغلط (١٦)

ومع ذلك فقد كانت الهجرة أمرا مستصعبا على نفوسهم . شديد الابلام لها ، ولم يقدموا عليها الا فى كثير من الالم والمشقة ، غير أنهم لم يكونوا قد فقدوا كل شئ اذ لا زال فى استطاعتهم تلقى الامدادات من أفريقية التى أمل البعض أن يكون خلاص الاندلسيين مما هم فيه على يد أهلها ، ومن ثم اتفق الراى على مكاتبة بدوها . ولكن ظهر من يعارض هذا

الرأى ويسفهه ، ذاهبا الى أن فطاطة هؤلاء البدو أعظم من شجاعتهم ، وخاف الأهلون أن يمضى الافريقيون - حين تطأ أقدامهم أرض الأندلس - فينهبون المسلمين ويسلبونهم ما بقى فى أيديهم بدلا من محاربتهم -
النصارى (١٧) •

لذلك فكروا فى الاستغاثة بالمرابطين وهم بربر الصحراء الذين قاموا اذ ذاك بتمثيل أول دور لهم على مسرح الدنيا ، وكانت هدايتهم الى الاسلام على يد مبشر من « سجدماسة » ، واتسمت فتوحاتهم بالسرعة الفائقة ، وامتدت امبراطوريتهم - ابان العصر الذى نتكلم عنه - حتى شملت جميع الاراضى الواقعة فيما بين بلاد السنغال والجزائر •

كان الفقهاء أعظم الناس ترحيبا بفكرة استدعاء المرابطين الى الأندلس ، أما الأمراء فقد طال ترددهم تجاه هذه المسألة ، وكان فريق منهم - كالمعتد والمتوكل - تربطه بيوسف بن تاشفين - ملك المرابطين - روابط الود ، حتى طلب منه هذان الاثنان فى مناسبات عدة أن يساعدهما فى نضالهما ضد المسيحيين ، غير أن الأمراء على وجه العموم دون استثناء المعتمد والمتوكل كانوا لا يميلون كثيرا الى زعيم هؤلاء المحاربين الغلاظ المتعصبين من أهل الصحراء ، ورأوا فى يوسف بن تاشفين منافسا خطيرا أكثر مما رأوا فيه نصيرا لهم ، على أنه لم تعد هناك أمامهم مندوحة عن طرق سبيل النجاة الذى بقى أمامهم حين أخذ الخطر يتفاقم سدة يوما بعد يوم ، ولم يغب ذلك الأمر عن بال المعتمد فقد حدث أن نبهه ابنه الرشيد الى الخطر الجسيم الذى يعرض نفسه باستدعائه أولئك المرابطين لوطء اسبانيا ، فقال له المعتمد : « والله ٠٠٠ انه لأحب الى أن ألقى الله هكذا من أن ألقاه وقد حالت الأندلس دار كفر ، وانه لأولى بى أن أكون راعى الجمال من أن أكون راعى الخنازير » (١٨) •

ولما استقر رأى المعتمد على هذه الخطة أفضى بها الى جارية « المتوكل » صاحب « بطليوس » و « عبد الله » ملك غرناطة (١٩) ، وسألها أن يشاركاه فى هذا الأمر وأن يرسلأ قاضيهما الى أشبيلية ، ففعلا ما طلبه منهما ، اذ أرسل المتوكل الى أشبيلية أبا اسحق بن مقان « قاضى بطليوس » وبعث عبيد الله اليها أبا جعفر القلعى « قاضى الجماعة بقرناطة » وانضم اليهما [أبو بكر عبيد الله] بن أدهم قاضى الجماعة بقرطبة والوزير أبو بكر بن زيدون ، فأبحر هؤلاء الأربعة الى الجزيرة الخضراء ، وأدركوا يوسف بن تاشفين ودعوه باسم ملوكهم للنهوض بجيشه الى الأندلس (٢٠) ، وكان الواجب يقتضيهم ذكر الشروط التى لا ندرى شيئا ما عنها ، بل ان كل ما نعرفه هو أنه كان على يوسف أن يقسم ألا يحاول الاستيلاء على أملاك الأمراء الأندلسيين وأن يقيم على هذه اليمين (٢١) •

وبعد أن فرغ الرسل من ذلك راحوا يختارون ليوسف البقعة التي يرسو فيها ، فاقترح ابن زيدون أن تكون جبل طارق ، إلا أن ابن تاشفين أثر الجزيرة الخضراء ، واقترح أن يتخلى له أصحابها عنها ، فأجابه وزير المعتمد أن اجابة هذا الطلب خارجة عن سلطته ، ومن ثم فترت همة ابن تاشفين في معاملة السفراء واتسمت اجاباته لهم بالغموض والابهام ، فعادوا الى بلادهم وهم يجهلون الناحية التي استقر رأيه على النزول فيها ، ومع أنه لم يعدهم وعدا باتا بالحضور إلا أنه لم يذكر لهم أنه محجم عنه . وترتب على هذا أن احتك الشك في صدر الأمراء الأندلسيين ، واشتد بهم الكرب شدة دلت على مدى شكوكهم في نواياه .

أما يوسف بن ناشفين فقد جمع فقهاء الذين جرت العادة ألا يبرم أمرا دون مشورتهم ، وسألهم أن يمحضوه النصح فيما ينبغى عليه عمله ، فأجمعوا على أن واجبه يحتم عليه - قبل كل شيء - أن ينهض لمقاتلة القساليين ، ثم يحق له بعد ذلك الاستيلاء على الجزيرة الخضراء ان كان لا يزال في حاجة اليها ، ورفض القوم التخلي له عنها ، فلما تزود يوسف بهذه الفتوى أصدر أمره الى كثير من قواته بركوب البحر من « سبتة » فملأوا مائة سفينة وأقلعوا شطر الجزيرة الخضراء التي وجدت نفسها - على حين فجأة - محاطة بجيش كثيف يجاوز كل ما يمكن أن تسعه أرضها أو توفر له المؤونة ، وأوقع في يد حاكمها « الراضي » اذ لم يكن يدور بخله أن يرى ما هو جار أمامه ، ولم يرفض تقديم الطعام للمرابطين ، لكنه كان في الوقت ذاته مستعدا لدفع القوة بالقوة ان دعت الحال لاستعمال القوة . أضف الى ذلك أنه كتب الى أبيه يسأله الرأي ، وأرسل كتابه مدرجا طي ذيل حمامة يمت شطر أشبيلية ، ولم يطل انظاره لرد فقد وافاه رد المعتمد على جناح السرعة ، ذلك انه على الرغم مما ينطوى عليه مسلك يوسف من الازعاج والاثارة الا أنه رأى استحالة التراجع ، ورأى أيضا أن الواجب يقتضيه ألا يقابل السوء بالسوء بل بالاحسان ، ومن ثم أشار على ولده باخلاء الجزيرة الخضراء والارتداد (٢٢) الى « رندة » واذا ذاك أبحرت الى الجزيرة الخضراء قوات جديدة ، ثم جاء يوسف بنفسه في النهاية .

كان أول ما اهتم به يوسف وشغل نفسه به هو العمل على تقوية حصون المدينة وامتدادها بالميرة والدخائر الحربية واقامة حامية كبيرة بها ، فلما فرغ من ذلك كله رحل الى أشبيلية على رأس معظم عسكره ، فخف للقاء المعتمد وهو بين كبار وأعيان موظفي دولته ، فلما صار في حضرته حاول تقبيل يده فأبى عليه يوسف ذلك وعانقه عناقا دل على الود المكين ، ولم ينس المعتمد الهدايا التي جرت العادة باهدائها في مثل هذا الموقف ، فقدم عددا وافرا منها الى ابن تاشفين المرابط ليصل جنده ببعضها ، غير

ان الهدايا برهنت لـيوسف برهانا صادقا على عظم ثراء بلاد الأندلس .
وأقام القوم على مفربة من أسبيلية حيث انضم الى المرابطين حفيدا « باديس » وهما عبد الله أمير غرناطة وتميم صاحب « مالقة » ، وكان الأول في ثلاثمائة فارس ، والثاني في مائتين ، كما بعث المعتصم صاحب « المرية » فريقا من الفرسان بقيادة أحد أبنائه معتذرا عن عدم القدوم بنفسه لخوفه من مجاورة بدو « الليط » ، ثم سار الجيش بعد ذلك بثمانية أيام في طريق « بطايوس » حيث انضم اليه المتوكل بجنده ، ونابح الجميع الزحف الى طلمطلة (٢٣) ، الا أنهم ما كادوا يشرعون في السبر حتى صادفوا العدو .

كان ألفونس لا يزال محاصرا « سرقسطة » حين ناهى اليه الخبر بان المرابطين قد أرسوا بأسبانيا ، وقد ظن ألفونس أن ملك « سرقسطة » يجهل خبر وصول الأفريقيين ، ومن ثم بعث الى « المستعين » يخبره باستعداده لرفع الحصار عن المدينة ان دفع اليه مبلغا كبيرا من المال ، غير أن الأمير كان قد علم هو الآخر متله بالنبا العظيم ، فرد عليه بأنه لن يعطيه شيئا حتى ولو كان درهما واحدا ، واذا ذاك عاد ألفونس الى « طلمطلة » بعد أن بعث الى « الفار فاينز » وقواده الآخرين ينهى اليهم أمره بالحضور والانضمام اليه بمن معهم من العسكر .

فلما التأم شمل جيشه - وفيه كثير من الفرنسيين - أخذ في الزحف ليقا تل في بلاد العدو ، والتقى بالمرابطين وحلفائهم عند قرية قريبة من « بطليوس » ، وعلى كنب من ناحية يسميها المسلمون « زلاقة » ويعرفها النصراني باسم Sacralias

لم يكن ألفونس قد فرغ بعد من ضرب معسكره حين جاءت رسالة من يوسف بن تاشفين يدعوها الى الاسلام أو دفع الجزية ، وينذره بالحرب ان هو أعرض عن عرضه ، فاستشاط ألفونس غيظا واحتد حدة عمياء من هذه الرسالة وأناط بأحد عماله العرب الرد عليها معلنا أنه لم يكن يتوقع مثل هذه العروض الجارحة المهينة من المسلمين الذين دأبوا على دفع الجزية له منذ عدة سنوات . أضف الى هذا أنه كان تحت يده جيش قوى من المحاربين يستطيع معاقبه العدو وردعه .

لم يكن هذا الجواب يصل الى ديوان الرسائل الاسلامي حتى بادر أحد الأندلسيين الى الرد عليه ، فلما وقف يوسف على الرد رأى أن الكاتب قد أطل في الجواب ، فاكتفى هو بأن كتب على هامش كتاب الامبراطور هذه العبارة الموجزة : « سترى ما سبكون » ثم رده اليه (٢٤) .

وشرع يوسف بن تاشفين يعد ذلك في تحديد يوم الوقعة حسبما

كانت العادة تجرى ابان ذلك الوقت ، واتفق الرأي على أن تكون يوم الخميس الثانى والعشرين من أكتوبر ١٠٨٦ م [= ٤٧٩ هـ] وفى ذلك اليوم بعث ألفونس برسالة الى المسلمين يقول لهم فيها : « الجمعة لكم والأحد لنا ، فليكن الزحف يوم السبت » (٢٥) فلم يعارض ابن تاشفين .

لكن المعتمد رأى المكيدة فى خطة المرابطين ، وأدرك أنه اذا بدأ الهجوم تلقى هو هجمة العدو الاولى لوجود جند الأندلس فى المقدمة ، بينما يكون المرابطون فى الخلف مختفين وراء الجبال ، ومن ثم احتاط للأمر حتى لا يباغت بالهجوم على غرة ، وراحت طلائعه ترصد حركات العدو ، ولم يستكن المعتمد بل ظل يعمل ويرقب ، ودأب على استطلاع الخبر من منجميه ، ولما دنت اللحظة الحاسمة الرهيبة أصبح مصير اسبانيا متوقفا على نتيجة المعركة الموشكة على الوقوع .

كان القشتاليون يتفوقون على عدوهم من الناحية العددية ، اذ ذهب المسلمون للقول بأنهم فى خمسين أو ستين ألف مقابل (٢٦) ، على حين أن خصومهم كانوا لا يجاوزون عشرين ألفا (٢٧) .

لم يكد الفجر يشرق حتى رأى المعتمد أن مخاوفه أخذت فى التحقق ، فقد أنباء عيونه أن الجيش النصرانى أخذ فى الاقتراب منه ، فخرج موقفه واستحكم الخطر عليه مخافة أن تدور الدائرة عليه قبل أن يتمكن المرابطون من موافاته فى ساحة القتال ، فبعث الى يوسف بن تاشفين يطلب اليه أن يسرع فى القدوم عليه بجميع جنده ، والا فليرسل اليه نجدة كبيرة ، فلم يبادر يوسف الى اجابة سؤاله لأنه كان قد دبر خطته وما كان له أن ينخلع عنها ، ولم يكن يوسف يهمل كثيرا مصير الأندلسيين حتى لقد قال : « اتركوهم قليلا للفناء ، فكل من الأعداء » .

هرب الأندلسيون حين لم يجدوا فى الميدان أحدا سواهم ، ولم يبق غير الأشبيليين الذين اشتدت حماستهم حين أبصروا أميرهم وقد جرح فى وجهه ويده ، فلم يمنعه ذلك من اقامة البرهان على أنه رجل صدق فى اللقاء ، وفارس لا يشق له غبار ، فاستبسلاهم هم أيضا فى مقاومة العدو حتى جاءت لنجدتهم كتيبة من المرابطين اعتبروها ترجحا لكفتهم .

اشتد عجب الأشبيليين حينما أبصروا العدو يقاتل ثم يرتد فجاء الى وراء ، وكان عجبهم هذا ناجما من أن النجدة التى وصلتهم لم تكن كبيرة بالدرجة التى تمكنهم من كسب الموقعة ، بيد أن حقيقة ما جرى هو أن ابن تاشفين أبصر التحام الجيش القشتالى بالأشبيليين ، فرأى أن يعمد الى مهاجمة القشتال من الخلف ، وحمل بمعظم قواته على معسكر الفونس ،

وجرت حينذاك مذبحة مروعة في الجند القائمين بحراسة المعسكر فأضرم يوسف النار فيه وكر على القشتاليين من الخلف وأخذ يدفع أمامه جمهورا غفيرا من جندهم الفارين ، ووجد ألفونس نفسه بين عدوين ، ولما أدرك أن الجيش الزاحف عليه من الخلف أكبر عددا من الجيش المواجه له فقد اضطر لتوجيه قواته الرئيسية ضد يوسف ، فاشتجرت الأسنة وأقبلت الآجال تفترس الرجال ، وأصبحت الحرب سجالا بين الفريقين ، هذا ويوسف يجرى بين صفوف جنده ويصيح بهم « الشجاعة يا مسلمين الشجاعة ... من قتل خطب الجنة !! » .

أما الأندلسيون الذين انقلبوا على أعقابهم فقد عادوا يجمعون صفوفهم من جديد ، ونهضوا ثانية الى ساحة المعركة لمعاونة المعتمد ، كما قام يوسف من ناحيته فكر على القشتاليين بحرسه السوداني الذي أبقاه حتى هذه اللحظة بعيدا عن الحرب ، فجاء هذا الحرس بالأعاجيب ونجح أحدهم في الاقتراب من ألفونس وطعنه بخنجره في فخذه طعنة دامية .

وأرخصي الظلام سدوله ولا زال الفريقان يحارب الواحد منهما الآخر قتالا عنيفا كتب بعده النصر للمسلمين ، وامتلات ساحة المعركة بالنصارى ما بين قتيل وجريح ، ولاذ سواهم بالهرب ، وما كانت نجاة ألفونس ذاته مع خمسمائة من رجاله الا بعد جهد شديد ، وتم ذلك كله يوم ٢٣ أكتوبر سنة ١٠٨٦ م [= ٤٧٩ هـ] .

ومع ذلك فانه لم يقدر للقوم أن يجنوا من هذا النصر المؤزر ما كان مأمولا ، ذلك أن ابن تاشفين كان قد اعتزم التوغل في البلاد لكنه رجع عن عزمه حين بلغه نبأ موت ابنه البكر الذي تركه وراءه بسببته مريضا ، ومن ثم اكتفى بترك فريق من الجند يبلغ ثلاثة آلاف رجل تحت امرة المعتمد ، وانكفا هو عائدا الى أفريقية مع بقية قواته .

الفصل الثالث عشر

ابن تاشفين والراء الأندلس

الفونس السادس يتابع العدوان رغم هزيمته فى زلاقة • المعتمد وابن رشيق • السيد القمبيطور • اختلاف وجهات النظر عند العامة والمنقذين الى ابن تاشفين • تمرد العامة على أمرائهم يخلم أهداف ابن تاشفين • القاضى القليعى ييسر لابن تاشفين سرا غزو الأندلس • وشاية المعتصم أمير المرية بالمعتمد وشاية المعتمد بابن رشيق عند ابن تاشفين • عبد الله أمير غرناطة يهيم بقتل القليعى فتمنعه أمه من ذلك فيفر القليعى الى غرناطة ويكاتب ابن تاشفين ضد عبد الله • رجال عبد الله يعلنون ولاهم لابن تاشفين فيكاتب عبد الله الفونس للقدوم لمساعدته فيخلذه الفونس • استعجال أهل غرناطة قدوم ابن تاشفين الذى يقترب من غرناطة فيهرع لاقائه عبد الله بايحاء من أمه • اسقاط ابن تاشفين الكثير من الضرائب واستيلاؤه على كل ما فى القصر • تقرب المعتمد وغيره من الأمراء الى ابن تاشفين الذى يرجع الى بلاده بعد استصدار فتوى بفسق أمراء الأندلس •

ابن تاشفين وأمراء الأندلس

ترتب على وصول (١) المرابطين الى اسبانيا أن وجد أولو الأمر والنهى فى قشتالة أنفسهم مضطرين لاخلاء « بلنسية » ورفع الحصار عن « سرقسطة » ، وتمخضت هزيمة هؤلاء الأخيرين فى « زلاقة » عن حرمانهم من فريق من خيرة محاربيهم حتى ليقول المسلمون انه هلك فى هذه الوقعة منهم عشرة آلاف رجل ، ويقول آخرون بل أربعة عشر ألف محارب (٢) . أضف الى هذا أن الأمراء الأندلسيين تخلصوا من القيد المخجل الذى كان يفرض عليهم دفع الجزية السنوية للامبراطور الفونس الذى تلاشى الخوف من هجمومه على الغرب منذ أن قام الجند الذين تركهم يوسف بن تاشفين للمعتمد للدفاع عن حصون تلك النواحي ، ولا شك أن هذه نتائج طيبة يحق أن تغتبط بها نفوس أهل الأندلس ، فلا عجب ان عمت الفرحة جميع رحاب القطر ، وتردد اسم يوسف على كل الشفاه والألسن ، وراح الناس يمثحون رحمته ويثنون على شفقته ، ويعظمون مقدوته الحربية ، وحيوه باعتباره مخلص الأندلس ومنقذ الملة الاسلامة ، واعتبروه قائد عصره المجلى ، ولم يكف القوم - لاسيما رجال الدين عن الثناء عليه فقد كان فى نظرهم أكثر من رجل عظيم ، واعتبروه مرسلًا من قبل الله ، ومؤمنا يجدى النبرك به (٣) .

لكن على الرغم من الانتصارات التى أحرزها المسلمون الا أنها لم تكن بالحاسمة ، أو لا أقل من أن ذلك هو ما رآه القشتاليون فلم يداخلهم اليأس من عودة أمورهم الى مجاريها رغم ما تكبدوه من الخسائر الفادحة ، وأيقنوا تمام اليقين أنهم يجلبون الخطر على أنفسهم ان هم حولوا هجماتهم عن ناحية (بطليوس) واشبيلية ، لكنهم عرفوا الى جانب ذلك أيضا أن فى شرقي الأندلس مجازا للفرز ليس من العسير عليهم أن ينزلوا عليه فيعيشون فيه خرابا ويلحقون به كثيرا من التدمير ويكون فى قدرتهم الاستيلاء عليه ، ذلك أن ولايات الشرق الصغيرة وهى بلنسية ومرسية و « لورقة » و « المرية » كانت فى الواقع أضعف ولايات شبه الجزيرة على الإطلاق ، وكان للقشتاليين فى وسطها مركز بالغ القوة يجعل الاقليم تحت رحمتهم ، ونعنى بهذا المركز حصن « الليط » الواقع بين مرسية ولورقة ، والذى لا تزال أطلاله شاخصة الى اليوم ، وهو رابض على جبل شامخ بلغت قمته عنان السماء ، ويضم حامية تقدر بأثنى عشر أو ثلاثة

عشرة ألف رجل ، ناهيك بسدة مناعته على من يرومه ، وقد اخذه القسنتاليون مركزا يغيرون منه على الأقاليم المحيطة به ، فحاصروا (٤) المرية و « لورقة » و « مرسية » ، فكان كل شيء يشير الى أن كل شيء سبئول الى الوقوع في أيدي القسنتاليين ان لم يتدارك الله أمر هذه النواحي .

ولقد أدرك « ابن اليسع » صاحب لورقة عجزه عن مقاومة الناحية ، ومن ثم راح يقامر بما يملك وذلك لأن أكثر المدن تعرضا لهجمات العدو - وهي مرسية لورقة - كانت تابعة له .

ولقد أدرك « ابن اليسع » صاحب لورقة عجزه عن مقاومة قسنتاليي « الليط » ، فبادر الى الاعتراف بسيادة المعتمد عليه مؤملا أن يصير له بذلك عونا (٥) .

أما « مرسية » فكانت لا تزال تحت حكم الثائر « ابن رشيق » الذي كان المعتمد يتحرق للقصاص منه تحرقا حملة على أن ينهض بحملة على الأقاليم الشرقية ، راميا من وراء ذلك الى هدفين ، أولهما أن يضع حدا لغزوات النصاري ، وأما ثانيهما فرغبته في أن يرد ابن رشيق الى طاعته ، وحينذاك ضم قواته الى القوات التي استودعه اياها يوسف وسار الى « لورقة » التي ما كاد يبلغها حتى تناهى اليه خبر وجود كتيبة بها قوامها ثلاثمائة قسنتالي على مقربة منها ، ومن ثم أمر ابنه « الراضي » الذي يؤثر الأدب على القتال أن ينهض على رأس ثلاثة آلاف فارس أشبيلي لقتالها ، فاعتذر « الراضي » لأبيه متذعرا بمرضه ، فاشتد غضب المعتمد ، ومن ثم عهد بالقيادة الى ولد آخر له اسمه « المعتمد » . غير أن تفوق القسنتاليين على الأندلسيين ظهر مرة أخرى ، فقد لحقت الأشبيليين هزيمة نكراء على الرغم من أن عددهم كان عشرة أمثال عدد خصمهم (٦) .

هكذا تبين للمعتمد اخفاق محاولاته التي كان ينشد من ورائها الخضاع « مرسية » ، وكانت علة اخفاقه تتمثل في ان « ابن رشيق » نجح في أن يستميل اليه جماعة المرابطين الموجودين في الجيش الأشبيلي ، فلم يجد المعتمد بدا حينذاك من الانصراف الى عاصمته فاشلا (٧) .

تجلى للعيان اذ ذاك أن الأندلسيين - قبل وقعة زلاقة وبعدها - لا يستطيعون الدفاع بمفردهم عن أنفسهم ، وأن مآلهم للاستسلام ان لم ينهض يوسف مرة أخرى لانقاذهم ، كما ازدحم بلاط ابن تاشفين بالوالهدين عليه من فقهاء وأشراف « بلنسية » ومرسية ولورقة وبازة ، وشكى البلنسيون اليه من « رودريك القمبياطور » المعروف « بالسيد » الذي ادعى أنه المدافع عن « القادر » بعد أن أجبره على دفع مرتب شهري ثابت له قدره عشرة آلاف دينار ، ثم أخذ يعيث فسادا وتخريبا في نواحي المملكة ، زاعما أنه يستهدف ارجاع العصاة الى طاعة الملك (٨) .

ولقد أسهب سكان النواحي الأخرى من أهل مرسية ولورقة و « بازة » في ذكر المظالم التي أنزلها بهم القشتاليون من أهل الليط ، وعلى هذا انعقد الاجماع على أنه لا محيص للأندلس من الوقوع في أيدي النصارى ان لم يهب يوسف الى نجدتها (٩) . والظاهر أنه لم يكن لتوسلات هؤلاء القوم أثر كبير في نفس ابن تاشفين اذ وعدهم بعبور المجاز حين تسنح له الفرصة ، ولكنه لم يقم جديا بعمل الاستعدادات اللازمة للمل هذا العبور ولعله كان ينتظر أن يفد عليه الأمراء ذاتهم وان لم يقل ذلك جهرا .

حينذاك عزم المعتمد على الذهاب اليه بذاته .

ولقد أخذت شكوك المعتمد في نوايا يوسف الخفية في التلاشي بالتدريج ، أو على الأقل أخذت في الضعف ، ذلك أنه اذا استثنينا احتلال ابن تاشفين للجزيرة الخضراء لم نجد أنه قام بأى عمل من الأعمال التي يمكن أن تثير سخط الأمراء الأندلسيين عليه أو يؤكد مخاوفهم من ناحيته ، بل لطالما صرح قبل أن تطل قدماه أرض الأندلس أنه كان مبالغا في تصوره لثرائها وجمالها ، فلما جاءها وجدها - كما قال - دون ما أمل وأقل مما تخيل (١٠) . فكان هذا القول من جانبه باعثا للطمأنينة في نفس المعتمد الذى رأى الخطر المسيحي المهدق بوطنه وقد تفاقم وازداد شدة ، لذلك كان هذا الأمر حاملا له على أن يجمع العزم على أن يذهب بنفسه الى يوسف ، فمضى اليه فتلقاه السلطان أشرف لقاء وأطيبه ، وقال له : « ما السبب الذى حملك على أن تقدم إلينا بنفسك ؟ وهلا كتبت بحاجتك ؟ » فقال له المعتمد : « جئتك احتسابا وجهادا وامتعاضا للدين ، وقد أجرى الله الخير على يديك ، وحظك مما جئت به الأوفر ، وقد اشتد ضرر النصارى على حصن الليط وعظم أذاه بالمسلمين لتوسطه في بلادهم ، ولا جهاد أعظم منه أجرا ، ولا أثقل فى الميزان وزرا » . فقال يوسف : « سأتحرك وأجوز المضيق » .

ما ان رجع المعتمد عبر المجاز مع جنده وأرسى بالجزيرة الخضراء فى ربيع سنة ١٠٩٠ م حتى بادر فاتصل المعتضد واستدعى الأمراء الأندلسيين للجهاد والانضمام اليه فى محاصرة « الليط » ، فاستجاب لندائه « تميم » صاحب مالقة ، وعبد الله ملك غرناطة ، والمعتصم أمير المرية ، وابن رشيق أمير مرسية ، وغير هؤلاء ممن هم دونهم أهمية ، وبدأ الحصار ، فصنع النجارون وبنائو مرسية آلات الحرب ، الا أنهم لم يتقدموا كثيرا ، وكانت عدة المدافعين عن حصن « الليط » ثلاثة عشر ألف رجل من بينهم ألف فارس ، استبسلوا فى صد الهجمات التى شنت عليهم ، كما كان الحصن شديد المنعة ، فراحت عبثا جهود المسلمين فى الاستيلاء عليه عنوة ، ومن ثم اتفقوا على قطع القوت عنه (١١) .

لكن المحاصرين استغنوا بمصالحهم الذاتية أكثر من انصرافهم الى الحصار ذاته ، فكان معسكر المسلمين مركزا للمكائد اذ أخذ الكثيرون منهم يحركون أطماع يوسف الذى لم يكن صادقا فيما زعمه من أن الأندلس لم توافق هواه ، بل الحقيقة هى أن هذا القطر وقع موقع الرضى من نفسه فطمع فى الاستيلاء عليه ، وكان مدفوعا الى ذلك بحب الفتح وبعوامل أخرى كريمة ، اذ كان قلبه عامرا بالايمان وبكل ما يعود بالنفع على الملة ، ولم يكن من العسير عليه تحقيق رغبته فى الفتح ليليل الكثيرين من أهل الأندلس لاعتناق الرأى القائل باستحالة نجاة الأندلس من برائن العدو المسيحى ان لم ينضم الأندلسيون الى دولة المرابطين ، وهو رأى لم تكن الطبقات العليا فى المجتمع تميل للأخذ به ، وذلك لأن أرقى القوم ثقافة كانوا يرون أن يوسف - الذى لا يتقن العربية - لا يعدو أن يكون جلفا بربريا ، والواقع أنه كثيرا ما أقام الدليل على جهله وقلة ثقافته ، فقد حدث أن سألته المعتمد عما اذا كان قد فهم الأشعار التى امتدحه بها شعراء أشبيلية فقال له : « لا أعلم ، ولكنهم يطلبون الخبز » .

ولما عاد الى افريقية جادته رسالة من المعتمد تضمنت بيتين من قصيدة معروفة ذاتعة لأبى الوليد بن زيدون (١٢) (تيبول الأندلس) وقد وجهها الى محبوبته ولادة ، وفيهما يقول :

بنتم وبنا ، فما ابتلت جوانحنا
شوقا اليكم ولا جفت مآقينا

حالت لفقدكمو أيامنا فغدت
سودا ، وكانت بكم بيضا لياينا

فلما سمعها ابن تاشفين قال : « يطالب منا جوارى سودا وبيضا ، فقيل له : يا مولانا ، ما أراد الا أن ليله كان بقرب أمير المسلمين نهارا ، لأن ليالى السرور بيض ، فعاد نهاره ببعده ليلا ، لأن ليالى الحزن ليالى سودا » ، فقال : « والله جيد . اكتبوا له ان دموعنا تجرى عليه ، ورؤوسنا توجعنا من بعده » (١٣) .

لم يكن فى الامكان التجاوز عن مثل هذه الأمور فى قطر كالأندلس عرف أهله بالكلف بالأدب وحب الشعر ، أضف الى هذا أن رجال القلم كانوا جد راضين بمكانتهم ولا يحبون أن يستبدلوا بها أبدا غيرها . كذلك كانت قصور الأمراء الصغار ندوات ثقافية وحلقات أدبية ، ونعم الأدباء بعطف الأمراء الذين بالغوا فى حسن معاملتهم ، وانقطعت كل شكوى لدعاة الفكر الحر فاطمأنوا الى ما هم فيه ، كما استطاعوا لأول مرة - بفضل رعاية معظم الأمراء لهم - أن يجهروا قولا وكتابة بما يجول فى

أذهانهم دون أن يخافوا الحرق أو يخسوا الرجم (١٤) ، فلا عجب ان كانوا هم أشد الناس انصرافا عن الرغبة في حكم المرابطين لهم ، ذلك الحكم الذى لابد وأن يجعل السلطة فى يد رجال الدين .

لكن اذا لم يكن قد أتيح ليوسف كثير من الأنصار بين الطبقات العليا والمستنبرة فقد توفر له العدد الجم منهم بين العامة التى كانت على وجه العموم شديدة التذمر لما هى فيه وحق لها أن تتذمر ، فقد كان لكل بلده - مهما صغرت - بلاطها الخاص بها الذى يحفظ لها حقوقها وان كلفها الكثير لدأب معظم الأمراء على الاشتطاط فى الاسراف اسرافا يقرب من الحماقة ، والذى ربما كان فى الامكان تبريره لو أنه كان مؤديا الى الطمأنينة والهدوء واستتباب الأمن ، الا أن واقع الأمور كان على غير هذه الصورة ، فقد كان الأمراء فى العادة أضعف من أن يتمكنوا من حماية رعبتهم من تعدى جيرانهم المسلمين بله المسيحيين ، واقتقد الناس الطمأنينة والراحة فلم يعدوا أمنين على أنفسهم ولا على ما يملكون ، ويجب أن نعرف بأن الحالة اذ ذاك كانت شديدة الوطأة صعبة الاحتمال ، ومن الطبيعى جدا أن تتطلع الطبقات العاملة للقضاء على هذا الوضع الذى لم يعرفوا السبيل الى الافلات منه ، وأخذت صدورهم تجيش بالثورة ، فكانوا ينصتون فى سرور الى أبيات الشاعر الغرناطى « السمسير » اذ يقول :

ناد المالك وقل نهم	« اذا الذى أحدثتموا »
اسلمتموا الاسلام فى	أسر العدا ، وقعدتموا
وجب القيام عليكمو	اذ بالنصارى قتموا
لا تنكروا شق العصا	فصصا النبى شققتموا

غير أنه لما كانت الثورة لا تؤدى الا الى زيادة الموقف سوءا فقد كان من الواجب التريث والاعتصام بالصبر كما يقول الشاعر ذاته فى بيتيه السالين :

رجوناكم فما أنصفتمونا	وأملناكمو فخذلتينونا
سنصبر والزمان له انقلاب	وانتم بالاشارة تفهمونا (١٥)

ثم آن للأمور أن تتبدل وأصبح فى القدرة القيام بالثورة على الأمراء الضعاف ، وشجع على ذلك استغلال البلاد فى الأندلس يظل حاكم عادل قوى عظيم تمكن من الظهور على المسيحيين ظهورا بينا [ذلك هو ابن تاشفين] فكان ظهوره على النصارى فوق كل ظهور ، وكان انتصاره عليهم فوق كل انتصار ، وكان العناية الالهية بعثته لرد الأندلس الى سابق مجدها ورخائها ، وأصبح الخير كل الخير يتمثل فى الخضوع لسلطانه ، وتخلص الناس فى الوقت ذاته من الضرائب الجائرة الباهظة التى كانت

تثقل كاهلهم ، فقد الغى ابن تاشفين في بلاده كل ضريبة لم يقض بها القرآن ، واعتقد الجميع أنه لابد صانع بالآندلس مثل هذا الصنيع أيضا .
هذا هو ما فطن له الشعب وتصوره .

وكان الشعب مصيبا في ما فطن له وتصوره من عدة وجوه . لكنه نسي أن الحكومة لا تستطيع التنازل عن الضرائب التي تقضى بها الضرورة ، وفانهم أن الآندلس - اذ تربط مصيرها ببلاد المغرب - انما تعرض نفسها الى التأثير بنتائج الثورات التي يمكن ان تشب في تلك المملكة ، وتناسوا أن احتلال المرابطين للآندلس انما هو احتلال أجنبي ، كما أنه سيطرة شعبي على شعب آخر ، ثم ان جند يوسف ينتمون الى جنس كان الأسباب ينظرون اليه على الدوام على أنه دونهم منزلة ويضعونه في مرتبة دنيا ، وليس من المستبعد أن يؤدي عدم معرفتهم النظام الى ايقاع البلد في كثير من المشكلات .

كانت ولايات الآندلس يختلف بعضها عن بعض في الميل الى هؤلاء الأجانب ، ذلك أن أهل غرناطة من العرب والآندلسيين كانوا يجمعون على مداومة لعن ظالمهم البربر ، كما كثر الناقمون عليهم في بلاد المعتمد (١٦) ، أما المرية فقد خلت من الكارهين لهم ، اذ توفر لها أمير محبوب قريب كل القرب من النفوس ، هذا الى جانب تقواه وعدله ورافته ، فكان يعامل شعبه معاملة تنطوي على الحنان الأبوى . وجماع القول انه كان المثل الكامل لكثير من الفضائل المستحبة .

ومع ذلك فقد كان ليوسف في كل مكان أنصاره من العلماء والفقهاء والفضاة ورجال الدين وأهل الشرع الذين هم أخلص الناس له وأشدهم تأييدا لدعواه ، وأصدقهم وقفة الى جانبه ، اذ لم تكن خسارتهم تعادل أية خسارة لو تسنى النصر للمسيحيين .

ثم انه - من ناحية أخرى - لم تكن لهم مكانة عند أولئك الأمراء الذين شغلوا أنفسهم بالدراسات البعيدة عن الدين ، والذين انغمسوا في شهواتهم فلم يكونوا يلقون السمع الى عظات الواعظين ، بل راحوا يمدون عطفهم ويبسطون حمايتهم جهرا على المشتغلين بالفلسفة . فاما يوسف فكان على النقيض من ذلك ، اذ كان مثالا للعبادة ثم انه لا يقضى أمرا من أمور الدولة دون أن يباحث فيه رجال الدين وينزل على مشورتهم ، فلا جرم ان هم عطفوا عليه غاية العطف ، وأحبوه غاية الحب ، وقد عرف هؤلاء الرجال - أو لعلمهم تنبؤوا - أن ابن تاشفين راغب كل الرغبة في خلع الأمراء الآندلسيين من أجل صالحه هو ذاته ، ومنذئذ لم يعودوا يفكرون الا في تسجييع مطامعه والتأكيد له بمطابقتها للدين .

كان من أشد المتحمسين لهذه الفكرة قاضى الجماعة بغرناطة « أبو جعفر القلبعى » العربى الأصل الذى كان شديد الكراهية للبربر المحتلين لبلده ، والواقع أنه لم ينجح فى كتم مشاعره نحوهم ، ولم يخف على باديس أن انقراض دولته سيكون على يدى هذا الرجل ، ولطالما دبر قتله « لكن حماه الله بالعلم ، وغل يد باديس عنه ، وأغمد سيفه ليقضى الله أمرا كان مفعولا » كما يقول أحد المؤرخين العرب .

لقد ساهم هذا القاضى مع الجند الذين حاصروا « الليط » ، وتعددت مقابلاته السرية مع يوسف الذى عرفه قبل هذه المرة ، اذ كان أحد السفراء الذين وكلت اليهم - منذ أربع سنوات - مهمة استنهاض همة هذا الم رابط لنجدة أهل الأندلس ، وبقي غرض هذه المقابلات سرا اذ كان ضمير يوسف يأتى عليه أن يحنث فى يمين قطعها على نفسه ، ولكن القاضى كان يبذل جهده للتغلب على تلك الوسواس (١٧) ، فذكر له ان الفقهاء الأندلسيين قادرون على ان يحلوه من يمينه ، وأنه من اليسير عليه أن يستصدر منهم فتوى يعددون فيها الخطايا والكبائر التى ارتكبتها الأمراء ، ثم يخلصون من ذلك كله الى أن هؤلاء الملوك قد فقدوا كل حق لهم فى العروش التى يجلسون عليها .

كان الناس يعرفون فى هذا القاضى عالما تقيا ، كما تركت حججه أثرا بارزا فى نفس يوسف بن تاشفين . أضف الى ذلك أن دسائس « المعتصم » ملك المرية عنده ضد « المعتمد » - الذى هو أقوى أمراء الأندلس - أدت الى سدة كراهيته لابن عباد .

أشرنا آنفا الى أن « المعتصم » [محمد بن محمد بن محمد بن صمادح] كان أميرا عظيما ، لكن على الرغم من فطنته وما أثر عنه من طيب المعشر الا أنه كان شديد المودة على « المعتمد » ولعل غيرته الدينية وحدها هى التى كانت تحمله على كراهيته اياه كراهية هيمنت على نفسه . وعلى الرغم مما تدل عليه الظواهر من الوفاق بين « المعتصم » وبين ملك أتبيلية الا أن « ابن صمادح » عكف على افساد ما بين المعتمد وابن تاشفين الذى قربته اليه وسائله الدينية فى اغتياب غيره ، رغم ان المعتمد لم يساوره السك فيه أبدا . وحدث فى ذات يوم أن أظهر له ملك « المرية » خوفه من طول اقامة يوسف فى الأندلس فأجابه المعتمد فى لهجة تنطوى على الزارية بأهل الجنوب وقال : « لو عوجت له باصبعى ما أقام بها ليلة واحدة هو ولا أصحابه ، وكأنك تخاف غائلته ؟ ، وأى شيء هذا المسكين وأصحابه ؟ انما هم قوم كانوا فى بلادهم فى جهد من العيش ، وغلاء من السعر ، جئنا بهم الى هذه البلاد نطعمهم حسبة واثنجارا ، فإذا شبعوا أخرجناهم الى بلادهم » .

كانت هذه الأقوال وأمثالها سلاحا بتارا في يد « المنعصم » الذي أنهارها الى يوسف بن تاشفين فاستبد به الغضب ، ومن ثم أصبح المشروع الغامض تصميم لا رجعة فيه ، وهكذا نجح المنعصم فيما حاوله ، ولكنه لم يقدر ما قد يترتب على هذا النجاح من العواقب الوخيمة ، ولم « يدرك » ساقط في البئر التي حفر ، وقتل بالسلاح الذي شهر » (١٨) .

كان عدم التبصر أمرا شائعا بين جميع الأمراء الأندلسيين ، فقد جرحوا أنفسهم كلهم عند يوسف الذي جعلوا منه فيصلا يقضى بما يراه في المنازعات الشاجرة فيما بينهم ، وبينما كان ملك « المرية » يسعى في تغيير قاب ابن تاشفين على ملك أسبيلية كان المعتمد نفسه يعمل على إسقاط « ابن رشيق » أمير مرسية ، ولكي يدرك مآربه فإنه لم يكن يكف عن الإيعاز الى يوسف بأن ابن رشيق حليف ألفونس وأنه أدى خدمات جليلة لنصارى « الليط » ، وأراد المعتمد أن يبين له حقه في امتلاك مرسية فأوضح له وجوب تسليمه الخائن الذي سلب منه هذه المدينة ، فعهد يوسف الى الفقهاء في التثبت من هذا الأمر وبيان الحقيقة ، فذهبوا الى تأييد المعتمد فما قال عن ابن رشيق ، واذ ذاك ألقى يوسف القبض عليه وأسلمه الى ملك أسبيلية على ألا يقتله ، وقد أدى هذا القبض الى عواقب وخيمة فقد غضب أهل « مرسية » وغادروا المعسكر ورفضوا منذ ذلك الحين أن يمدوا الجيش بما يحتاجه من العمال والمثونة . مما أدى الى وقوع المحاصرين في أشد الضيق اذ لم يعودوا يجدون ما يطلبونه ، وبينما هم في انتظار الشتاء اذا بهم يسمعون بوصول « ألفونس » على رأس جيش مؤلف من ثمانية عشر ألف مقاتل لنجدة المكان ، فرأى يوسف في بادئ الأمر أن يترصده في جبال « تيريزا » غربي « توناتو » ثم يلتحم به في القتال ، الا أنه سرعان ما رجع عن هذه الخطة وارتد الى « لورقة » مخافة أن يركن الأندلسيون الى الفرار مثلما فعلوا من قبل في وقعة « زلاقة » . ثم انه كان يعتقد أن « الليط » لم تعد قادرة على الدفاع عن نفسها مما لابد وأن يحمل القشتاليين على الجلاء عنها وإخلائها ، وقد برهنت الأحداث على صدق هذا الرأي ، اذ لم يكذب « ألفونس » يرى أن تحصينات الحصن تكاد تكون مهدمة وأن الدفاع عنه موكول الى حامية قوامها مائة رجل حتى أضرم النار فيه وحمل المحصورين بها الى قشتالة (١٩) .

وحققت الحملة هدف القوم وان كان تحقيقا منقوصا غير كامل تعوزه الروعة ، فقد أقام يوسف على حصار « الليط » أربعة أشهر دون أن يتمكن من الاستيلاء عليه ، كما أن ارتداداه عنه — حين سماعه باقتراب ألفونس — كان أشبه ما يكون بالفرار ، ومع ذلك فلم ير الفقهاء في ما حدث ما يقلل من العطف عليه والتعلق به ، وقالوا ان عدم توفيق الأمير المربط في الحصول هذه المرة على نتائج طيبة مثل التي حصل عليها منذ أربع سنوات

انما يرجع الى موقف الأمراء الأندلسيين الذين كانت مكائدهم وغيرتهم من بعضهم وشقاقهم الدائم فيما بينهم حجر عثرة في سبيل الحاكم العظيم ومنعه من كل ما قد يستطيع عمله لتحقيق مهمته على الوجه الاكمل لو أنه انفرد وحده بالأمر من دونهم ، ومجمل القول ان الفقهاء كانوا أشد حماسة من كل وقت سبق ، وكان لابد لهم أن يكونوا كذلك لأن الأمراء أخذوا في مضايقتهم منذ أن وقفوا على خبر مكائدهم ، وقد دلهم على ذلك أبو جعفر القليعي « قاضي الجماعة بغرناطة » .

كثر اتصال القاضي أبو جعفر بابن تاشفين حين كان في معسكر مولاه المنصوب على كذب من فسطاط يوسف ، وكاشفه « القليعي » بمغبة الأمور ، غير أن خوف عبد الله [بن باديس] من مجيء يوسف أقعده عن اتخاذ التدابير الحازمة ضد المتآمر ، لكنه ما كاد ينكفيء الى غرناطة حتى استقدم اليه أبا جعفر وأنبه على خيائته ، وعيره بتآمره عليه ، واشتد غضبه حتى انه أمر حرسه بقتله ، الا أن حسن طالع أبي جعفر القليعي دفع أم عبد الله [بن باديس] للانكباب على قدمي ولدها واستحلافه للبقاء على حياة هذا الرجل التقى ، وكان عبد الله شديد الطاعة لأمه فرجع عما قضاه ، واكتفى بسجن القاضي في إحدى غرف القصر .

وقد أدرك القاضي أنه في هذه الحجرة محاط بأشخاص شديدي الايمان بالخرافات ، ومن ثم دأب على الصلاة وتلاوة القرآن حتى رددت أرجاء القصر كلها رجع صدى صوته الجهوري ، وأصفى الجذيع الى ابتهالانه الدينية فالتزموا الصمت حتى لا يصدر منهم ما يزعجه ، كما أنهم في الوقت ذاته لم يكفوا عن أخبار الأمير أن نقمة الله سوف تحل به سريعا ان لم يعجل باطلاق سراح هذا الرجل الذي يعد متلا حبا للتقوى والعبادة ، وكانت أم عبد الله أكثر من غيرها حماسة له واستطاعت بتوسلاتها لابنها وتخويفها اياه أن تنجح في حمله على اطلاق سراح أسيره .

لزم القاضي الهدوء في غرناطة بعد أن تلقى هذا الدرس القاسي ، ولكنه اغتنم فرصة الظلام في إحدى الليالي وخرج تحت جنح الظلام قاصدا « القلعة » Alcala ثم سار منها الى قرطبة حيث لا يخشى أحدا ما بها ، ولكنه كان يتحرق للثأر ، لذلك كتب الى يوسف ابن تاشفين كتابا يصور له فيه ما لقيه على يد عبد الله [بن باديس] من المعاملة السيئة ، وألح عليه ألا يتهاون أكثر من ذلك في تنفيذ المشروع الذي طالما تباحثا فيه معا (٢٠) ، كما بعث الى غيره من القضاة والفقهاء الأندلسيين يسألهم اصدار فتوى ضد الأمراء عامة وضد حفيدي باديس خاصة .

لم يتوان القضاة والفقهاء عن الفتوى بأن أميري غرناطة ومالقة قد فقدوا كل ما قد يكون لهما من الحقوق بما ارتكبا من الكبائر ، لا سيما

للاسلوب الخشن الذى عمد اليه اكبرهما فى معاملته القاسية ، ولكنهم لم يجرؤوا على الافتاء بأن بقية الأمراء قد فقدوا حقوقهم هم أيضا ، ومن ثم اکتفوا بأن رفعوا ملتصقا الى يوسف تاشفين أفهموه فيه أن واجبه يقتضيه دعوة جميع مآراء الأندلس للرجوع الى الشرع ، وألا يجمعوا من الضرائب الا ما يقضى به القرآن (٢١) .

قام ابن تاشفين - بناء على هاتين الفتوتين - - فأوصى الأمراء بوضع الضرائب ومنع السخرة ورفع جميع ما فرضوه على رعاياهم (٢٢) ، ثم زحف على غرناطة على رأس فريق من جيشه بعد أن أمر ثلاث كتائب أخرى باللاحاق به هناك ، ومع ذلك فانه لم يعلن الحرب على عبد الله الذى لم يعرف مقاصد يوسف يقينا بل رجما وطنيا ، ولكن استبد به الخوف اذ لم يكن على شاكلة جده باديس الذى كان نشيطا رغم جهله .

وكان عبد الله على جانب من الانمام بالآداب ، قادرا على أن يترجم بالعربية عما يريد ، حتى انه كان يقرض الشعر .

وكان الى جانب ذلك حسن الخط ، وقد بقيت نسخة من خط يده محفوظة بغرناطة زمنا طويلا ، لكنه كان فى الوقت ذاته رعيديا مترفا متهاونا عاجزا عن تصريف أموره ، وكان من أولئك الرجال الذين لا تحبهم النساء أبدا ، اذ يضطرب لمراى السيف ، ولا يعرف العزم ولا الحزم ، بل يهرع الى استشارة كل من حوله كلما حزبه أمر من الأمور .

لذلك جمع عبد الله [بن باديس] مجلس مشورته وبدأ فطلب الوقوف على رأى « المؤمل » العجوز الذى أدى كثيرا من الخدمات الجليلة لجده ، وحاول المؤمل « من جهته أن يشبته ويدخل الطمأنينة الى نفسه ، فنفى ما يقال عن مرامى يوسف العدوانية ، وأشار عليه أن يبرهن هو من جانبه لابن تاشفين على ثقته به واطمئنانه اليه وذلك بالنهوض الى لقائه ، لكن « المؤمل » رأى عزوف عبد الله عن الأخذ بهذا الرأى ، ومن ثم اضطر لأن يبرهن له على أنه من المستحيل عليه مقاومة المرابطين .

والحق أنه لم يعد جادة الصواب فيما قال نظرا لقلة عدد جند عبد الله ، الى جانب ارتيابه فى أحسن قواده - وهو « مقاتل البربرى الأحمر » المعروف بالـ El-Royo - - أدى به الى اقصائه عما بيده (٢٣) .

وقد أيد جميع شيوخ المجلس رأى « المؤمل » غير أن عبد الله كان يشك فى ولائه له ، ويرى أنه ليس دون أبى جعفر القاضى خيانة له ، وأخذ يلومه على أنه تركه وفر هو بنفسه لينجو ، والواقع أن مخاوفه كانت تقوم على أساس من الصحة . ونحن وان كنا لا ندرك شيئا عما اذا كان اهتمامه بمصالح يوسف صادرا عن صدق أم كان رياء الا ان الثابت المؤكد

هو أن هذا الحاكم الذى اكتسب عطف الأمة واستمالها اليه بفضل مواهبه
انما كان يعتمد على مساعدته له .

لم ير عبد الله فيما أشار به عليه « المؤمل » الا شركا ينصب
لاصطياده ، ولما كان واثقا من سوء القصد وراء مشاريع ابن تاشفين
وتأكد عنده ما فى صدره من التوايا الضارة به فقد جاهر بعزمه على مقابلة
القوة بالقوة ، ثم انفجر فى « المؤمل » ورفاقه سببا وتهديدا ، فدل بعمله
هذا على قلة تبصره اذ لابد أن تؤدي هذه الحركة من جانبه الى نفور القوم
منه وانصرافهم عن تأييده والتعصب ليوסף . وهذا هو الذى وقع فعلا ،
فقد غادروا غرناطة ليلا ويمموا شطر مدينة « اللج » التى ما كادوا
يبلغونها حتى أعلنوا ولاءهم للملك المرابطين .

غير أن القوات التى بعثها عبد الله ضدهم أرغمتهم على الرجوع الى
غرناطة فطيف بهم فى شوارعها كما يطاف بالمجرمين الأوغاد ، الا أنهم
استردوا حريتهم بفضل تدخل يوسف ، فقد أرغم هذا الحاكم الافريقى
أمير غرناطة على اطلاق سراحهم ، ولم يجزّ عبد الله على عصيانه ، لأنه
كان لا يزال يتوجس خيفة من مقاصد يوسف نحوه ، وبينما كان يحاول
تجنب العداء للسافر معه الا أنه كان مثابرا على الاستعداد للحرب ، فأخذ
ينفذ الرسل واحدا تلو الآخر الى الفونس يلتمس منه المجيء لمعاونته ،
وراح يندق الأموال على الجميع ، واستطاع أن يجند جمعا كبيرا من التجار
والحاكة والعمال وشتى صنوف الناس ، لكن ذلك كله لم ينفعه قيد
أنملة ، ولم يستجب الفونس لدعوته ، وكره الغرناطيون ولايته ، وأخذوا
يتربصون وصول المرابطين بفارغ الصبر ، كما كان يخرج فريق منهم كل
يوم قاصدين الانضمام الى جند يوسف .

شعر عبد الله باستحالة المقاومة فى مثل هذه الظروف ، فلما كان
يوم الأحد العاشر من نوفمبر سنة ١٠٩٠ م [= ٤٨٣ هـ] جاء يوسف
حتى صبار على مسيرة مرحلتين من غرناطة فجمع عبد الله من جديد مجلس
مشورته يسألهم أن يرشدوه الى ما يفعل ، فصارحوه بوجوب التخلي عن فكرة
المقاومة ، كما أن أم عبد الله ذاتها - وكانت تشير عليه كثيرا ويؤكدون
أنها كانت تبني آمالا ولكنها واهية على أن يتزوجها يوسف - قالت لولدها:
« امض فسلم على ابن عمك وترضه » (٢٤) ، فاستصحبها معه وخرجا فى
موكب فخم ، وسار الصقالبة أمامه يفسحون له الطريق « وولدان الروم
حول ركابه ، وهؤلاء الجند جميعا بعمائم الشرب ويركبون أحسن الخيل
الفارغة المزينة بالحلى » .

حين وصل عبد الله الى حضرة يوسف ترجل ملتصقا منه أن يتناسى
ما قد يكون فى نفسه من الغضب عليه ، فهش له يوسف وبش ، وأكد

له أنه نسي ما قد يكون في صدره من النعمة عليه ، وسأله أن يذهب الى فسطاط دله عليه حيث يلقي كل ما يليق به من الاجلال ، فنزل عبد الله على أمره ، لكنه ما كاد يطاء الأرض حتى كبلوه بالسلاسل .

لم يلبث زعماء غرناطة أن وفدوا على معسكر ابن تاشفين الذي تلقاهم أجمل لقاء ، وأكد لهم ألا يخافوا شيئا قط من جهته ، وأنه ليس عليهم الا قبول الأسيرة التي سوف تحل محل أسرة عبد الله ولم يكذب يأخذ عليهم الايمان بالطاعة له حتى أذاع مرسوما أسقط به جميع الضرائب التي لم ينص عليها القرآن ، ثم دخل المدينة وسط هتافات الناس ، ونزل القصر ليأخذ ما به من الأموال التي جمعها « باديس » أكاداسا ، فكانت مبالغ ضخمة يحار الطرف فيها ولا يحصيها العد ، كما ازدانت الحجرات بالحصر والطنافس والستائر النفيسة الغالية ، وأينما قلب المرء ناظريه بهره مرأى الزمرد والياقوت والماس واللؤلؤ والأواني الخزفية والفضضية والذهبية ، وأخص ما عثروا عليه مسيحة من أربعمائة لؤلؤة ، زنة كل واحدة منها مائة مثقال ، فذهل المرابط من كل هذه الكنوز الضخمة ، وكان قبل دخوله غرناطة أعلن أن كل ما بها ملك له ، غير أن ما طبعت عليه نفسه من الترفع غطى على طمعه ، فأظهر غاية الود ومنتهى الكرم فقسم كل ما وقع في يده بين جنده ، غير مستبق من كل ذلك شيئا لنفسه . ومع ذلك فقد كان القوم يعرفون أن ما عرض على الأنظار لم يكن كل شيء ، وعرفوا أن أم عبد الله تخفى أشياء نفيسة ، فعمدوا الى الشدة في حملها كي تدلهم على النواحي التي خبأتها فيها ، فدلتهم الا أنهم كانوا لا يزالون يشكون في صدق اعترافاتها ومن ثم أصدر يوسف أمره الى « المؤهل » الذي عينه حارسا على القصر وعلى أموال عبد الله أن يحفر الأساس ومجاري البناء (٢٥) .

ربما كان للأمراء الأندلسيين عذرهم اذا ما تقطعت أسباب الصلة بينهم وبين يوسف بعد أن رأوا ما أنزله بعبد الله ، الا أنهم لم يفعلوا شيئا ، بل لقد خف المعتمد والمتوكل الى غرناطة لتهنئة ابن تاشفين ، كما بعث اليه المعتصم ولده عبيد الله بدلا منه .

فواعجبا ٠٠٠ !!

أبلغت الغفلة بالمعتمد حدا طمع معه أن يتنازل يوسف عن غرناطة لولده « الراضى » عوضا عن الجزيرة الخضراء التي سلبها منه ؟

ان كان الأمر على هذا النسق فما أضعف معرفته بالأمير الأفريقي وتنبيهه لمعارض كلامه ! فقد حسبه قادرا على التنازل عن مملكة غرناطة ، لكن سرعان ما أيقظ ابن تاشفين الأمراء من غفلتهم وأوضح لهم ما صعب

عليهم فهمه ففاتهم ادراكه اذ تلقاهم بفتور ، ولم يجب بشيء ما عن تلميح المعتمد الى غرناطة ، كما أنه عمد الى « عبيد الله بن المعتصم » فزج به فى السجن ، وكان لابد للمثل هذا المسلك من ازالة الغشاوة عن عيون الأمراء ، وأحس المعتمد بالخطر الشديد فقال للمتوكل : « والله لابد له أن يسقيننا من الكأس التى سقى بها عبد الله بن بلقين » . ولم يلبث الأميران أن استأذناه فى الرحيل ، متذرعين بأنه قد تنهى اليهما أن القشتاليين عاودوا الكرة من جديد على بلادهما ، فلما أذن لهما بالرحيل انكفا على عجل الى مملكتيهما حيث أشارا على غيرهما من الأمراء من حكام أسبانيا بالنهوض جميعا واتخاذ ما يتحتم عليهم اتخاذه لمقاومة الأمير المرابطى الذى لم تعد نواياه بخافية على أحد ما ، أو سرا مكتوما ، وقد نجحت هذه الخطة اذ اتفق الأمراء فيما بينهم على ألا يمدوا المرابطين بالجند ولا المؤونة ، وتعاهدوا فيما بينهم على التحالف مع الفونس (٢٦) .

وعاد يوسف الى الجزيرة الخضراء بقصد الإبحار ، وترك لقواده مهمة شاقة غير هينة ، تلك هى اسقاط الأمراء الأندلسيين عن عروشهم ، واستولى أثناء زحفه على كورة مالقة الصغيرة التى انتزعها من يد تميم أخى عبد الله ، وكان تميم أميرا ضعيفا لا يخشى شره ، ثم نبه يوسف على الفقهاء - وقد دنت الساعة الفاصلة - أنه ينتظر منهم فتوى صريحة ، فبادروا الى اجابته الى ما رغب ، ومن ثم أعلنوا أن الأمراء الأندلسيين « فسقة ، ودعار كفر » ، وانهم بهذا النهج قد أفسدوا الأمة « وجعلوها لا تعباً بكل ما هو مقدس » ، يشهد على صحة ذلك قلة المترددين على المساجد للصلاة ، أضف الى هذا أن الأمراء فرضوا ضرائب غير مشروعة ولا زالوا متمسكين بجبايتها رغم أن ابن تاشفين أمر برفعها وإزالتها ، وأنهم قد ارتكبوا الكبيرة التى ليس بعدها كبيرة حين حالفوا ملك قشتالة : الذى هو الد أعداء المسلمين ، مما ترتب على ذلك كله سقوط شرعية استمرارهم فى حكم المسلمين ، وأعلن الفقهاء أيضا أن يوسف بن تاشفين أصبح فى حل من جميع أيمانه وعهوده والتزاماته نحو هؤلاء الحكام ، ولم يعد خلعهم عن عروشهم من حقه فحسب بل صار واجبا عليه ، وختموا فتواهم بما يلى :

« ان هم الا قوم لا تحل طاعتهم ، ولا تجوز امامتهم ، لأنهم فساق فجرة ، فاخلعهم عنا ، فان كانوا عاهدوك فهاهم قد ناهضوك ، وأرسلوا الى اذ فونش أن يكونوا معه عليك حتى يوقعوك بين يديه ، ويعود أمرهم اليه ، فبادر بخلعهم ، ونحن بين يدي الله المحاسبون ، فان أذنبتنا فنحن لا أنت المعاقبون ، فانك ان تركتهم - وأنت قادر عليهم - أعادوا بلاد الاسلام الى الروم ، وكنت - انت المحاسب بين يدي الله تعالى » .

هذه هي روح تلك الفتوى الخالدة التي تضمنت - الى جانب هذا - عددا كبيرا من الاتهامات ضد جماعة معينة من الأمراء ، ولم يستثنوا من ذلك الرميكية فاتهموها بأنها أغرقت زوجها فى بحار من اللذة لا انتهاء لها ، وأنها هي السبب الرئيسى فى انصراف الناس عن التعبد ونهج الطريق القويم .

واهتم يوسف غاية الاهتمام بهذه الفتوى ، وأراد توكيد أهميتها فعمد الى التصديق عليها من فقهاءه الأندلسيين ، كما بعث بها الى أشهر علماء مصر وآسيا ليؤكدوا رأى علماء المغرب .

الفصل الرابع عشر

اليهود والنصارى زمن المرابطين

صعوبة موقف المعتمد بعد مقتل ولده الفتح واستيلاء ابن تاشفين على قرطبة وتهديده لأشبيلية • قسوات الفونس السادس التي أرسلها نجدة للمعتمد • دخول المرابطين لأشبيلية باتفاق مع الكارهين للمعتمد • تصلى المعتمد لوحشية الغزاة ومصرع ولده مالك أمام عينيه • الفاتح يابى يابى الا أن يستسلم المعتمد من غير قيد ولا شرط ، ويطلبه أن يسلمه ولديه الراضى والمعتد ثم قتله الراضى • استسلام المرية وبقية مدن الأندلس باستثناء سرقسطة • والسهلة • صرف النصارى من جيش سرقسطة ودخول المرابطين • على بن يوسف يخلف أباه يوسف ابن تاشفين • الفقهاء فى عهده • الغزالي • دوافع المطالبة باسلام اليهود • تأقلم المرابطين للحياة الأندلسية • ظهور الموحدين • زحف الفونس ملك أراجون على الأندلس • استيلاء الفونس السابع على بعض الأماكن الإسلامية • فساد أمور الأندلس وكراهية الناس لحكم المرابطين • تكاتف الأهالى مع الفونس السابع •

اليهود والنصارى زمن المرابطين

من اليسير على المرء أن يرجم بطبيعة الحرب التي كانت على وشك الشبوب ، فهي حرب ترمى الى المحاصرة ولا تعتمد الى الاشتباك فى المعارك ، وقد استعد لها الفريقان فأخذ أحدهما فى الهجوم على الأماكن الحصينة وقام الآخر بصدده عنها ، أما جيش المرابطين الذى كان بقيادة « سيرين ابن أبى بكر » - أحد أقارب يوسف فقد انقسم الى عدة أقسام مضى أحدها لمحاصرة « المرية » ، بينما حملت بقية الأقسام على حصون « المعتمد » التى استسلم منها فى شهر ديسمبر سنة ١٠٩٠ م [= ٤٨٣ هـ] حصن طريف (١) ، ثم شرع بعد فترة وجيزة عسكر يوسف - الذين واتاهم النصر سريعا - فى محاصرة قرطبة وكان يحكمها « الفتح بن المعتمد » الملقب بالمأمون ، ولم تقو عاصمة الخلافة القديمة على الاستمرار طويلا فى المقاومة ، اذ سرعان ما أسلمها سكانها الى المرابطين ، وحاول الفتح ذا ذاك أن يشق له طريقا بحد السيف بين جموع العدو والخونة ، لكنه غلب على أمره لكثرة هؤلاء فتكالبوا عليه وحزوا رأسه ووضعوها على سنان حربة وساروا بها يوم (٢) [السادس والعشرين من مارس ١٠٩٠ م] [= ٤٨٣ هـ] وقد ازدهاهم النصر ، ثم سقطت (٣) « قرمونة » يوم العاشر من مايو سنة ١٠٩١ م [= ٤٨٤ هـ] وحينئذ أصبح فى الاستطاعة الشروع فى محاصرة مدينة أشبيلية التى وجدت نفسها وقد زحف عايتها جيشان فى آن واحد أحدهما من الشرق والآخر من الغرب ، وكان نهر الوادى الكبير يفصل الجيش الثانى عن المدينة التى كانت منيعة من هذا الجانب على من يرومها بفضل وجود الأسطول .

أصبح موقف المعتمد اذ ذاك شديد الخطورة لكن بقى له أمل واحد ذلك هو اعتماده على مساعدة الفونس السادس له ، فقد قطع المعتمد له على نفسه أسهى الوعود ان هو خف لنجدته ، واستعد الفونس لمعاونته وبر بكلمته له ، فأرسل « ألفار فاينز » الى الأندلس على رأس جيش كبير ، غير أن سوء طالع المعتمد شاء أن يلقي « الفارو » الهزيمة على كئيب من « المدور » على يد القوات التى أرسلها « سير » لصدده ، فوقع هذا النبأ على ملك أشبيلية وقوع الصاعقة ، الا أن اليأس لم يداخله أيضا هذه المرة ، فقد أعانته نبوءات عرافيه وتكهاناتهم وأمدته بالقوة ، وكانوا اذا بشروه استتبشر وطن أنه ناج ، ولست أدري بأى معجزة تكون نجاته .

ولما أشاروا الى الحاتمة وقالوا ان هناك أسدا يقبض على فريسته قد انحل
بأسد فعهد بالدفاع الى ولده الرشيد (٤) .

الا ان الكارهين له الناقمين عليه الراغبين في تسليم المدينة للعدو
تباحثوا في هذه المسألة وتأمروا عليه فيما بينهم ، وأظهروا التمرد
والعصيان . فعرفهم المعتد وكان في استطاعته الفتك بهم كما أشار عليه
بذلك الكثيرون ، الا أنه كره أن يختم عهده بعمل ينطوي على الفظاظة
واكتفى بمراقبتهم ، لكن تبين له أن مراقبته اياهم لم تؤد الى الحد من
نشاطهم ، اذا لم يعدموا الوسيلة التي مكنتهم من الاتصال بالقائمين
بالحصار فساعدوهم في نقب السور ، واستطاعت جماعة من الموابطين
دخول المدينة من هذه الثغرة يوم الثلاثاء الثاني من ديسمبر [١٠٩١ م
فلم يسكه هذا الخبر يتناهى الى سماع « المعتد » حتى
استل سيفه وبادر الى امتطاء جواده دون أن يلبس درعه أو يحمل مجنه ،
وكر على البادئين بالبغى وهو في نفر من المخلصين له ، فرماه فارس
موابطى بسهم مرق من تحت ابطه ومس قميصه ، واذا ذاك أخذ سيفه
بكلا يديه وضرب الفارس ضربة قطته نصفين ، ودفع بقية الأعداء الذين
اضطروا الى التماس النجاة في التجهيل بالهرب ، وسرعان ما سدت الثغرة
في الحال ، لكن اذا كان الخطر قد بعد مؤقتا فانه لم يلبث أن عاد من
جديد حين نجح الموابطون - بعد الظهر - في حرق الأسطول مما أوقع
الذعر في قلوب المحصورين ، وكان ذعرهم بليغا اذ أدركوا استحالة
الاستقرار في المدينة بعد تدمير السفن ، ولم يعدوا يجهلون أنه لم يمنع
عدوهم من الهجوم عليهم الا انتظاره لمقدم « سير » على رأس امداداته ،
كذلك دب الجزع بين السكان الذين لم يعد لهم شاغل سوى العمل على
ما فيه انقاذ حياتهم ، فوثب البعض منهم في النهر محاولين عبوره سباحة ،
وقذف غيرهم بأنفسهم من فوق الأسوار حتى لقد دخل بعضهم الميازيب .

وجاء « سير » في هذه الأثناء وشرع في الهجوم يوم الأحد ٧ سبتمبر
[١٠٩١ م] وقد استبسل الجند القائمون بحراسة المتاريس أعظم
استبسال ، غير أن العدو تكاثر عليهم ، وتمكن الموابطون من دخول
المدينة وأخذوا في نهبها واقتراف شتى ضروب الجور والموبقات بها ،
وبلغت شراحتهم حدا عظيما حتى لقد جردوا الأشبيليين من آخر ما عليهم
من الثياب ، ولم يتركوا لهم سبدا ولا لبدا .

كان المعتد لا يزال في القصر وقد أخذت نسوته في العويل
والصياح ، وتوسل اليه أصحابه أن يستسلم لكنه لم يكن يميل أبدا
الى الاستسلام ، لأن بدنه كان يقشعر كلما فكر فيما يلقيه من التجريس
والتشهير ان هو استسلم ، فهو لا يرهب الموت الذي طالما تحداه .

واستولت عليه هذه الفكرة في هذه اللحظة فترجم عنها في شعر له يقول فيه :

وتنهه القلب الصديع	لما تماسكت الدموع
فليبد منك لهم خضوع	قالوا : الخضوع سياسة
على فمي السم النقيع	والذ من طعم الخضوع
ملكي وتسلمني الجموع	ان تستلب عني الدنيا
لم تسلم القلب الضلوع	فالقلب بين ضلوعه
ألا تحصنني السدوع	قد رمت يوم نزالهم
عن الحشا ، شيء دفوع	وبرزت ليس سوى القنيص
إذا يسيل بهما النجيس	وبذلت نفسي كي تسيل
بهواي ذلي والخشوع	أجلى تأخر ، لم تكن

عاد المعتمد مرة أخرى يتحدى الموت الذي ظهر كالما كان يتجنبه ، فجمع عسكره ثم كر كرة اليأس المستميت على إحدى كتائب المرابطين التي اقتحمت القصر ، وأخذ في مطاردتها حتى كبها في النهر ، ولقى في هذه الواقعة ابنه « مالك » مصرعه ، أما هو فلم يصبه شيء بل انه لم يجرح ، ولما عاد الى قصره مر بخاطره أن يقتل نفسه ، لكنه كره أن يغضب الله بهذا الاثم المنكر فرجع عما بدى له ، ثم جمع عزمه في النهاية على الاستسلام .

حين لف الظلام الكون بسرباله بعث المعتمد بابنه الرشيد الى « سير » ليتفقا على الشروط فراح أملة هباء منثورا ، اذ لم يفلح الرشيد في ما ارتجاه من التحدث اليه ، بل أنبأه القوم أن الواجب يقتضى إياه التسليم بلا قيد أو شرط .

لم يعد أمام المعتمد من سبيل غير ما فرض عليه ، ومن ثم عزم على نهج ما لابد له من نهج ، فودع عائلته ورفاقه في السلاح الذين اشتد عويلهم عليهم وبكاؤهم من أجله ، وأسلم هو وولده الرشيد نفسيهما للمرابطين الذين أخذوا في نهب القصر كما نهبوا المدينة من قبل ، وأفضوا الى « المعتمد » أن دمه ودماء أسرته مرهونة بأن يبعث الى ولديه « الراضى بالله » القائم بحراسة حصن « رندة » والمعتد بالله « القائم بحراسة حصن « مرتلة » يأمرهما بالمبادرة الى الاستسلام لقوات المرابطين التي تحاصرهما ، فأذعن المعتمد لما أُملى عليه ، ولما كان يعرف أن ولديه على غراره : أنفة وحمية ، فقد أقسم عليهما بوجود النزول على مشيئته ، وأفهمهما أنهما بذلك يشتريان حياة أمهما وأخواتهما . وضمت الرميكية توسلاتها اليه وخشيت أن يرفض ولداها الاستسلام وكانت محقة في ذلك لأن الراضى - على الخصوص - كان كارها أشد الكره

للتسليم رغم معرفته بمصير عائلته المحتوم من جراء اصراره على المقاومة التي أراد الاستمسك بها لأنه كان لا يزال قادرا على الامتناع « برودة » التي عهد الى القائد « جرور » بمحاصرتها فظل على بعد منها دون أن يجرؤ على الدنو من هذا المعقل الأشعب القائم على قمة جبل شامخ شديد الانحدار ، كما أنه لم يكن يأمل أبدا أن يتغلب عليها بالسلاح .

الا أن عاطفة البنية تغلبت في النهاية على قلب « الراضى » فقبل النزول من الحصن واتفق اتفاقا مشرفا له ، ثم فتح أبواب معقله للمرابطين ، غير أن « جرورا » لم يكن يقيم وزنا للعهد الذي قطعه على نفسه ، فقد اغتال « الراضى » بالله عقابا له على احكامه الطويل ورفضه الاستسلام . أما المعتد بالله الذي بادر الى الاذعان فقد كان مصيره دون مصير أخيه سواء وان تكن شروط استنزاله من حصنه قد تجوهمت تماما فاستأصل الفاتح جميع أمواله وكل ما يملكه (٥) .

عجل سقوط أشبيلية باستسلام « المرية » ، فقد أشار المعتصم وهو على فراش الموت على ولده البكر « عز الدولة » بالذهاب الى بلاط أصحاب « بوجة » التماسا للنجاة حالما يصله خبر استسلام أشبيلية التي لم تكده تستسلم حتى استجاب « عز الدولة » لرغبة أبيه الأخيرة ، ومن ثم دخل المرابطون « المرية » تخفق فوقهم الأعلام ، وتدق بين أيديهم الطبول (٦) ، وما لبثوا غير قليل من الزمن حتى استولوا على مرسية و « دائية » وشاطبة (٧) .

بعد أن فرغ المرابطون من ذلك كله وجهوا قواتهم ضد مملكة « بطليوس » التي رأى صاحبها « المتوكل » منذ حصار أشبيلية أن يحالف المرابطين دفعا لخطرهم ، بل ان البعض ليذهب للقول بأنه عاونهم في الاستيلاء على عاصمة « المعتمد » (٨) ، غير أن حلفاءه المزعومين شرعوا أخيرا يعيثون فسادا في أراضيه ، مما حمله على الارتقاء بين ذراعى (الفونس ، واشترى حماية هذا الملك بالتخلي له عن لشبونة و « سنتر » (٩) فادى هذا العمل من جانبه الى تدمير رعيته منه وحملهم على دعوة المرابطين للمجيء اليهم .

حينذاك قام « سير » - وكان قد أصبح حاكما على أشبيلية - فأنفذ في مستهل سنة ١٠٩٤ م [= ٤٨٧ هـ] جيشا لمحاربة المتوكل استطاع به غزو الاقليم بما فيه العاصمة ، وامتاز هذا الفتح باليسر والسرعة اللتين لم تدعا لألفونس مهلة من الزمن يستطيع فيها النهوض لمساعدة حليفه « المتوكل » الذي وقع في أيدي العدو ، كما وقعت في قبضته قلعة « بطليوس » التي كان المتوكل قد اعتصم بها هو وأسرته .

حين أصبح « المتوكل » فى قبضة « سير » لم يتورع الأخير عن اللجوء الى ضروب القسوة كى يدفعه للكشف عن النواحي التى خبأ فيها أمواله ، فلما تم له ذلك أخبره أنه سائر به وبولديه « الفضل » و « العباس » الى أشبيلية .

لم يصدر ذلك الاستنزال الى أشبيلية عن نية حسنة من جانب « سير » بل حمله عليه تصميمه على التخلص من هؤلاء الأمراء ، لكنه كان يخشى أن يؤدى قتلها - ان تم بالمدينة - الى عواقب وخيمة بها ، ومن ثم أمر القائد الناهض بالكتيبة بقتلهم حين يصبحون ظاهر البلد ، فلما بعد القوم عن « بطليوس » أمر القائد كلا من المتوكل وولديه بالاستعداد للموت قتلا ، ولم يحاول الأمير المنكود الحظ استرحام قاتله ادراكا منه لعدم جدوى هذه المحاولة ، بل كان كل ما سأل اياه هو أن يبدأ بقتل ولديه حتى تكون آلامه وهو يشاهد مصرعهما قادرة على محو آثامه ، فأجابه القائد الى طلبه ، فلما رأى المتوكل رأسى ولديه تتدحرجان بين يديه ركع مصليا صلاته الأخيرة ، لكن الجند لم يدعوه يتم صلاته فغضبوه ضربة فصلت رأسه عن جسده (١٠) .

ولما كانت سنة ١١٠٢ م استولى المرابطون على بلنسية وهى المدينة التى دانت منذ ثمانى سنوات للسيد ، وقد أخفق المرابطون فى محاولتهم انتزاعها منه ، بل استمرت فى يد أسرته فقد بقيت أرملة « شيمين » Chimène مقيمة بها سنتين بعد موته عام ١٠٩٩ م حتى استدعت الفونس لمساعدتها ، فرأى أن بلنسية بعيدة كل البعد عن أراضيه ، وألا جدوى له من نزاعه مع المسلمين من أجلها وأن الخير له فى التخلي عن هذه الفكرة ، وقد تم له ما أراد ، الا أنه لم يشأ أن يترك للمرابطين منها غير أطلال دارسة ، فعمد رجاله القشتاليون الى اضرار النار بها وهم يغادرونها (١١) .

لم يبق فى اسبانيا الاسلامية بعد ذلك غير امارتين لم تضما بعد الى المرابطين هما « سرقسطة » التى كان يحكمها « المستعين » من بنى هود ، و « السهلة » التى هى من أملاك « بنى رزين » الذين اعترفوا بسلطان يوسف عليهم ، لكنهم ما لبثوا أن عزلوا عنها (١٢) .

لقد كان المستعين أسعد طالعا من بنى رزين اذ عرف السبيل الى اكتساب عطف المرابطين عليه وتأييدهم اياه بفضل ما كان يصلهم به من الهدايا النفيسة ، ومن ثم أتيج له الاحتفاظ بعرشه ، الا أن الأمور تبدلت بعد موته فى ٢٤ يناير سنة ١١١٠ م فقد خلفه ابنه « عماد الدولة » الذى أنكر سكان « سرقسطة » الاعتراف به الا اذا صرف الجند المسيحيين العاملين فى جيشه ، ولكن كان هذا الشرط الذى اشترطه

سكان سرقسطة أمرا يصعب تحقيقه ، وسببه أن النصاري كانوا يؤلفون منذ قرن من الزمان خيرة قوات جيش « سرقسطة » ، كما كانوا أقوى الدعائم التي يركز عليها العرش ، فإذا سرحهم « عماد الدولة » لم يأمن أن تنب عليه رعيته ، ولا يأمن أن لا تتوانى عن المبادرة الى تملك البلد للمرابطين .

ومهما تكن الأمور فقد رضى الأمير بالعهد الذى قطعه القوم له على أنفسهم ، لكنه لم يكد يصرف الجند النصارى حتى خفت رعيته الى الاتصال بعلى بن يوسف بن تاشفين الذى كان يحكم اذ ذاك بعد أبيه الذى كان قد مات قبل هذا التاريخ بثلاث سنوات وأنبأته بتسريح النصارى من الجيش ، وذلت له أمر الاستيلاء على المملكة ، فلما علم « عماد الدولة » بمسلكهم وبما بيتوه له عاد من جديد الى استعمال المسيحيين مما أترع كاس غضب رعيته منه حتى الثمالة ، فأخبروا عليا بما جرى والتمسوا منه المعونة .

حينذاك سأل على فقهاء مراکش ان كان يحق له اجابة هذا الملتمس فاكذوا له أن ذلك حق واجب عليه أدائه ، ومن ثم بعث الى والى « بلنسية » يأمره بالزحف على « سرقسطة » فصدع صاحب بلنسية لأمره ، وكان « عماد الدولة » رأى أنه لن يصبح آمنا فى عاصمته فغادرها الى قلعة رويطة ، الا أنه قبل رحيله عنها كتب الى على بن يوسف بن تاشفين كتابا مؤثرا يستحلفه فيه - بحق الصداقة التى كانت تربط بين أبيهما - أن يتركه فى بلده طالما هو لم يفعل شيئا اذا يدفع عليا للزحف لقتاله .

وكان لهذا الكتاب أثره فى نفس على فقد تذكر ما كان أبوه قد أوصاه به وهو على فراش موته بأن يترفق مع بنى « هود » ، ولذلك بعث على [بن يوسف] الى حاكم بلنسية يأمره بالرجوع عن « سرقسطة » ، الا أن هذا الأمر وصل متأخرا بعد أن كان المرابطون قد دخلوها (١٣) .

بذلك دخلت جميع ولايات الأندلس الاسلامية تحت لواء سلطان مراکش ، وبهذا تحقق ما كان يتطلع اليه الشعب والفقهاء الذين لم يندموا على قيامهم بالمعاونة الجدية فى سبيل نجاح الثورة ، ولو أننا أردنا أن نجد منيلا لما كان يتمتع به رجال الدين من السلطان فى ظل حكم المرابطين لتحتم علينا الرجوع الى الوراء الى زمن القوط ، ذلك أن الأمراء المرابطين الثلاثة الذين ولوا الحكم فى الأندلس واحدا بعد الآخر ، وأعنى بهم يوسف وعلي - [١١٠٦ - ١١٤٣] وتاشفين [١١٤٣ - ١١٤٥] كانوا شديدي التدين فأحاطوا الفقهاء بمظاهر الاجلال ، وأسبغوا عليهم وارف ظلهم ، وكانوا لا يقدمون على عمل من الأعمال من غير رضائهم ،

وان كان « على آتمد الجميع ميلا للفقهاء ، وكان الفدر خطأ اذ جعل هذا الرجل يولد فى مهاد الملوكية على حين أن طبيعته هيأته لحياة السكينة والتأمل الروحى ، وأعدته للرهبانية والاعتكاف فى الصحراء ، فلم يعرف عنه فى حياته الا الصوم والصلاة . ومن الطبيعى الا يجد هذا الحاكم غير النساء عليه من الفقهاء الذين أخذوا يسبرونه وفق ما يشتهون ، وأصبحت مقاليد الحكم فى أيديهم وراحوا يتصرفون فى جميع وظائف الدولة ، وكانت لهم كل الحظوة عنده ، فامتلكوا الثروات الطائلة (١٤) . وقصارى القول أنهم جنوا الثمرات التى كانوا يأملونها من وراء فتح الأندلس على يد المرابطين ، بل انه ليس من الاسراف فى شيء ان قلنا ان ما جنوه كان فوق ما كانوا يطعمون فيه .

لكن اذا كانت الحوادث قد حققت آمالهم فقد حققت أيضا مخاوف الجماعة التى كانت كارهة لحكم الطبقة الدينية وجند الصحراء ومراكش المتبربرين . كما كان هناك ما يدفع الأدباء والشعراء والفلاسفة الى الشكوى المريرة .

لا متساحة فى أن كثيرا من الأدباء الذين كانوا يعملون فى دواوين الأمراء الأندلسيين قد شغلوا بعض الوظائف فى ديوان رسائل السلطان الجديد ، الا أنهم لم يجدوا أنفسهم يتبوؤن المكانة الجديدة بهم ، ووجدوا أنهم غير مطمئنين الى وجودهم وسط الفقهاء المتعصبين والجنند الغلاظ ، وأدركوا أن حاشية الأمراء الأندلسيين كانوا شيئا يخالف كل المخالفة ما أصبحوا يعيشون معهم اليوم .

أجل . . ان المرء ليرى أن هؤلاء القوم اضطرتهم الحاجة لكسب قوتهم الى مداينة الأمراء المرابطين ، والى اهدائهم مؤلفاتهم وكانوا ينظرون بشيء من الأسى والاعجاب العظيم الى الأمراء المتادبين الذين حكموا الأندلس من قبل ، كما وجد فى القوم من لم يستطع أن يتكتم سخطه الشديد على هؤلاء الحكام الجدد ومثال ذلك الكاتب الذى ما كاد يتسلم الأمر بأن يكتب على لسان السلطان كتاب تأنيب لجيش بلنسية بسبب هزيمته أمام ملك « أرغونة » حتى استسلم هذا الكاتب لما تضطرم به نفسه من الكراهية ، فجاء فى كتابه بأمثال هذه العبارات « أى بنى اللثيمة ، وأعيار الهزيمة ، الى متى يزيقكم الناقد ، ويردكم الفارس الواحد ، فليت لكم بارتباط الخيول ضائنا لها حالب قاعد . لقد آن أن نوسعكم عقابا ، والا تلوثوا على وجه نقابا ، وأن نعيدكم الى صحرائكم ، ونظهر الجزيرة من رخصائكم » .

وما بنا من حاجة للقول بأن هذا الأسلوب قد أحق السلطان فجازى الكاتب بأن صرفه عما بيده (١٥) .

أما الشعراء فلم يعودوا يجدون من يدنى مكانتهم الى السلطان المرابط ، فأخذوا يندبون ضياع الذوق ، وينددون بالهمجية التي اكتسحت بلادهم (١٦) . ومع ذلك فقد ظهرت بينهم جماعة لاقت الأمرين ، اذ راحوا يمتدحون بشعرهم الفقهاء الذين لم يكونوا يخلون من الزهو رغم ما هم عليه من الورع ، وكان أبرزهم في ذلك كبيرهم « ابن حمدين » قاضى الجماعة بقرطبة ، فقد ادعى أنه عربى الأصل شريف النبعة حتى ليقول فيه القائل (١٧) :

إليك ابن حمدين انتحلت قصائد
بها رقصت فى القضب ورق الحمام
أنا العبد ، لكن بالمودة يشترى
إذا كان غبرى يشترى بالدراهم

غير أن الفقهاء - ولا نستثنى منهم ابن حمدين الذى كان أثرى أهل قرطبة (١٨) - كانوا لا يسطون أيديهم بالعطاء (١٩) ، ومن ثم انصرف عن مديحهم الشعراء ممن يحترمون أنفسهم ويكرمون فنههم ويربأون به عن مواضع الزلفى والتهمة ، وإن عانوا سُظف العيش ، ومنهم الشاعر الغزل « ابن بقى » الذى يعد من أحسن من أنجبتهم الأندلس ، فراح ينتقل من جلد الى بلد وقد أعوزه الرغيف (٢٠) ، فقال فى احدى قصائده :

أقمت فيكم على الاقتار والعدم
لو كنت حسرا أبى النفس لم أقم
فلا حديقتكم يحنى لها ثمر
ولاسماؤكم وتنهل بالديم
أنا امرؤ ان نبت بى أرض أندلس
جئت العراق فقامت لى على قدم
ما العيش بالعلم الا حيلة ضعفت
وحرفة وكلت بالقعدد البرم (٢١)

غير أن العزاء الوحيد الذى بقى للشعراء هو أنه كان فى قدرتهم السخرية من أصحاب السلطان ابان ذلك العصر ، وكتابة الهجاء المقذع الذى يفيض بالسخائم ضد الفقهاء ، حتى ليقول بعضهم فيهم :

أهل الرياء لبستموا ناموسكم
كالذئب يدلج فى الظلام العاتم (٢٢)

غير ان ابداء ما فى النفوس من السخائم وما تنطوى عليه من الحق على الفقهاء بهذه الصورة لم يكن مأمون العاقبة لأن هذه الطائفة من الناس كانت تعرف كيف تقتص من يجروون على التعرض لها ، ولسنا فى حاجة لأن نقول ان الفلسفة أصبحت علما محرما ، وقد أخطأ « مالك بن وهيب الأشبيلي » حين أخذ نفسه بالنظر فيها ، الا أنه أدرك ما ينطوى عليه هذا الميل من تعريض حياته للخطر فانصرف عنها وانكب على دراسة الفقه والشريعة ، ولم يندم على مسلكه الجديد الذى قر به من السلطان حتى صار صديقه وموضع سره وثقتة ، وان لم يغفر القوم له أبدا خطيئته التى ارتكبها أيام شبابه ، فقد نظم أحد خصومه أبياتا نال فيها منه اذ يقول :

دولة لابن تاشفين على طهرت بالكمال من كل عيب
غير أن الشيطان دس اليها من حناياه : مالك بن وهيب (٢٣)

ولقد جاوز تعصب الفقهاء كل حد ، وكان أفق تفكيرهم شديد الضيق ، هذا الى قلة المامهم بالقرآن والأحاديث النبوية ، فلم يأخذوا أنفسهم بالتحقق الا فى دراسة ما كتبه تلاميذ « مالك بن أنس » الذين عدوهم أئمة معصومين ، ولا يجوز لأحد ما أن يخرج عما وضعوه ، وكان المامهم – والحق يقال – بالشريعة الماما دقيقا ، ولم تجد نفعا تلك المحاولات التى قام بها جماعة من مستنيرى الفقهاء للحد من أفكارهم ، فكان ردهم عليهم أن أخذوا فى اضطهادهم واعتبرهم الناس زنادقة وكفرة ومرتدين (٢٤) .

أما الكتاب الذى ألفه الغزالي فى الشرق وهو المعروف بأحياء علوم الدين فقد أحدث فى الأندلس دويا عظيما وضجة كبرى .

لم يجد الغزالي فى مذهب ما من مذهب علم الكلام ما يرضى نفسه ، فتشكك فى قيمة تلك المذاهب وتمادى فأصبح ألد أعداء الفلسفة ، وهو يؤكد فى كتابه « احياء علوم الدين » ان علم ما وراء الطبيعة لا ينبغى أن يستعمل الا للدفاع عن الدين الموحى به ، ويقول ان دراسة علم الطبيعة ينبغى اهمالها ان رأى فيها المرء ما يجرح الدين ، غير أن الغزالي بشر بمذهب عاطفى باطنى قوى ، يكاد أن يكون عقيدة يوحى بها القلب ، كما أسرف فى لوم رجال الدين من أهل عصره الذين اكتفوا بالقشور دون اللباب ، ولم يشغلوا أنفسهم بغير المسائل الجدلية التى لا تفيد ألبتة الا فى المنازعات التافهة التى تنشب بين الرعاع (٢٥) ، وبهذا هاجم فقهاء الأندلس فى أضعف نواحيهم فاستبد الغيظ بهم منه ، حتى لقد أفتى ابن حمدين – قاضى قرطبة بتكفير كل من ينظر فى كتابات الغزالي وحكم عليه بالهلاك ، وأصدر فتوى قال فيها بوجوب حرق هذا الكتاب وكل ما يبنيه من الكتب ، وأمضى كل فقهاء قرطبة هذه الفتوى ورفعوها الى

السلطان على الذى أجاز ما بها ، ومن ثم جعلوا كتاب الغزالي طعمة للنيران فى قرطبة وفى شتى مدن الامبراطورية ، وحرم على الناس امتلاك أشباهه والا قتلوا وصودرت أموالهم (٢٦) .

من هذا يفهم أنه لم ينعم بالتسامح فى ظل هذا الحكم من كانوا على غير الملة الاسلامية ، وهذا ما حدث مثلا لليهود فقد ابتدع أحد فقهاء قرطبة طريقة رآها خير وسيلة لحملهم على اعتناق الاسلام فزعم أنه عثر بين أوراق ابن مسرة على حديث نبوى يقول ان اليهود كانوا قد قطعوا على أنفسهم عهدا للرسول بأن يسلموا فى ختام القرن الخامس للهجرة ان لم يظهر « المسيح » المنتظر حتى ذلك الحين ، وجاهى أن هذا الفقيه لم يكن على شيء من الايمان بالتاريخ الأدبى والا كان أحرص وأبعد عن أن يقول انه وجد ذلك الحديث بين أوراق ابن مسرة ، لأن الناس كانوا يعرفون فى ابن مسرة تهاونه فى شئون الدين تهاونا لا يشك أحد فيه أبدا (٢٧) .

غير أن القوم حينذاك لم يعبثوا بتلك المسألة ، وكان الداعى لهم الى ذلك هو أن السلطان يوسف [بن تاشفين] الذى كان موجودا حينئذ فى الأندلس ذهب الى مدينة لاشانة Lucena (وهى مدينة يهودية خالصة لا يستطيع أحد من المسلمين السكن بها) وكان غرض ابن تاشفين من ذلك الذهاب هو دعوة اليهود لتنفيذ العهد الذى قطعه أسلافهم على أنفسهم ، فدب الدعر الشديد بين يهود « لوسينا » ، لكن بقى أمامهم لحسن حظهم سبيل واحد للنجاة هو ان هذا العمل لم يكن صادرا عن وجدان صادق وإيمان خالص بقدر ما هو صادر عن التطلع الى ما يملكه اليهود من المال ، لأنهم كانوا أئرى الناس فى العالم الاسلامى وكانت الحكومة تعتمد عليهم فى سد النقص فى الناحية المالية فان ظهر هذا النقص عمدت الى فرض الضرائب غير الشرعية ، ولم يجهل اليهود هذا الأمر فبعثوا الى ابن حمدين قاضى قرطبة يلتمسون منه الدفاع عنهم لدى السلطان ، فلم يخيب القاضى ابن حمدين رجاءهم ووعدهم بتحقيق أملهم فيه ، ووفى لهم بعهده ، ولا ندرى عما اذا كان ابن حمدين قد قام بهذا العمل غير مأجور عليه ، ولكن مهما يكن الأمر فانه حث السلطان على أن يكتفى بقبول قدر من المال منهم ، وكان فى الواقع مبلغا جسيما ، غير أن الظروف المحيطة باليهود جعلتهم يرون أن التضحية بالمال - وان جلت - ليست بالكثيرة ازاء تركهم أحرارا وبقائهم على ملتهم (٢٨) .

أما المسيحيون ، أو « المستعربون » كما يسمون فقد لاقوا عننا شديدا لما كانت تنطوى عليه صدور الفقهاء والجمهور ضدهم من الكراهية العنيفة المتأججة ، وكانوا فى كثير من الجهات لا يزدون عن فئات صغيرة لكنهم كانوا يؤلفون جمهرة كبيرة من سكان ولاية غرناطة ، وكانت لهم قرب العاصمة كنيسة فخمة شيدها سنة ٦٠٠ م أحد الأشراف القرطبيين

واسمه « جديلا » ، وقد أثارت هذه الكنيسة حقد الفقهاء الذين اعتمدوا بطبيعة الحال على عمل قام به الخليفة عمر بن عبد العزيز اذ كره أن تبقى أية كنيسة أو مذهب للنصارى ، قديما كان هذا البناء أو مستجدنا (٢٩) ، ومن ثم أصدر الفقهاء فتوى نصوا فيها على هدم كنيسة « جديلا » ، ولقيت هذه الفتوى رضاء يوسف ، ومن ثم تمت ازالتهن وسويت بالأرض عام ١٠٩٩ م .

والظاهر أنهم فعلوا نفس هذا الفعل ازاء الكنائس الأخرى وان يكن النائب - على الأقل - أن الفقهاء كبدوا المستعربين المشاق البالغة مما دفع الآخرين فى النهاية للتوسل الى ملك « أرغونة » بالمجئ لتخليصهم من نير التتصب الذى يواجهونه ، فاستجاب الفونس لتوسلاتهم ، ومن ثم أخذ فى سبتمبر ١١٢٥ م فى الزحف بأربعة آلاف فارس يتبعهم رجالهم المدججون بالسلاح ، والذين أقسموا على الانجيل ألا يترك بعضهم بعضا ، ومع ذلك فلم تحقق حملته العهد الذى قطعت على نفسها .

حقيقة أن هذه الحملة ظلت تعيث فسادا ونخريرا فى الأندلس أكثر من عام ، وأنها تقدمت حتى طرقت أبواب قرطبة ، وانها انتصرت فى « أرزول » القريبة من « لوئينا » انتصارا رائعا ، لكنهم مع ذلك كله لم تحقق الهدف المنشور الذى جاءت من أجله ، ونعنى به الاستيلاء على غرناطة ، لذلك ما كاد الجيش الأرغونى يرحل حتى أنزل المسلمون بالمستعربين أقطع الأحوال مما ترتب عليه هروب عشرة آلاف منهم فرارا من غضبهم الجنونى ، ولما كانوا يعرفون المصير الذى ينتظرهم فقد طلبوا من الفونس أن يأذن لهم بالإقامة فى رحاب مملكته فاستجاب لهم . ومع ذلك فقد بقى منهم فى غرناطة جمهور أكثر ممن هاجروا فصورت املاكهم ولاقوا أسوأ ضروب المعاملة ، فزج بالبعض منهم فى السجون ولقى الآخرون مصيرهم قتلا ، غير أن الغالبية العظمى منهم نقلت الى افريقية حيث تكبدوا أقطع الآلام ونزلوا فى ضواحي ومكناسة ، وكان ذلك سنة ١١٢٦ م وقد تم ذلك كله بمرسوم من السلطان « على بن يوسف » حملة على اصداره ابن رشد جد الفيلسوف المعروف (٣٠) ، وبعد ذلك الحادث باحدى عشر سنة نفى المستعربون مرة أخرى (٣١) ، حتى انه لم يبق منهم بالأندلس سوى طائفة قليلة .

كانت حكومة المرابطين شديدة الوطأة على فريق خاص من الناس ، مسرفة فى اضطهادهم ، لكن المسيحيين واليهود وأصحاب الفكر الحر من علماء المسلمين والفلاسفة والشعراء والأدباء كانوا لا يزيدون عن فئة قليلة ، وان كانت بلا ريب فئة هامة جدا لا يمكن اغفالها ، اذ تضم بين

أفرادها جميع أبواب المواهب والكفاءات ، ولكنها لم تكن من الشعب الذى كان يبنى الآمال العراض على الحكومة الجديدة ، والذى كان يطمح أن تقرر النظام فى الداخل وتحجى الشعب من الأعداء الذين يهددونه من الخارج ، كما كان هذا الشعب يتطلع إليها بعين الرجاء فى أن تخفف عبء الضرائب وتعمل على زيادة الرخاء العام .

فهل تحققت الآمال ؟

ربما أمكن القول أنها تحققت زمن يوسف وكذلك فى السنوات الأولى من ولاية خليفته الذى جاء بعده . فلم يضطرب حبل النظام إبان هذه الفترة وأمنت الطرق (٣٢) ، واستولت الرهبة على القشتاليين فكفوا عن العدوان، ولم يعودوا يفكرون فى المجئ لتخريب بقاع الأندلس (٣٣) . وألغت الحكومة فى البداية كل ضريبة غير شرعية . ولقد رأينا أننا كيف التزم اليهود بتمويل بيت المال نيابة عن المسلمين كلما أعوزت بيت المال الحاجة الى المال ، لكننا لا نستطيع أن نجزم كما جزم أحد المؤرخين (٣٤) بأنه لم تكن هناك أى ضريبة باهظة ، اذ الثابت أن يوسف حاول ذات مرة فرض ضريبة حربية - أو كما سماها معونة - فلم يكن من أهل المرية الذى لم يظهروا أبدا أى ميل للدراطين الا أن رفضوا دفعها ، وقام أبو عبد الله بن الفراء قاضى الجماعة فى المرية فرد على يوسف بقوله :

« أما بعد ، فما ذكره أمير المسلمين من اقتضاء المعونة وتأخرى عن ذلك ، وأن جميع القضاة والفقهاء بالعدوة وبالأندلس أفتوا بأن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - اقتضاها ، وكان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجيعه فى قبره ، ومن لا يشك فى عدله فإن كان الفقهاء والقضاة أنزلوك بمنزلته فى العدل فالله سائئهم عن نقلدهم فيك ، وما اقتضاها عمر حتى دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلف أن ليس عنده درهم واحد من بيت مال المسلمين ينفقه عليهم ، فلتدخل المسجد الجامع وتحلف أن ليس عندك درهم واحد ، حينئذ تستوجب ذلك والسلام » (٣٥) .

فهل أدت هذه العبارات النارية الى صرف يوسف عما أرادته ؟ أم جعلته يصر على طأبه ؟

لسنا على بينة من الأمر ، بيد أن هناك ما يحملنا على الظن بأن الضرائب غير الشرعية قد فرضت أيام على [بن يوسف بن تاشفين] اذ يقول أحد المؤرخين (٣٦) فى معرض كلامه عن الروم (ويعنى بهم

المسيحيين) الذين استعملهم على فى وظائف الدولة « انهم قد النزموا بالمغرم « ولا مشاحة فى أنه يندرج تحت هذه العبارة الضرائب التى لم ينص عليها القرآن •

أضف الى هذا ما يذكره أحد ثقات الجغرافيين (٣٧) من أن المرابطين قد فرضوا ضرائب كثيرة على جميع أنواع المتاجر ، ولا أقل من أنهم فرضوها فى عاصمتهم •

ومع ذلك فإن الضرائب التى أصبح الشعب يدفعها كانت أقل من الضرائب التى كانت تجبى أيام الأمراء الأندلسيين ، ومن الطبيعى أن تزداد الرفاهية والرخاء بفضل هذا العمل وبفضل السكينة التى أصبحت البلاد تنعم بها وتعمها • والواقع أن الرخاء كان عظيما جدا ، والدليل على ذلك رخص القمح ، كما أصبح الناس قادرين على شراء اللحم بثمان لا يكاد يذكر لتفاهته (٣٨) •

ومجمل القول ان الشعب لم يداخله الياس اذ ذاك ، لكن كل ما فى الأمر أن لابد وأن يكون قد أخطأ لو أنه اعتقد أن المرابطين قد حصلوا على انتصارات حاسمة على النصارى ، وأنهم أعادوا بلاد الأندلس الاسلامية الى سابق عظمتها وبأسها للذين كانت عليهما أيام عبد الرحمن الثالث والحكم الثانى والمنصور ، ومع ذلك فقد كانت الظروف جد مواتية ، فقد وقعت أسبانيا النصرانية عقب موت ألفونس السادس سنة ١١٠٩ م فريسة للفوضى التى ظلت تتناهبها ودحا طويلا من الزمن ، وغشيتها الحروب الأهلية ، الا ان المرابطين لم ينتفعوا بتلك الظروف المتاحة لهم ، فقد ضاعت سدى جميع محاولاتهم فى سبيل استرجاع طليطلة ، ومع أنهم استطاعوا الاستيلاء على بعض مدن كانت دون طليطلة أهمية الا أن النجاح الذى أصابوه لم يكن يعادله سوى ضياع سرقسطة من أيديهم سنة ١١١٨ م •

أما الأمة فلم تطل فرحتها بانتهاء الثورة اذ دب الفساد فى الحكومة . ثم سرى واستشرى بين القادة والجند سريان النار فى الهشيم ، ذلك ان قادة يوسف - حين وصولهم الى أسبانيا - كانوا قادة أميين لكنهم شجعان متدينون مخلصون لمهمتهم ، يزاولون الحياة على نمط بسيط من العيش ويتبعون أسلوبا سادجا يوائم الصحراء ، لكن لم تكد تتدفق بين أيديهم أموال الأمراء التى صادرها يوسف حتى فقدوا ميزاتهم السالفة ، ولم يعودوا يفكرون الا فى التمتع بما أصابوه (٣٩) •

كانت الحضارة الأندلسية عندهم شيئا جديدا لم يألوه ، وأصبحوا يخجلون من همجيتهم فطلبوا التعليم والتهذيب ، واتخذوا الأمراء الذين

خلعهم عن عروشهم مثالا يحتذونه ، ومما يؤسف له أنهم كانوا أبعد من أن يتأثروا بركة الأندلسيين وحسن ذوقهم ولطف معشرهم ، بل كان كل كل ما فيهم مطبوعا بطابع التقليد الأعمى الموج .

لقد بسطوا حمايتهم على الأدباء وأسبغوا عليهم وارف ظلهم وعطفهم ، وتدرّبوا على نظم الشعر والتأليف ، إلا أنهم فعلوا ذلك كله جهالة واعتباطا وبأسلوب تنقصه الكياسة والذوق ، ومهما يكن ما فعلوه فإنهم لم يهضموا الحضارة هضمًا تامًا ، ومن ثم ظلوا على شيء من البداوة ولم يأخذوا من الحضارة الأندلسية سوى جانبها الهش ، ويقال إن أبا بكر بن ابراهيم - صهر على - الذي بقى مدة من الزمن عاملا على غرناطة ثم سرقسطة - يعد مثالا لهؤلاء القواد الذين حاولوا أن يصبحوا أندلسيين فأخفقوا ولم يفلحوا .

لقد ولد أبو بكر بن ابراهيم في الصحراء وشب على مبادئ بني جنسه . الجافة الصارمة ، فلما صار في سرقسطة نسي تلك المبادئ وراح ينسج على منوال « بنى هود » ملوك سرقسطة السابقين ويقتفى نهجهم حذوك النعل بالنعل ، ولما كان « بنو هود » يعيشون عيشة الترف فقد طمع أبو بكر في هذه الحياة ذاتها ، ومن ثم أحاط نفسه بالندامى ، وكان إذا جلس للشراب معهم لبس تاجا وعباءة ملوكية ، ولما كانت الفلسفة قد نعتت بعطف بنى هود - لاسيما المقتدر والمؤتمن اللذين عالجا الكتابة والتأليف فيها - فقد أراد أن يفعل مثل الذى فعلوا دون يعبأ بما قد يقوله صهره والفقهاء في شأن ممارسته إياها ، فأولى صداقته وثقته وساق وزارته الى رجل لا يجرى اسمه على السنة الاتقياء الا استعاذوا بالله منه ، وهو رجل لا يؤمن بالقرآن بل ينكر كل وحى ذلك هو الفيلسوف الشهير ابن باجة (٤٠) مما أدى الى سحق الكثيرين من جنده عليه وانفضاضهم من حوله (٤١) .

وعلى الرغم من أن الجند كانوا أكثر اعتدالا من زعمائهم إلا أنهم كانوا مثلهم خلقا ، فقد عرفوا بجرأتهم وسفهمهم على الأندلسيين وجبنهم أمام العدو ، والواقع أن جبنهم هذا كان كبيرا حتى لقد اضطر الملك أن يتناسى كراهيته للنصارى فضمهم الى جيشه واستقدم قائده ابن ميمون « صياد الأجال » من عند شواطئ غاليسية و « قطالونيا » وإيطاليا والامبراطورية البيزنطية (٤٢) .

بلغت وقاحة جند المرابطين مبلغا لا حد له فنظروا الى بلاد الأندلس نظرتهم الى بلد مفتوح مغلوب على أمره ، فراحوا يتمتعون فيها بكل ما يرضى شهواتهم من المال والمتاع والنساء ، وتركتهم الحكومة يفعلون ما يشاؤون ولم تستطع ردهم عن شيء ما ، واضمح ضلعها جليا للعيان ،

وتخلى الفقهاء عن سلطانهم للنساء أو على الأقل أذنوا لهن بمتشاركتهن فيها ، وأصبح الملك يأتى بأمر زوجته « قمر » ، كما أن هناك غيرها من النساء صرن يتصرفن فى الوظائف العليا ويستعملن فيها من أردن ، فان استطاع المرء أن يرضى أهواءهن تجاسر فانطلق يفعل ما يشاء ، حتى صار فى قدرة اللصوص أن يأمنوا أن تمتد اليهم يد العدالة اذا استطاعوا بوسيلة أو أخرى شراء حماية أولئك النسوة لهن ، اذ كان يبدن خلع الوظائف على من أردن ، وقد جرت عادتهن أن يسقن هذه الوظائف الى رجال ضعاف أشد الضعف ، ومجمل القول ان الفساد كان قد دب فى الحكومة التى غدت محتقرة مرذولة يسخر منها الجيش والشعب على السواء لأنها كانت تنسخ اليوم الأوامر التى قضت بها بالأمس ، كما تطلع كبار السادة الى الاستحواذ على العرش ، وكثبرا ما سمعهم الناس يقولون انه لو ألقيت اليهم مقاليد الحكم لحكموا خيرا من الأمير على الضعيف الذى لا يعرف غير الصلاة والصوم (٤٣) .

ومما زاد الطين بلة قيام ثورة بافريقية سنة ١١٢١ م وهى التى أضرمتها سكان جبال أطلس المراكشية الذين اتسموا بالهمجية وعرفوا بالموحدين فقد هبوا لحمل السلاح ضد المرابطين ، وحرصهم على ذلك التمرد رجلى يدعى الإصلاح ، ويزعم أنه المهدي الذى بشر به النبى [عليه الصلاة والسلام] . وكان لابد لمثل هذه الثورة من القضاء على دولة نخرها الضعف حتى وهى أساسها فاضطربت أحوالها، واختلت أمورها، وكان الجند الذين تستعملهم هذه الدولة - باستثناء النصارى - أسوأ جند ، حتى لقد كان يكفى منظر العدو وحده لحملهم على الفرار والهزيمة .

تأزمت الأحوال أمام الحكومة فأوقع فى يدها فلم تدر ما تفعل ، غير أنها أرادت أن تمتد قليلا فى حياتها التيميسة فأرجعت للأندلس الجند والسلاح والذخيرة والأقوات (٤٤) ، ولم يفت ذلك العمل انتباه المسيحيين الذين بادروا الى الاستفادة مما هو واقع فعلا ، فقام ألفونس المحارب ملك « أرجون » سنة ١١٢٥ م أعنى بعد أربع سنوات من بدء ثورة الموحيدين - بالزحف على الأندلس ، وظل أكثر من عام يعيث فيها فسادا .

كذلك حدث فى سنة ١١١٣ م أن أقام ألفونس السابع ملك قشتالة والملقب بالامبراطور لقب جده ألفونس السادس وأعمل السيف فى نواحي قرطبة وأشبيلية وقرمونة ، وأجرى على أديبها الدم وترك النيران ترعى بها ، كما استولى على « شريش » فخربها هى الأخرى وأحرقها ، وتقدم فى زحفه حتى وصل الى موضع كان يسمى ببرج قادش

أو أعمدة هرقل (٤٥) . وأفسد فيه كما أفسد جده من قبل زمن المعتمد فقد عاود بعد خمس سنوات تخريب ضواحي « جيان » و « بايزة » و « أونبة » و « أندوسر Andujar » . ثم رجع مرة ثانية سنة ١١٤٣ م إلى قادش وأشبيلية و « قرمونة » ، كما نهب في العام التالي واحرق جميع بلدان الأندلس الواقعة بين قلعة رباح و « المرية » (٤٦) .

طل الشعب الأندلسي ينعم بالرخاء مدة سنوات قلائل وذلك بفضل الثورة التي تحمس في الترحيب بها ، ثم ابتلى بعدئذ بحكومة ضعيفة منحلة ، وزمرة من الجند الضعاف السفاكين الذين لا يخضعون للنظام كما ابتلى بشرطة فاسدة ، يدل على ذلك كثرة اللصوص بالقرى ، كما تعددت غارات قطاع الطرق على الريف ، فشلت الحركة التجارية ، وركدت الصناعة ، وارتفعت أسعار الأقوات حتى لقد أدت الحال إلى ما ينسب به المجاعة ، ونكبت البلاد بكثير من الغزوات التي لم ير لها منيل من قبل والتي أخذت تزداد للأسف يوما بعد يوم (٤٧) ، فتلاشت الآمال ، وراح الناس يصبون اللعنات على أولئك المرابطين بعد أن كانوا يعدونهم المنقذين لبلادهم وملتهم ، وأخذ أهل قرطبة منذ سنة ١١٢١ م في التمرد على الجند الموكل اليهم حماية المدينة لارتكابهم شتى ضروب المظالم دون أن تتدخل الحكومة فتضرب على أيديهم حتى يكفوا عما هم بسبيله ، وطرد القرطبيون هؤلاء المتبربرين ونهبوا مساكنهم ، واذ ذاك جاء الملك « علي » إلى الأندلس بحشد كثيف من أهل أفريقية ، وكان من الضخامة بالصورة التي لم يسبق لسواطي أسبانيا أن رأت لها قط منيلا من قبل ، غير أن كيل الغضب كان قد طفق عند القرطبيين فأجمعوا العزم على الاستبسال في الدفاع عن أنفسهم استبسالاً دفعهم إليه اليأس ، فأغلقوا أبواب المدينة وأقاموا المتاريس بالشوارع . إلا أن الجانبين لم يكونا متكافئين مما دعا الفقهاء للتدخل لحقن الدماء والحيولة دون اهراقها وعلى الرغم مما طبع عليه الفقهاء من أمور كانت تستنكر منهم إلا أنهم انضموا هذه المرة إلى جانب مواطنيهم ووقفوا في وجه أصحاب البأس والسلطان ، وأفتوا بأن ثورة أهل قرطبة إنما هي ثورة عادلة يقرها الشرع ، وبرروا عمل أهلها بأنهم لم يمتشقوا السلاح إلا دفاعا عما يملكون ، وذبا عن حرماهم وحياتهم . وقد أقر على كما هي العادة وجهة نظر الفقهاء ، وجرت مفاوضات طويلة انتهت برضاء القرطبيين بدفع دية عما نهبوه وحطموه (٤٨) .

أما في المدن الأخرى فقد أخذ التذمر في الازدياد ، وراح الناس يحنون إلى الماضي الدابر ، ويتمنون رجوعه رغم أنه لم يكن بالماضي الزاهي ، ولكنهم أصبحوا يفضلونه على وضعهم الحالي ويؤثرونه على ما هم فيه من

النكد والمشقة التي ضجروا منها ، وثبت ذلك عندهم حين قرءوا الرسالة التي بعث بها الاشبيليون في سنة ١١٣٣ م الى سيف الدولة آخر ملوك سرقسطة الذي كان موجودا حينذاك في جيش الفونس السابع المرابط أمام أبواب مدينتهم وقالوا له فيها « خاطب عنا ملك النصارى ، وأكد له تأكيداً لا نقض فيه أننا سوف نتخلص من نير المرابطين ، واننا لن نكاد نتحرر منهم حتى ندفع للملك قشتالة جزية أضخم بكثير مما كان آباؤنا يدفعونها لأسلافه ، وأما أنت فسيكون لك الحكم علينا ثم لأولادك من بعدك » (٤٩) .

وبعد احدى عشرة سنة من هذا الحادث كان الناس يقولون في التسوارع والمساجد « لقد استغلنا المرابطون غاية الاستغلال ، فسلبونا أملاكنا ، واحتججوا أموالنا ، وسبوا نساءنا ، واسترقوا أبناءنا ... فلننهض ضدهم ، ولنطاردهم ، ولنعمل على الفتك بهم » .

وقال آخرون : « ينبغي علينا قبل كل شيء أن نتحالف مع امبراطور « ليون » وندفع له الجزية كما دفعها له آباؤنا من قبل » . فيجيبهم آخرون : « أجل . ان كل ما تقولون هو الصواب على شرط أن نتخلص من المرابطين ! » .

هكذا راح الناس يتمنون على الله نجاح الخطط التي دبورها ، وقامت جميع بلاد الأندلس قومة رجل واحد للوثوب على مضطهديهم والتخلص منهم ، وكان القضاة والفقهاء (٥٠) على رأسهم جميعا .

اننا لم نذكر تاريخ هذه الثورة ولا تاريخ فتح الأندلس على يد الموحدين الذين حلوا محل المرابطين في بلاد مراكش ، وذلك لأن المحاولة التي وضعناها نصب أعيننا هي دراسة تاريخ الأندلس المحتلة ، ولو أننا تناولنا الحقبة التي كان فيها هذا القطر ولاية من ولايات دولة أخرى فأننا بذلك نكون قد جاوزنا الحدود المرسومة لموضوعنا ، ونحن نفعل ذلك لأننا نعتقد أن واجبنا يتلخص في أنه ينبغي علينا أن نبين في جلاء كيف أن الأندلس لم تكن ناعمة البال حين احتلها المرابطون ، وأنها راحت تندب أمراءها الذين افترت عليهم أشد الافتراء وتخلت عنهم وقت الخطر تخلياً كان هو الخيانة ..

وقبل أن نختم هذا الموضوع نرى أنه بقي أمامنا واجب واحد لازال يقتضينا أن نبثه ، ذلك هو عرض سيرة المعتمد أثناء أسره .

الفصل الخامس عشر

سيرة المعتمد ونهايته

نفى المعتمد الى طنجة ولقاؤه بالشاعر الحصرى . كرم المعتمد لا يبارحه حتى في متربته . نفىه بعدئذ الى مكناسة . ثم سجنه فى اغمات . تدهور حال زوجته وبناته والتماسهن العيش بصناعة الغزل . شعر المعتمد فى وصف حاله ومآل أهل بيته . حزنه الشديد على مرض الرميكية وسؤاله الطبيب ابن زهر لعلاجها . المعتمد يجد عزاءه فى ما يبعثه اليه الشعراء من قصائدهم وزيارة بعضهم له . عبد الجبار بن المعتمد يقف ضد المرابطين . ابن حمديس الشاعر يتوقع عودة المعتمد لمملكته وتشعره فى ذلك . وفاة المعتمد ودفنه . خلاصة القول فى المعتمد وحب الناس له . افتخار المخمينين به . شعر ابن الخطيب فى ملحه بعد زمن طويل .

سيرة المعتمد ونهايته

رغم الفضائل الجمة التي يشهد بها الفقهاء ليوسف [بن تاشفين] إلا أن حقه على المخلوبين لم يكن يبارحه ، فقله اتبع مع الأمراء الأندلسيين الذين وقعوا في أسره أسلوبا شديداً الغظاة ممزوجاً بالقتل لهم ، وإن يكن قد أحسن معاملة حفيدي باديس إذ رد عليهما حريتهما على ألا يبرحا بلاد المغرب ، وأجرى عليهما معاشاً ضخماً ، حتى لقد خلف عبد الله لأولاده من بعده ثروة طائلة ، لكن يوسف كان مدفوعاً إلى هذه المعاملة بحبه لحفيدي باديس - وهما من نفس جنسه - تم انهما كانا رجلين رخوي المغمز ، هشي المكسر لا يخشى شهما ، بل كانا يعملان على التلطف إليه (١) . أما غيرهما من الأمراء - أمثال الراضي والمتوكل وفضل وعباس - فقد رأينا ما حل بهم على يده ، كما لاقى المعتمد أسوأ المصير وإن لم يقدم يوسف على قتله بل أبقاه حياً .

ما كادت أشبيلية تسقط في يد ابن تاشفين حتى أمر باستنزال « المعتمد » إلى طنجة ، وكان في وداعه وقت ركوبه البحر هو وأهل بيته حشد كثيف من الأهالي زحرت بهم ضفاف الوادي الكبير ، وقد وصف الشاعر « ابن اللبانة » هذا المنظر في إحدى مرثياته فقال (٢) :

نسيت - إلا غداة النهر - كونهمو
في المنشآت كاموات بالجاد

والناس قد ملأوا البرين واعتبروا
من لؤلؤ طافيات فوق ازباد

حط القناع فلم تستر مخدرة
ومزقت أوجه تمزيق أبراد

يا ضيف : أقفر بيت المكرمات فخذ
في ضم رحلك واجمع فضلة الزاد

ويا مؤمل واديهم ليسكنه
خف القطين وجف الزرع بالوادي

ضلت سبيل الندى بآبن السبيل فسر
لغير قصد ، فما يهديك من هادى

لبث المعتمد بضعة أيام بطنجه وكان بها اذ ذاك الشاعر الحصرى .
الذى سلقت له الإقامة ردحا من الزمن فى بلاط أنبيلية ، فرفع الى المعتمد
مجموعة من الفصائد القديمة التى سبق أن امتدحه بها ، وان كان من
بينها واحدة مستحدثة يطلب فيها أن يصله بأية صلة رغم معرفته أن
المعتمد لم يعد فى حال تمكنه من وصله بأى عطية . والواقع أن ملك
أنبيلية السابق لم يكن قد تبقى فى يده من ثروته سوى ستة وثلاثين
منقلا كان قد أخفاها فى خفه ، وطبعها قدماء بدمه ، غير أن ما جيل عليه
المعتمد من الكرم والجود دفعه للمبادرة الى التنازل عن هذا القدر من المال ،
فوضعه فى كاغد وكتب معه أبياتا يعتذر بها الى « الحصرى » من ضالة
الصلة ، غير أن ذلك الصعلوك الراضع لم يشكر للمعتمد يده عليه بل
سكت عنه . فلما اتصل خبر هذه العطية بزعانفة شعراء « طنجة »
وما حولها توافدوا على المعتمد زرافات ووجدانا يرفعون اليه قصائدهم
يلتمسون نداء ، الا أنه كان للأسف خالى الوفاض ولم يعد يملك ما يستطيع
أن يرفدهم به فقال (٣) :

شعراء طنجة كلهم والمغرب
ذهبوا من الاغراب أبعد مذهب

سألوا العسير من الأمير وانه
بسؤالهم لأحق ، فاعجب واعجب

لولا الحياء وعزة لخميلة
طى الحشا ، ساواهموا فى المطلب

قد كان ان سئل الندى يجزل ، وان
نادى الصريخ ببابه اركب : يركب

ثم سير به من « طنجة » الى « مكناسة » ، وبينما هو فى الطريق اذا
به يصادف جماعة خارجين للاستسقاء فقال (٤) :

خوجوا ليستسقوا فقلت لهم دمعى ينوب لكم عن الأنواء
فالوا : حقيقا فى دموعك مقنع لكنها ممزوجة بدماء .

ظل المعتمد بمكناسة بضعة أشهر (٥) حتى أمر يوسف باستنزاله
الى بلدة « أغمات » (٦) القريبة من مراكش ، وبينما القوم سائرون به .

خاطبه ابنه الرشيد بالآيات التالية ، وكان المعتمد قد رفض رؤية ولده
« بسبب لا تدريه » ، وكان ساخطا عليه :

يا حليف الندى ورب السماح وحبيب النفوس والأرواح
من تمام النعمى على التماحى لمحة من جبينك الوضاح
قد غنينا ببشره وسناه عن ضياء الصباح والمصباح
فرد عليه المعتمد بقوله (٧) :

كنت حلف الندى ورب السماح وحبيب النفوس والأرواح
اذ يمينى للبذل يوم العطايا ولقبض الأرواح يوم الكفاح
وشمالى لقبض كل عنان يقحم الخيل فى مجال الرماح
وأنا اليوم رهمن أسر وفقر مستباح الحمى ، مهيض الجناح
لا أجيب الصريخ ان حضر الناس ولا المعتفين يوم السماح
عاد بشرى الذى عهدت عبوسا شغلتنى الأشجان عن أفراح
فالتماحى الى العميون كريبه ولقد كان ترفة اللماح

حين بلغ المعتمد « أغمات » أخذوه الى السجن حيث عانى به أقسى
ضروب الحياة وآلامها ، وشغلت الحكومة نفسها بأمره فكانت طورا تقيده
بالسلاسل ، وطوارا تطرحها عنه ، ولكنها لم تهتم أبدا بتدبير معاشه ،
ومن ثم فقد قاسى المعتمد هنا هو وأسرته شظف الحياة ، ودفعت الحاجة
زوجيه وبناته لاحتراف صناعة الغزل ليكتسبن من ورائها ما يمسك عليهن
أودهن ، أما هو فقد كان نظم المقرئى سلواه ، وقد حدث أن أطل من
كوّة مطبقه الضيق فأبصر سربا من القطا مسرعا فى طيرانه فقال (٨) :

بكيت الى سرب القطا اذ مررن بى
سوادح لا سجن يعوق ولا كبل

ولم يك والله المعتمد حسارة
ولكن حنينا أن شكلى لها شكل
فأسرح ، لا شملى صديق ، ولا الحشا
وجيع ، ولا عيناي يبيكهما ثكل
هنثا لها ان لم يفرق جميعها
ولا ذاق منها البعد عن أهلها أهل
وأن لم تبت مثل تطير قلوبها
إذا اهتز باب السجن أو صلصل القفل

لنفسى الى لقيما الحمام تشوف
سواى يحبه العيش فى ساقه حجل
الاعصم الله القطا فى فراخها
فان فراخى خانها الماء والظل

كان المعتمد يصور فى قصائده ماضيه الأثيل وقصوره الرائعة التى
شهدت جوانبها سعادته ، وبكى فى هذه الأشعار أولاده الذين اغتالهم يد
القتل ، وقد نظم فى عيد الفطر الأبيات التالية (٩) :

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا
فساءك العيد فى أغمات مأسورا
ترى بناتك فى الأطمار جائعة
يغزلن للناس ، ما يملكن قطميرا
برزن نحوك للتسليم خاشعة
أبصارهن حسيرات مكاسيرا
يطان فى الطين والأقدام عارية
كأنها لم تطأ مسكا وكافورا
لا خد الا تشكى الجذب ظاهره
وليس الآمع الأنفاس مطورا
أفطرت فى العيد لاعادات اساءته
فكان فطرك للأكباد تفتيريا
قد كان دهره - ان تأمره - ممتثلا
فردك الدهر منهيا ومأمورا
من بات بعدك فى ملك يسر به
فانما بات بالأحلام مغرورا

لم تكن ريميكية التعيسة قد خلفت لمكابدة هذه الحياة القاسية الحافة
فانستدت بها العلة حتى خيف عليها ، وجزع المعتمد عليها جزعا بالغا اذ
لم يكن بأغمات من يجرؤ على الاقدام على معالجتها ، غير أن حسن طالعه
قيض له أن يكون بمراكش فى ذلك الحين أبو العلاء بن زهر (١٠)
« الطبيب المعروف الذى كان المعتمد قد اتخذه فى أخريات سنيه - قبل
ثل عرشه - طبيبه الخاص ، وكان المعتمد قد نزع منه أملاك أسرته (١١)
فردھا عليه المعتمد ، ومن ثم كتب اليه المعتمد يرجوه القيام بعلاج الرميكية

مما ألم بها فوعده ابن زهر بالمجى ، ودعى فى كتابه اليه بطول البقاء والأجل ، فكتب اليه المعتمد يشكره ويقول :

دعنا لى بالبقاء ، وكيف يهوى اسير أن يطول به البقاء
أليس الموت أروح من حياة يطول على الشقى بها الشقاء
أأرغب أن أعيش أرى بنانى عوارى قد أضر بها الحفاء ؟
حوادم بنت (١٢) من قد كان أعلى مراتبه - اذا أبدو (١٣) - النداء
وطرد الناس بين يدى ممرى وكفهمو ، اذا غص الفناء
وركض عن يمين أو شمال لنظم الجيش ان رفع اللواء
يعنيه أمام أو وراء اذا اختل الأمام او اللواء
ولكن الضمير اذا دعاه ضمير خالص ، نفع الدعاء
جزيت أبا العلاء جزاء بر نوى برا ، وصاحبك العلاء (١٤)

ولعل المعتمد كان يجد بعض العزاء والسلوى لنفسه فيما يجيئه من كتب الشعراء وفى زيارات من غمرهم احسانه من قبل وسخت عليهم يده ، وكان الكثيرون منهم قد رحلوا الى « أغمات » ، ومن بينهم « محمد الحجارى » الذى كان قد قال فى المعتمد شعرا نفحه من أجله قدرا كبيرا من المال استطاع به أن يفتح متجرا در عليه أخلاف النعم ، وتقيا بسببه ظل الرفاهية ، وقد اعترف المعتمد له بخطئه الجسيم اذ استدعى يوسف الى بلاد الأندلس ، وكان مما قاله له : « أنا الجانى على نفسى ، والحافر بيدي رمسى » .

ولما جاء هذا الشاعر الى وداعه وهو يتأهب للعودة الى « المرية » حيث يقيم أنكر المعتمد على نفسه أن يدعه يرحل دون أن يصله بشئ ما وان صغر ، غير أن رقة نفس الحجارى حملته على رد هديته وارتجل أمامه هذين البيتين (١٥) :

آليت لا أقبل احسانكم والدهر فيما قد عراكم مسى
ففى الذى أسلفتوا غنية وان يكن عندكم قد نسى

غير أن ابن اللبانة (١٦) كان أشد اصدقاءه اخلاصا له وتعلقا به .

فقد قدم ابن اللبانة ذات مرة الى « أغمات » يبشر المعتمد بثورة أهل الأندلس واتفاق الوطنيين منهم على القيام بمؤامرة لتقويض أركان حكم يوسف الذى لم يحبوه أبدا ، وأقضى ابن اللبانة الى المعتمد بأن القوم يدبرون احلال المعتمد مكان يوسف على العرش (١٧) . وكان حقا ما ذكره الشاعر ، فقد اشتد تبرم الطبقات المستنيرة بالحكومة واشتد سخط الناس عليها ، لكن الحكومة لم يخف عليها ما دبره الناس فأخذت حذرهما واحتاطت

لنفسها ، اذ ألقت القبض على رجيل كبير ممن يساورها الشك فيهم لاسيما في « مألقة » - الا أن المتآمرين من أهلها - وعلى رأسهم ابن خلف الوطني الكبير - اغتتموا فرصة الظلام وفروا من السجن وانطلقوا الى حصن « منت ميور » (١٨) فاحتلوه وسرعان ما انضم اليهم عبد الجبار - أحد أولاد المعتمد - الذي بقى بالاندلس مع أمه ، وكان الناس يظنونهم الراضى قتيل « رندة » فسودوه عليهم ، وسارت الأمور وفق ما يشتهون ، فقد جنحت سفينة حربية مغربية الى جوار الحصن فاستولى أهل الحصن وأخذوا ما بها من الذخيرة والمثونة والسلاح ، وانضمت اليهم في تمردهم هذا : « الجزيرة الخضراء » و « أزكش » التي ذهب اليها عبد الجبار سنة ١٠٩٥ م [= ٤٨٨ هـ] وسُن منها عدة غارات حتى بلغ أبواب عاصمة مملكة أسلافه القديمة (١٩) .

ما أن سمع المعتمد نبأ ثورة ابنه حتى اشتد به الحزن اذ أقلقه خطورة المشروع الذي هو مقدم عليه وخاف أن يلقي عبد الجبار من المصير المنكود ما لقيه معظم أولاده ، الا أن الأمل سرعان ما حل بفؤاده فاستشف من حجب الغيب امكان عودته الى بلده واستعداده عرشه (٢٠) ولم يكتف التصريح بهذا أمام أصدقائه ، من ذلك مثلا ما كنبه الى الشاعر ابن حمديس الذي كان قد عاد الى المهدية بعد زيارة قام بها الى المعتمد ، فقد بعث اليه بقصيدة استهلها بقوله (٢١) :

غريب بأرض المغربين أسير سيبكى عليه منبر وسرير
وفيها يقول :

مضى زمن والملك مستأنس به
وأصبح منه اليوم وهو نفور

فياليت شعري هل أبيتن ليلة
أمامى وخلفى روضة وغدير ؟

بمنبتة الزيتون مورثة العلا
تفتى حمام أو ترن طيور

وأحیی ابن اللبانة ميت الآمال في نفس المعتمد ، فلما كانت الليلة التي اعتزم في غداها العودة الى الاندلس جاءه منه عشرون مثقالا وثوبان ، فرد الشاعر اليه هديته وقال له (٢٢) :

رويدك سوف توسعنى سرورا اذا عاد ارتقاؤك للسرير
وسوف تحلنى رتب المعالي غداة تحل فى تلك القصور

تزييد على ابن مروان عطا. بها، وأنيف ثم على جرير
تأهب أن تعود الى طلوع فليس الخسف ملتزم البدور
وعاد المعتمد يرسف قى الأغلال بأمر يوسف اذ :

رأوه ليتنا فحافوا منه عاديه عذرهم ، فلعدوى الليث عادات.
ومع ذلك فلم يزل المعتمد يعيش وفي قلبه الأمل الريان الذى كان
هناك من يعمل على ايراقه واذكائه ، وذلك لكثرة عديده أنصار عبد الجبار ،
اولئك الأنصار الذين ألقوا بال الحكومة أشد القلقى ، وقد استطاع هذا
الحزب أن يبقى أكثر من عامين ، بل ان هذا الحزب ذاته لم يسقط الا بعد
أن قبض الموت المعتمد بعد علة طويلة لازمته وأضعفت (٢٣) قواه سنة
١٠٩٥ م [= ربيع الأول سنة ٤٨٨] ، وكان اذ ذاك فى الخمسين من
عمره (٢٤) .

دفن ملك أشبيلية الراحل فى مقبرة « أشمات » ، وحدث فيما بعد
فى أحد أعياد الفطر أن قدم الشاعر الأندلسى ابن عبد الصمد فطاف بغيره
سبع مرات طواف الحجيج بمكة ، ثم ركع وقبل الأرض التى ثوى تحتها
جثمان المحسن اليه وأنشد مرثيته فيه ، فتأثر الناس بعمله وفعلوا فعله
وهم ييكون (٢٥) .

ويقول أحد مؤرخى (٢٦) القرن الثالث عشر : « رزق المعتمد من
الناس حبا ورحمة ، فهم ييكونه الى اليوم » . والواقع أن المعتمد كان
أذيع أمراء لأندلس صيتا وأنبهم ذكرا ، لأن كرمه وشجاعته وبطولته
كانت هذه كلها كفيلا برفعه فى أعين المتحضرين الذين جاءوا بعد جيله ،
كما حزن لمصيره المنكود من رقت قلوبهم فعطفوا عليه وشجاهم خطبه .
أما العامة فقد أكبرت فيه مخاطراته المستعذبة .

واذ كان المعتمد شاعرا فحلا فقد أحبه البدو الذين يؤهلهم امتلاكهم
ناصية اللغة ومعرفتهم بجيد الشعر لأن يكونوا أصلى حكما من أهل
المدن وأولى منهم بالفصل فى هذه الناحية . ودونك ما يرويه الناس
بصد هذه المسألة ، ذلك أنه فى إحدى السنوات الأولى من القرن الثانى
عشر كان أحد أهالى أشبيلية يضرب فى الصحراء ووصل الى خيام بدو
من اللخمين فاقترب من إحدى خيامهم وطلب القرى من شيخهم الذى قرت
نفسه اذ يمارس إحدى الفضائل التى تقدرها أمته كل التقدير ، فحبا
الضيف بكرمه وعطفه ، ومضى على المسافر يومان أو ثلاثة وهو مقيم بين
اللخمين ، ثم كانت ليلة عز فيها النوم عليه فخرج من الخباء يسنروح
نسيم الليل .

كانت الليلة رائعة فاتنة ، وهبت الأنسام علية فهدأت من جيشان
نفسه ، وكان القمر فى قبة السماء الصافية الزرقة ، المرصعة بالنجوم ،
وهو وانى الحركة فى كبرياء ويرسل أشعته فيضى الصحراء الجلييلة التى
أشرفت نواحيها كأنها المرأة المصقولة ٠٠٠ والصحراء اكمل ما تكون صورة
للصمت والهدوء ، فذكر هذا المنظر الطارق الأشبيل بقصيدة كان قد
نظمها مولاه القديم فراح ينشدها وفيها يقول :

ولقد شربت الراح يسطع نورها والليل قد مده الظلام رواء
حتى تبدى البدر فى جوزائه ملكا تناهى بهجة وبهاء
لما أراد تنزهها فى غربة جعل المظلة فوقه الجوزاء
وتناهضت زهر النجوم يحفه لالاؤها فاستكمل اللالاء
وترى الكواكب كالمواكب حوله رفعت نريها عليه لواء
وحبيبة فى الأرض بين مواكب وكواعب جمعت سنا وسنا
ان نشرت تلك الدروع حنادسا ملأت لنا هذى الكؤوس ضياء
واذا تغنت هذه فى مزهر لم تال تلك على الزمان عناء (٢٧)

ثم راح الأشبيل ينشدها غيرها أطول منها كان المعتمد قد نظمها
لصرف ما فى نفس أبيه من الغضب الشديد عليه لهزيمته هو وجيشه فى
مالقة بسبب اهماله .

ما كان الأشبيل يفرغ من انشاده شعر المعتمد حتى رفع ستار الخيمة
التى يجلس مأمها ويرز اليه رجل ليس فيه الا ما يوحى بأنه شيخ قبيلته
وكذا منظره الوقور وقال له فى لهجة فصيحة سليمة العبارة مما عرف
به البدو .

« يا حضرى : حياك الله ، لمن هذا الكلام الذى اعذوذ بمورده ،
واخضل منبته ، وتحلت بقلاده الحلوة بكره ، وهدر بشقشقة الجزالة
شعره ؟ »

فأجابه : هو الملك من ملوك الأندلس يعرف بابن عباد !!

فقال الشيخ : أظن أن هذا الملك لم يكن له من الملك الا حظ يسير
وخصيب حقير ، فمثل هذا الشعر لا يقوله من شغل بشىء دونه !!

فقال الأشبيل : لقد عظمت رياسته ، واتسعت رقعته .

فسأله الشيخ : وممن الملك أن كنت تعلم ؟

فرد عليه قائلا : هو فى الصميم من لخم ، وفى الذؤابة من يعرب .

فسأله الشيخ : أتقول من لخم ٠٠٠ ويحك فلخم قبيل ؟

واستبدت النشوة بالشيخ أن يجد لقبيلته مجدا جديدا، يضبطه الى أمجادها القديمة ونادى بأعلى صوته نداء أيقظ الهاجع من هجعه ، ثم قال لقومه : « هلموا ... هلموا » .

وسرعان ما وثب الجميع على أقدامهم ، وتبادروا اليه ، فلما رآهم شيخهم قال لهم : « يامعشر قومي ، اسمعوا ما سمعته ، وعوا ما وعيته ... فانه لفخر لكم ، وشرف تلاصق بكم » .

تم التفت الى الأشبيلي وقال له : « يا حضري ... أنشد كلمة ابن عمنا » .

فاستجاب الأشبيلي لرغبة الشيخ وطرب جميع البدو من سماع هذا الشعر طرب شيخهم به ، ثم قص عليهم شيخهم ما سمعه من هذا الغريب . عن أصل بنى عباد وحلفائهم وأقاربهم منه أن نجموا من القبيلة ، فكانوا أسرة لخمية تزرع الصحراء بقطعانها ، ثم ضربت خيامها في البقعة الرملية التي تفصل مصر عن بلاد الشام ، ثم حدثهم بعدئذ عن المعتمد الشاعر المفلح . والفارس البهمة وملك أشبيلية القوى ، فلما فرغ الرجل من حديثه طفى عليهم السرور وداخلتهم العزة والكبرياء ، وركبوا من فرحتهم مشون خيولهم وجعلوا يتلاعبون عليها بقية الليل حتى شف الصباح ، وحينذاك عمه الشيخ الى عشرين من أحسن ابله دفعها هدية للطارق الغريب ، وحذا الجميع حذوه ، كل حسب قدرته ، فما كان رأد الضحى الا وعند الأشبيلي مائة بعير ، وبعد أن بالغ القوم في تعظيمه ومجاملته واکراهه كادوا أن يأبوا عليه أن يغادرهم حتى ينشد أشعار الملك السابق الذي سموه بابن عمهم وخلطوه بأنفسهم (٢٨) .

وبعد ذلك بقرنين ونصف قرن من الزمان وقد استحال أسبانيا الشكاكة الى بلد متعصب حدث أن خرج أحد الحجاج حاملا عصاه ومسبحته ، وعبر مملكة مراکش للقاء نساكها وزيارة الأماكن المقدسة بها .

أما هذا الحاج فهو « ابن الخطيب » كبير وزراء غرناطة الذي ما كاد يصل الى بلدة « أغمات » الصغيرة حتى اتجه الى مقبرتها حيث يرقد المعتمد وزوجته تحت آكمة علاها شجر العناب ، فلما أبصر ابن الخطيب قبريها وقد بانث عليهما هيئة التغرب ومعاناة الخمول لم يستطع أن يمسك دمه ، وارتجل هذه الأبيات :

قد زرت قبرك عن طوع بأغمات
رأيت ذلك من أولى المهمات

لم لا أزورك يا أندى الملوك يدا
ويا سراج الليالى المدلهيات
وأنت من لو تخطى الدهر مصرعه
الى حياتى لجادت فيه أبياتى
أنساف قبرك فى هضب يميزه
فتحته كم حفيات التحيات
كرمت حيا وميتا ، واشتهرت علا ،
فأنت سلطان أحياء وأموات
ما كان مثلك فى ماض ، ومعتقدى
أن لن يرى الدهر فى حال ولا آتى (٢٩)

★ ★ ★

حواشي الفصل الأول

(١) كانت المييرة حتى ذلك الوقت عاصمة هذه الولاية ، غير أن ما أصابها من جراء الحروب الأهلية دفع أهلها للهجرة منها والتماس سبل الحياة في غرناطة سنة ١٠١٠ م (= ٤٠٢/٤٠١ هـ) .

(٢) راجع ابن حيان في الذخيرة ، ج ١ ورقة ١٥٧ ، ب ، وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ص ١٩٤ - ١٩٦ ، وعبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٤٢-٤٣ ، وترجمته ص ٥١ - ٥٢ .

(٣) راجع ابن حيان في الذخيرة لابن بسام ، ج ١ ورقة ١٢٩ ، وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٢٤-١٢٥ ، ١٩٦ .
Abbad., t. II, p. 32, 208.

Dozy : Abbad., t. I, p. 221.

(٤)

(٥) راجع ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ص ١٩٥ ،
Abbad., t. I, p. 220; Cf. aussi Caussin de Perceval : Essai sur l'histoire des Arabes avant l'istami me, t. II, p. 212, 422.

(٦) كان « عباد » هو الجد الرابع لاسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن قريش بن عباد .

(٧) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ص ١٩٣ ، ١٩٤ .
Abbad., t. I, pp. 220, 381 et suiv. et t. II, p. 173.

Cf. Abbad., t. I, p. 221.

(٨)

(٩) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٦٥ ، وترجمته ص ٧٩ - ٨٠ .
Abbad., t. I, p. 22.

Abbad., t. I, p. 22.

(١٠)

(١١) جرت عادة الأسبان والبرتغاليين على ابدال حروف « الحاء » العربي بحرف «^h» اللاتينيين ، انظر في ذلك :
Dozy : Glossaire sur Ibn Idhari, p. 23.

ونحب أن نشير هنا الى انه يوجد على ضفة الراين اليعنى وعلى مقربة من « كوب »
Hesseln هما حصن ليينشتين Liebenstein وحصن شتين بيرنج Sternberg
ويسمان بالآخوين Die Brüder

(١٢) ورد خبر فتح « بازو » على يد موسى بن نصير في المقري : فتح الطيب
ج ١ ، ص ١٧٤ .

(١٢) الطاهر أن « سيسناند » Sisenand الذى يشير اليه راهب « سيلوس » فى حولياته Chron du moine de Silos, c. 90. والذى أصبح حاكم « قنبرة » بعد أن ترك العمل فى بلاط المعتضد الى بلاط « فرديناند » الاول أقول الطاهر أنه كان أحد نصارى حصنى الأخوين ..

(١٤) Abbad., t. I, p. 7. ويرى المؤرخ العربى هذه القصة فى معرض حديثه عن المعتضد بن القاضى ، وهذا وهم منه .

(١٥) انظر فى ذلك Dozy : Abbad., t. II, p. 216. أما المؤرخ المسلم ابن خلدون فيخطئ اذ يذكر فى هذا المجال المعتضد بدلا من أبيه القاضى .

(١٦) ذهب الزبيدى أولا الى القيروان ، ثم مضى منها الى المرية حيث أصبح قاضى

الجماعة بها ، انظر : Dozy : Abbad., t. I, p. 234, note 49.

Dozy : op. cit., p. 223. (١٧)

(١٨) راجع فى ذلك Dozy : Abbad., t. I, p. 223-225. ويورد ابن خلدون ايضا فى نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٢٠٩ - ٢١٦ ، بعضا من هذه الحوادث ، لكنه يخطئ فيضع اسم « المعتضد » بدلا من اسم أبيه القاضى .

(١٩) راجع ابن حيان فى الذخيرة ، ج ١ ، ورقة ١٨١ - ب ، ١٨٢ .

(٢٠) راجع عبد الواحد المراكشى . المعجب ، ص ٣٧ ، ٣٨ ، وترجمته ص ٤٥-٤٦ .

Dozy : Abbad, t. I, p. 222.

Abbad., t. II, pp. 127, 128. (٢١)

Ibid., t. II, p. 34. (٢٢)

Ibid., t. I, p. 222 ; t. II, p. 34. (٢٣)

Abbad., t. II, p. 34. (٢٤)

(٢٥) راجع ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٩٧ وما بعدها ، وكذلك : Abbad t. I, p. 222.

(٢٦) راجع ابن حيان فى الذخيرة لابن بسام ، ج ١ ص ١٨١ ، ب .

Abbad., t. II, p. 34. (٢٧)

(٢٨) Ibid., t. I, p. 222; t. II, p. 34. وهناك فريق من المؤرخين يزعمون أن

يحيى مات سنة ٤٢٧ هـ ، على حين يذهب غيرهم للقول بأنه مات عام ٤٢٩ هـ ، ويتضح لنا من رواية ابن حيان أن القول الاول اصح القولين ، ذلك أن هذا المؤرخ - وقد نقل ذلك عنه ابن عذارى فى البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٨٨-١٨٩ ،

يذكر العبارات الخاصة التى قالها جندى من جنود البربر هو أبو الفتح (أو أبو الفتح) البرزالى الذى كان بين جماعة عانت الى اشبيلية فى عيد اضحى سنة ٤٢٦ هـ ، وقد خرج فى « الحرم من سنة سبع وعشرين وأربعمائة » واشترك فى الحرب التى شنها

جند أشبيلية ضد يحيى قرب أسوار « قرمونة » ، وقد انتهت هذه الواقعة بقتل يحيى ، وعلى هذا لأساس لا يوجد شك فى السنة بل ولا فى الشهر الذى مات فيه هذا الأمير ، ولكننا لسنا واتقين من اليوم الذى مات فيه . غير أن عبد الواحد المراكشى يقول « كان ذلك يوم الأحد لسبع مدين من محرم أعمى فى اليوم الثامن منه سنة ٤٢٧ هـ ، وهذا اليوم الثامن هو يوم الثلاثاء وليس يوم الأحد . أضف الى هذا أن رواية ابن حيان تذهب للقول بأن هشاماً الثانى بويج خليفة من جديد بقرطبة « فى شهر المحرم سنة ٤٢٩ هـ » . أما ابن الأثير (كما هو وارد فى *Abbad., t. II, p. 34, l. 0.*) فيقول « كان ذلك فى شهر المحرم ٤٢٧ هـ » وذلك لأن جهور رضى بهذا مخافة أن يهاجمه يحيى (انظر *Abbad t. I, p. 222.*) ومن ثم كان من الضرورى أن يكون قد قام بذلك قبل موت هذا الأمير . وقد أخطأ ابن خلدون خطأ كبيراً فى كلامه عن الدور الذى لعبه محمد بن عبد الله أثناء هذه الحقبة » .

(٢٩) راجع ابن حيان فى الذخيرة لابن بسام ، ج ١ ، ورقة ١٨١ ، ١٨٢ ، وابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٨٨-١٨٩ ، وعبد الواحد المراكشى . المعجب ، ص ٢٨ ، ٤٣ ، وترجمته ص ٤٦ ، ٥٣ ، وانظر أيضاً الحاشية السابقة وكذلك : Dozy : *Abbad., t. II, p. 33.*

(٣٠) راجع عبد الواحد المراكشى : المعجب ، ص ٤٣ ، ٤٥ ، وترجمته ص ٥٣ ، ٥٥ .

(٣١) راجع ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ١٥٩ .

(٣٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١٥٤ ، وانظر الكتاب الذى بعثه « زمير » الى أهل قرطبة ، وهو من تأليف وزيره ابن عباس .

Abbad., t. II, p. 34.

(٣٣)



حواشى الفصل الثانى

Munk (Journ. Asiat., IV eme serie), t. XVI, pp. 203; 205 ; H. (١)

Graetz : Les Juifs d'Espagne, trad., G. Sterne, Paris 1872, p. 129 et : uiv.

Cronica de Moro Rasis, p. 38 ; Cf. Ency. of Islam, t. II, 187. (٢)

(٣) راجع ابن حيان فى الذخيرة لابن بسام ، ج ١ ورقة ١١٢٢ .

Dozy : Introd. à la Chronique d'Ibn Adhari, p. 97. (٤)

Ibid., pp. 96, 97. (٥)

Cf. Journ. A iat, loc. cit., p. 209 dans la note. (٦)

وقد زاد الشاعر فى مدحه زيادة أخرجه عن جادة الاسلام ، فشبّه كفيه - معاذ الله - بالركن ، ثم لج فقال بيتا يباعد بينه وبين الحنيفية ، وما نحسب ما قاله هذا الشاعر فى مدح صمويل الا هندسوسا عليه .

Journ. Asiat., loc. cit., pp. 222-224. (٧)

Ibid., p. 209. (٨)

Dozy : Introd. a la Chronique d'Ibn Adhari, pp. 96, 97. (٩)

Journ. Asiat., loc. cit., p. 212, note I. (١٠) ذكر موسى بن عزرا فى

أن اسمه هو ابن ابي موسى ، وفى الواقع أن هذا هو الاسم الذى يخلعه الحميدى على ابن بقة .

Abbad., t. II, p. 34. (١١)

(١٢) كان من بين الأسرى ابن حزم وابن الباجى صاحب ديوان الرسائل وغيرهما ،

راجع ابن بسام : الذخيرة ، طبعة جامعة القاهرة ، القسم الاول ، المجلد الثانى ، ص ١٧٠ ، وحاشية رقم ١٤ - (المترجم) .

(١٣) فيما يتعلق بهذه الأحداث راجع ما ورد عن ابن حيان فى الذخيرة لابن بسام ،

ج ١ ص ١٧١ - ١٧٥ (وفى طبعة جامعة القاهرة ، ص ١٦٦ - ١٨٠) ، وابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ، ص ٣٢٧-٣٢٩ مادة : « زهير » ، ص ١٢٩-١٣٢ ، مادة : « أبو جعفر أحمد بن عباس الانصارى » . وانظر ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٦٨ وما بعدها ، والمقرئ : نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٣٥٩ - ٣٦٠ ، Abbad., t. II, p. 34.

(١٤) انظر ما نقله موتك عن ابن عذارى فى الجريدة الاسبوعية ، ص ٢١٢ ، وفى

هذه العبارة يجب أن نقرأ كلمة « انشد » بضم الهمزة وكسر الشين ، أى مبنية للمجهول كما فعل موتك .

حواشي الفصل الثالث

(١) Dozy Recherches, 3eme ed., t. I, p. 241.

(٢) Abbad., t. I, p. 51.

(٣) فيما يتعلق بأبي الفتوح راجع مقالة ابن الخطيب في الاحاطة ، ج ١ ص ٢٨٥-٢٨٧ ، وفيها ما ذكره السيوطي في بغية الرعاة والجميدى . راجع ايضا ما كتبه الضبي في بغية الملتبس (طبعة كودرا) عن مجاهد ، ص ٤٥٧-٤٥٩ ، رقم ١٣٧٩ .

(٤) راجع الاحاطة ، ج ١ ، ص ٢٨٧ .

(٥) راجع عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٤٤ ، ٦٥ ، وترجمته ص ٥٤ ، ٦٠ . وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ص ٢٠٢ ، وابن الخطيب : الاحاطة ، نفس الجزء والصفحة ، و . Dozy : Abbad., t. II, pp. 33, 34, 207, 217.

(٦) راجع الاحاطة لابن الخطيب ، ج ١ ، ص ٢٨٧-٢٨٨ .

حواشي الفصل الرابع

- (١) ورد هذا التارج في الذخيرة لابن بسام ، ج ١ ص ٢٢٤ .
- (٢) ويسميه عبد الواحد المراكشي في المعجب ، ص ٤٧ ، وترجمته ص ٥٧ يعوسى بن عفان السبتي .
- (٣) لم يعد لهذه الناحية اليوم وجود فقد اندثرت ، واندثرت معالمها .
- (٤) هكذا أورده دوزي في الأصل الفرنسي ، وقد ورد بهذا الرسم أيضا في ابن عذاري . البيان المغرب ، ج ٣ ، لكن عبد الواحد المراكشي يسميه « سكات » في المعجب ، طبعة مصر ، ص ٤٥ - (المترجم) .
- (٥) يزعم ابن خلدون انه ذهب بعد ذلك الى « كمارش » وأحسب أن الحميدى أولى بالتصديق منه .
- (٦) فيما يتعلق بهذا الوزير راجع ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ص ٢٦٧ مادة ، « بلجين بن باديس » .
- (٧) فيما يتعلق بالأحداث الواردة في هذا الفصل راجع على الأخص ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢١٦-٢١٧ ، ٢٨٩-٢٩٢ ، وانظر أيضا عبد الوهاب المراكشي : المعجب ، ص ٤٥-٤٩ وترجمته ، ص ٥٤-٦٠ ، وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ص ١٥٤-١٥٥ ، والمقري : نفع الطيب ، ج ١ ص ١٣٢ ، ٢٨٢-٢٨٤ .

حواشى الفصل الخامس

- (١) Dozy Abbad., t. I, p. 245, t. I, p. 48.
- (٢) Abbad., t. I, p. 245. وابن عذارى . البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٨٥ .
- (٣) Abbad., t. I, p. 243.
- (٤) Abbad, op. cit., loc. cit. ، وانظر قصيدة المعتضد فى نفس المرجع ، ص ٥٢ .
- (٥) Abbad., t. I, p. 244.
- (٦) Abbad., t. I, p. 243.
- (٧) هذه القصة واردة فى عبد الواحد المراكشى : المعجب ، ص ٦٨-٧٠ ، وترجمته ص ٨٢-٨٥ .
- (٨) راجع عبد الواحد المراكشى : المعجب ، ص ٦٧ - ٦٨ ، وترجمته ص ٨٢-٨٣ .
- (٩) Abbad., t. I, p. 243-244. ، وابن عبد الواحد المراكشى . المعجب . ص ٦٧ ، وترجمته ص ٨٢ ، وابن بسم : الذخيرة ، ج ١ ، ص ١٠٩ ب ، وابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١٠٩ ب ، وابن عذارى . البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٠٦ .
- (١٠) Abbad., t. II, p. 52.

حواشي الفصل السادس

Abbad., t. I, p. 242.

(١)

Ibid., t. I, p. 251 ; t. II, p. 60.

(٢)

Ibid., t. II, p. 209, 218.

(٣)

(٤) ابن حيان في ابن بسام : الذخيرة ، مجلد ١ ، ورقة ١١٠٩ ، هذا وقد ورد نفس الكلام في ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢٣٥ ، أما ابن خلدون (كما ورد في Abbad., t. II, p. 217. فيسمى هذا الأمير بعبد العزيز ، ويلاحظ أنه في القطعة الواردة في ذيل الجزء الثالث من البيان المغرب ، ص ٢١٢ يقول كاتبها أن خليفة محمد القرموني هو ولده « عزيز » ، وقد تم لأخيه اسحق الأمر .

Abbad., t. II, p. 211.

(٥)

(٦) المقصود بذلك المعتضد صاحب أشبيلية .

Abbad., t. I, p. 247-8.

(٧)

(٨) راجع ابن حيان في الذخيرة لابن بسام ، مجلد ١ ورقة ١٠٨ ب - ١١٠٩ ، وابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٣٥ . وراجع أيضا قصيدة ابن زيدون الواردة في الذخيرة ، ج ١ ص ٩٩ ب .

Abbad., t. I, pp. 248-249.

(٩)

Ibid., t. I, p. 252.

(١٠)

(١١) Ibid., t. I, pp. 252-253. وراجع أيضا ابن الأبار في :

Dozy : Recherches, 1ere ed., t. I, p. 286.

(١٢) راجع ابن الأبار . الحلة السيرة ، ص ٥١-٥٠ .

(١٣) راجع ابن بسام : الذخيرة ، ج ٢ ، مادة « ابن حمار » .

(١٤) حفظ ابن خاقان لنا في كتابه « قلاند العتيان » (طبعة باريس ، ١٨٦٤ ،

ص ٢٠٧) صورة كتاب منسوب لأبي محمد بن عبد البر عن أخذ « شلب » ويزعم ابن خاقان أن ابن عبد البر قد كتب هذه الرسالة إلى المعتضد بأمر الموفق أبي الجيوش ، ويقصد به « مجاهد » أمير « دانية » . غير أن مجاهدا هذا مات سنة ٤٣٦ هـ ، على حين أن الاستيلاء على « شلب » ثم سنة ٤٤٢ هـ ، أو في السنة التالية لها ، ومن ثم فيجب أخذ هذا الخطأ في الاعتبار فيما يورده ابن خاقان ، وليس هناك شك في تاريخ الاستيلاء على « شلب » وأنه قد تم بعد فتح « لبلبة » و « ولبة » سنة ٤٤٢ هـ ، انظر في ذلك :

Abbad., t. I, p. 252, et cf. II, p. 210).

= وقبل فتح شنت مرية سنة ٤٤٤ هـ ، انظر في ذلك السطر الأخير من صفحة ٢١٠ من الجزء الثاني من المرجع السابق ، وكذلك ص ١٢٢ ، ومن ثم فإن المعتمد الذي لم يولد إلا سنة ٤٢١ هـ لم يكن قادرا على قيادة جيش أبيه قبل سنة ٤٣٦ هـ ، وهي السنة التي مات فيها مجاهد ، وعلى هذا الأساس يجب أن نقول أن ابن خاقان لابد أنه كان يقصد عليا خليفة مجاهدا وابنه أو أميرا آخر سواء .

(١٥) راجع . Abbad., t. II, pp. 123, 210, 211. والمحق الوارد في البيان المغرب ، ج ٢ ص ٢٨٨ - ٢٨٩ ، أما التاريخ الذي يذكره ابن خلدون فهو تاريخ مغلوط ، ويرجع عليه ما ذكره ابن الأبار .

(١٦) هؤلاء الأمراء الثلاثة الذين يشير إليهم المؤلف دوزى في المتن هم أبو نورة بن أبي قرّة ، ومحمد بن نوح النمرى ، وعبدون بن خزون .

(١٧) راجع ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ص ٢٧١ ، وقد مات بمثل هذه الطريقة كثير من الخصيان وحرس أحد الأمراء الأغالية ، راجع أيضا نفس المرجع ، ج ١ ص ١٢٧ وترجمته ص ١٧٨ .

Abbad., t. II, p. 14. (١٨)

(١٩) وردت خلاصة هذه الحوادث في فقرة لابن بسام ذكرها المؤلف « دوزى » في : Abbad., t. I, pp. 250-251. مع ورود بعض أخطاء قافية ، كذلك يذكر النويرى (انظر . Abbad., t. II, pp. 129-130. بضع حقائق هامة تتعلق بهذا الموضوع ، غير أنه أخطأ إذ قال « قرمونة » بدلا من « رندة » . وأن ما يرويّه ابن خلدون (شرحه ، ج ٢ ص ٢١٠ ، ٢١٤-٢١٥) من الروايات ليظهر فيه الاضطراب وعدم الثبات لاسيما فيما يتعلق بالاسماء والتواريخ . انظر أيضا ابن خلدون في مقدمة كتاب البيان المغرب لابن عذارى ، ص ٨٦ ، وابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ص ٢٧٠ .

Abbad., t. I, p. 248. (٢٠) ويلاحظ أن البيتين الأولين واردان في المقرئ ، على حين اقتصر ابن عذارى في بيانه المغرب على ذكر البيت الأول وحده .

حواشي الفصل السابع

(١) انظر ابن حيان في مقدمة تاريخ ابن عذارى ، ص ٨٦ - ٨٨ ، وابن الخطيب :
الإحاطة ، ج ١ ص ٢٧٠-٢٧١ .

Abbad., t. II, p. 210. (٢)

(٣) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٨٠ من الأصل (= ص ٧١ من الطبعة
المصرية) وابن خاقان : قلائد العقيان (طبعة باريس) ١٨٦٤ ، ص ٩٨-١٠٠ ، مادة
« ابن عمار » .

Abbad., t. II, p. 210. (٤)

(٥) Abbad., t. I, p. 249, t. II, p. 207. وابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ،
ص ٢٢١ ، ٢٤٣ ، وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١٥٥ .

(٦) Abbad., t. I, p. 250; t. II, p. 6. وعبد الواحد المراكشي : ص ٦٦ ،
وقد أخطأ هذا المؤلف في ذكر التواريخ .

(٧) هذا التاريخ مطابق لما جاء في مخطوطة « جيانجوس » في عبارة لابن حيان ،
انظر نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٢٥٦ .

(٨) يمكن للقارئ مراجعة ما يتعلق بمؤامرة اسماعيل بن عباد في دوزي
Dozy : Abbad., t. I, pp. 253-259. وابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ،
ص ٢٤٤ وما يليها . ونزيد على ما أورده المؤلف بأن المعتضد حاول أن يبرر قتله لولده ،
وذلك في كتاب طويل .

Abbad., t. I, pp. 51-54, 301-302; t. II, pp. 60, 63-65. (٩)

وراجع أيضا ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ص ٢٨٣-٢٨٥ .

Journ. Asiat., IV eme serie, t. XVI, pp. 210-217, 220. (١٠)

ودوزي في مقدمته لابن عذارى : البيان المغرب ، ص ٩٩-١٠٢ وابن الخطيب :
الإحاطة ، ص ٢٧٢-٢٧٣ ، وانظر أيضا :

Dozy : Recherches, 3eme ed., t. I, p. 282 eq.

والملحق به رقم ٢٦ ، ص ٥١-٥٨ وما قاله ابن الخطيب عن الشاعر اسحق الألبيري
في الإحاطة . كذلك توجد مادة جديدة كل الجدة في الذخيرة لابن بسام ، ج ١ ص ٢٠٠ ب -

٢٠١ ب ، وراجع أيضا ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢٦٤-٢٦٦ .

حواشي الفصل الثامن

(١) Chronique du moine de Silos (Espagna Sagrada) t. XVII, c. 91-93, cf. Cronic. Compestellanum (Ibid., t. XXIII), p. 327.

(٢) يسميه اسقف سيلوس "Grandaevus"

(٣) Dozy : Recherches, 3 eme ed., t. I, p. 104 et note I.

(٤) أورد Abbad., t. II, p. 152-153 قصيدة للمعتقد تبين مدى إيمانه ، ويصور فيها الناس وقت ذهابهم لصلاة الصبح يقول فيها :

اشرب على نور الصباح وانظر الى نور الافاض
واعلم بانك جاهل ما لم تصل بالاصطباح

(٥) خبر هذه الوفادة وارد في حوليات أسقف سيلوس ، في : Esp. Sagr., t. XVII, c. 95-100.

(٦) Chron. du moine du Silos, c. 87, 90, Cron. Complutence (Esp. Sagr., t. XXIII,) p. 317-318.

أما فيما يتعلق بتاريخ الاستيلاء على « قنيرة » فراجع : Ribeiro : Dissertações Chronologicas e critica.

(٧) فيما يتعلق بهذه الواقعة راجع ابن بسام : الذخيرة (الصفحة الأخيرة من مخطوطة جوتة) ، وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ص ٢٥٢-٢٥٣ ، والمقرئ : نفع الطيب ، ج ١ ص ١١١ ، ج ٢ ص ٧٤٨ - ٧٤٩ .

(٨) انظر ما جاء به دوزي في : Op. cit., t. II, pp. 335-353. حيث يحاول البرهنة على أن قيادة هذه الحملة كانت موكولة الى الفارس النرمندي ، وليم دي مونتريل ، الذي ذهب الى ايطاليا حوالي منتصف القرن الحادي عشر وانخرط في خدمة البابوات ، ثم أصبح قائدا عاما للقوات الرومانية ، وتبعاً لما يذكره « ايميه » اسقف مونت كازينو في كتابه

L'ysloire de li normant, L. I, cap. 3-8, ed. Champollion فان القائد كان « روبرت كرسبين » الذي جمع مسيو هرش بعض التفاصيل عنه في كتابه : Furschungen zur Deutsche Geschichte, t. VII, pp. 282 283. لكن لو كان هذا الاستثناء صحيحا فانا لا نستطيع تفسير لقب « قائد فرسان رومة » الذي منح له ابن حبان - وقوله حجة - على القائد المنار اليه والذي ينطبق تمام الانطباق على « وليم دي مونتريل » وليس على « روبرت كرسبين » ، ويمكن للقارئ بالاضافة الى المراجع العربية المذكورة في : Dozy Recherches عن مسألة الاستيلاء على « بويسترو » ان يراجع ايضا ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢٢٥ وما بعدها ، وكذلك مقال « المحوس » في دائرة المعارف الاسلامية .

- (٩) راجع النصوص الواردة في . Dozy : Recherches, pp. XLVI-L.
- (١٠) Chron. du moine de Silos, c. 105, 106.
- (١١) Abbad., t. II, p. 216. 219, 220.
- (١٢) Abbad., t. I, pp. 251-252. , وعبد الواحد المراكشي : المعجب ,
ص ٧٠ ، وترجمته ص ٨٦ ، راجع أيضا ، صفحة ٦٢ من نفس المصدر في الطبعة المصرية .
- (١٣) Abbad., t. II, pp. 61-62. ، وراجع أيضا ابن عذارى : البيان
المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٨٣-٢٨٤ .

حواشى الفصل التاسع

- (١) راجع عبد الواحد المراكشى : المعجب ، ص ٧٩-٨١ ، وترجمته ص ٩٦-٩٨ . وكذلك ابن بسام فى الذخيرة ، Abbad., t. II, p. 88 .
- (٢) تكاد القدرة على الشعور تكون طبيعية ركبت فى جميع اهل « شلب » حتى نلاحظهم . راجع فى ذلك القزوينى : عجائب الآثار (طبعة مستنقذ) ، ج ٢ ، ص ٣٦٤ .
- (٣) راجع قصيدة المعتمد عن شلب وهى التى سنورده بعضاً منها فيما بعد .
- (٤) Abbad., t. I, p. 384.
- (٥) عبد الواحد المراكشى : المعجب ، ص ٨١-٨٢ (وفى الطبعة المصرية ، ص ٧٣) . وترجمته ص ٩٩ - ١٠١ حيث يروى القصة على لسان ابن عمار نفسه ، هذا وقد ذكر ابن بسام فى الذخيرة أنه سمعها من كثير من وزراء اشبيلية الذين ادرکوا المعتمد ، انظر ايضا : Abbad., t. II, p. 120.
- (٦) Abbad., t. II, pp. 150-151 ; p. 225-226.
- ولم يلقب ابو القاسم بالمعتمد الا بعد زواجه من الريميكية . وهذا اللقب منظور فيه الى كلمة « اعتماد » ولم تكن له كنية يعرف بها من قبل ، انظر فى هذا : Abbad., t. II, p. 69.
- وقارن هذا بما جاء فى نفس المرجع ، ص ٦١ ، كذلك راجع فهرست الجزء الثالث من البيان المغرب لابن عذارى .
- (٧) Abbad., t. II, p. 234.
- (٨) El Conde Lucanor.
- (٩) Abbad., t. II, p. 152-153.
- (١٠) Abbad., t. II, p. 151.
- (١١) Abbad., t. II, p. 68.
- (١٢) Abbad., t. II, p. 88.
- (١٣) عبد الواحد المراكشى : المعجب ، ص ٧٧ ، ٨١ ، وترجمته ص ٩٥ ، ٩٩ . وهناك دواية اخرى واردة فى Abbad., t. II, p. 105. تزعم ان ابن عمار قد عاد الى البلاط فى حياة المعتمد ، ولكنها رواية يظهر فيها الاختلاق والخطأ .
- (١٤) عبد الواحد المراكشى : المعجب ، ص ٨٢ ، وترجمته ص ١٠١ .
- (١٥) Abbad., t. I, p. 39, 84.
- (١٦) المراكشى : المعجب ، ص ٨٠ ، وترجمته ص ٩٧ - ٩٩ .
- (١٧) المراكشى : نفس المرجع ص ٨٢ - ٨٣ ، وترجمته ص ١٠١ .

حواشي الفصل العاشر

Abbad., t. II, p. 148. (١)

Ibid., op. cit., loc. cit. (٢)

Ibid., t. II, p. 148. (٣)

Abbad., t. II, p. 224-225. (٤)

(٥) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٧٣ وترجمته ص ٨٩ .

Abbad., t. I, p. 392. (٦)

(٧) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٧٣ ، وترجمته ص ٨٩ .

(٨) Abbad., t. I, p. 388. وفي هذا المعنى يقول :

سأستألف ربي أن يديم بي الشكوى

لقد قربت من مصمعي الرشأ الأحرى

إذا علة كانت لقربك علة

تمنيت أن تلقى بحسبي وأن تقوى

(٩) راجع ابن حيان في الذخيرة لابن بسام ، ج ١ ص ١٥٨ ب - ١٥٩ ، وابن عذاري . البيان المغرب ، ج ٣ ص ٢٥٥-٢٥٦ .

(١٠) راجع ابن بسام : الذخيرة ، مجلد ١ ، ورقة ١١٥٩ - ١١٦٠ ، وابن حيان في نفس المرجع ، ورقة ١١٦٠ - ب ، وقصيدة ابن القصيري الواردة في ابن الخطيب : الاحاطة (مخطوطة باريس) ورقة ١١٥١ ، ب ، وانظر ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢٦١-٢٥٩ ، وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١٥٩ . ويخطيء ابن خلدون إذ يقول أن استيلاء المحتمد على قرطبة كان سنة ٤٦١ هـ ، لأن ابن بسام يقول أن هذا الاستيلاء تم قرب سنة ٤٦٢ هـ . كذلك يخطيء فيما يؤكد أنه أن أبا الوليد مات قبل هذه السنة . وقد وقع في نفس الخطأ عبد الواحد المراكشي . المعجب ، ص ٤٣ وترجمته ص ٥٢ .

Abbad., t. I, p. 46. (١١)

Abbad., t. I, p. 322; Lucas de Tuy, Chronicon Mundi, p. 100 (١٢)

Abbad., t. I, pp. 46-48, 322-324 ; t. II, p. 35, 122. (١٣)

Ibid., t. II, pp. 16, 122, 162. وهب الوارد المراكشي : المعجب ، = (١٤)

ص ٩٠ ، وترجمة ص ١١٠ ، ويذكر ابن خلدون في العبر في الفصل الذي عقده لبئر
جهور (ج ٤ ، ص ١٥٩) أن المتمد استرد قرطبة عام ٤٦٩ هـ ، لكنني أرى أن
من الخير أن نتبع ما قاله عبد الواحد المراكشي الذي ينص على اليوم والشهر .

Chronicon Compostellanum (Esp. Segr. t. XXIII), p. 327. (١٥)

Abbad. t. II, p. 89. (١٦)

(١٧) راجع عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٨٣ - ٨٥ ، وترجمته ص ١٠١-١٠٢ ،
ويذكر Gassala : Discurso Historicos de Murcia, p. 118.

أن أبا عبد الله لعب الشطرنج ذات يوم مع « بدور هجاردر » - حاكم لارقة ، وقد راهن
الاسباني على لارقة والمغربي على المرية ، فكسب الأخير الرهان ، إلا أن « بدور » نكث
بعهده ولم يوف به .

حواشي الفصل الحادى عشر

- (١) راجع ابن الأبار : الحلة السرياء ، ص ١٨٨-١٨٦ .
- (٢) Abbād., t. II, p. 33. ، وابن الأبار : الحلة السرياء ، ص ١٨٦ .
أما التاريخ الوارد فى Abbād., t. II, p. 87. وهو سنة ٤٧٤ هـ فخطأ .
- (٣) Abbād., t. II, pp. 86, 91- 94.
- (٤) Ibid., t. II, p. 36. ولعل ما كان الناس يسمونه اذ ذاك بحصن بلع هو المعروف باسم "Valez-Rubio" .
- (٥) Abbād., t. II, p. 86-87.
- (٦) يشير نهذى فى المتن اعلاه الى قصيدة لابن عمار يقول فيها :
ولا تلتفت قول الرشاة ورأيهم فكل اناء بالذى فيه يرشح
وقوله أيضا فى القصيدة ذاتها :
وماذا عسى « الواشون » أن يتزيدوا سوى أن ذنبى وأضح متصحح
(الترجم)
- (٧) هو ابن الشاعر الفحل ابي الوليد بن زيدون - (المترجم) .
- (٨) ابن الأبار : الحلة السرياء ، ص ١٨٩ .
- (٩) يقوم حصن « اقوط » هذا على مسيرة فرسخ من « مرسية » ، ولا تزال أطلالا
هذا الحصن باقية الى يومنا هذا .
- (١٠) Abbād., t. II, p. 87.
- (١١) جاء ترتيب هذه الأبيات فى الأصل الفرنسى على غير هذا النسق ، وانما الترتيب
فى المتن : هنا هو الوارد فى المرجع العربى وكما نظمه ابن عمار - (المترجم) .
- (١٢) يقصد ابن عمار بذلك نفسه - (المترجم) .
- (١٣) المقصود بذلك المعتمد - (المترجم) .
- (١٤) المقصود بذلك ابن رشيق - (المترجم) .
- (١٥) وذلك فى أكتوبر سنة ١٠٨١ م .
- (١٦) Abbād., t. II, p. 108-110. ، وابن بسام : الذخيرة ، مادة « ابن عمار
وعبد الواحد المراكشى : العجب ، ص ٨٥-٩٠ ، وترجمته ص ١٠٣-١١٠ .

حواشي الفصل الثاني عشر

Abbad., t. II, p. 20.

(١)

(٢) راجع ما ورد عد. Abbad., t. II, p. 17. وهناك حوليات عربية بلسية مترجمة في مجموعة Chronica general fol. 39, col. 384, وانظر ابن أبي زرع .

Rodrigue de Toledo, t. VI, p. 23. . وروى القرطاس ، ص ١٠٩ خ وكذلك .

(٣) يسميه النويرى بشليپ دون ذكر كلمة « ابن » - (المترجم) .

Abbad., t. II, pp. 231, 187, 174.

(٤)

وهذه القصة قائمة علي رواية ابن اللبانة ، وهي رواية لا يمكن الشك في صحتها ، وكان ابن اللبانة أحد شعراء قصر المعتمد . كذلك يذكر هذا المؤلف أنها حدثت سنة ١٠٨٢م على حين يخطيء غيره من المؤرخين فيذكرون أنها جرت عقب استيلاء الفونس على طليطلة . أما عبد المنعم الصميري : صاحب الروض المطار فيروى قصة مختلفة عن هذه القصة كل الاختلاف ، راجع ذلك لى . Abbad., t. II, pp. 233-239.

(٥) يذهب بلاج الى أن هذه المدينة كانت من المدن التي فتحها الفونس ، انظر : Pelage Avildo (Esp. Sagr.), t. XIV, c. 11.

Abbad., t. II, p. 175, 231, 286.

(٦)

(٧) Ibid., t. II, pp. 8, 193 (note 27). . وابن أبي زرع . روى القرطاس ، ص ٩٢ ، أما التاريخ فهو سنة ١٠٨٢ م كما هو وارد في المرجع الأخير . أما مؤلف الحلل الموشية كما ورد في Abbad., t. II, p. 188 . فقد وهم إذ اعتبر الحادث سنة ١٠٨٤ .

(٨) لم يترجم دوزى في الأصل الفرنسي نص المعاهدة كما أوردها كاملا في المتن أعلاه لتتضح الصورة أمام القارئ - (المترجم) .

Abbad., t. II, p. 18.

(٩)

(١٠) Abbad., t. II, p. 19. وابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢١١ .

(١١) Dozy : Recherches, Seme ed., t. II, p. 115-122. ، ويلاحظ أن هذه البيانات الأخيرة واردة في 3. col. 336, fol. 2, col. 315, fol. Cronica general. وللى ابن الكردبوس : كتاب الاكتفاء (الأصل والترجمة) .

(١٢) Abbad., t. II, p. 21. . وابن أبي زرع : روى القرطاس ، ص ٩٢ .

وابن خلدون (العبر) الترجمة الفرنسية ، ج ٢ ، ص ٧٧ .

Annales Toledanus (Esp. Sagr.) t. XXIII, (sous l'an 1098). (١٣)

(١٤) ابن الخطيب : الاحاطة (مخطوطة الاسكوريال) ، مادة « مقاتل » .

Abbad., t. II, p. 20. (١٥)

(١٦) راجع المقرئ . نفع الطيب ، ج ٢ ص ٦٧٢ ، وهذا البيت هو مطلع مقطوعة مؤلفة من ثلاثة أبيات . نظمها الشاعر عبد الله بن فرج اليحصبي ، المعروف بأبن العسال .

Annales, t. II, p. 37. (١٧)

Abbad., t. II, p. 8, 139 etc. (١٨)

(١٩) مات باديس سنة ١٠٧٢ م لتقاسم أملاكه حفيده عبد الله وتيم ، فكانت غرناطة من نصيب عبد الله ، وكانت مالقة من نصيب تيم .

(٢٠) يبدو أن المؤرخين الذين يذهبون للقول بأن المعتمد نفسه قد رحل الى يوسف انما يخلطون بين حملة الافريقى الاولى وحملته الثانية .

Abbad., t. II, p. 27. (٢١)

(٢٢) انظر ابن الأبار في الطبعة الاولى من كتب لوزي :
Dozy : Recherches, t. I, p. 173, 174 : Abbad., t. I, pp. 169, 176; t. II, 1 p. 191-193, 231.

(٢٣) راجع ابن الأبار في المرجع السابق ، وانظر :
Abbad., t. II, p. 193. وعبد الواحد المراكشي : المعجب ص ٩٣ ، وترجمته ص ١١٢ .

(٢٤) رد الخليفة هرون الرشيد ردا قريبا من هذا على رسالة بعثها الى الامير الحاور نقفور فوكاس ، غير أن المؤلفين الذين يذهبون للزعم بأن ابن تاشفين قد اقتبس بيتا من المتنبي انما يذهبون هذا المذهب البعيد بسبب ما أورده أحد المؤرخين الذين كانوا يميلون الى ابن تاشفين ، مع أنه كان أضعف من أن يستطیع اقتباس شيء من شعر المتنبي .

(٢٥) Abbad., t. II, p. 22. وأبو الحجاج في ابن خلكان : وفيات الأعيان (طبعة مستنسلد) ، ص ١٦ . وهناك جماعة من المؤرخين يذهبون للقول بأن الفونس اقترح أن يكون القتال يوم الاثنين لأن السبت عطلة عيد اليهود (وذلك بناء على ما نسب اليه من أنه قال : الجمعة لكم والسبت عطلة لليهود ، وهم وزرأؤنا وكتابنا ، وأكثر خضم العسكر منهم فلا غنا بنا عنهم ، والاحد لنا فاذا كان يوم الاثنين كان ما تريده من الزحف) - (المترجم) .

Abbad., t. II, p. 23, 28. (٢٦)

(٢٧) عبد الواحد المراكشي . المعجب ، ص ٩٣ ، وترجمته ص ١١٢ .

(٢٨) اذا استثنينا ما ورد في مجموعة Cronicon Lusitanum (Esp. Sagr. t. XIV, pp. 418-419). فاننا نرى أن جميع الحوكلات اللاتينية قد خلت خلوا تاما من الإشارة الى رقعة زلاقة ، على أن بعض المراجع العربية اطالت الكلام عنها وانظر في ذلك = كتاب لوزي

Abbad., t. II, p. 8, 21-22, 36-39 ; 134-136; 196-201.

وعيد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٩٤-٩٢ ، وترجمته ص ١١٢-١١٥ ، وابن أبي رريج . روض القرطاس . ص ٩٤-٩٨ ، وأبو الحجاج البيهقي في ابن خلكان وفيات الأعيان ، كراسة ١٢ ، ص ١٦ - ١٧ . على أن القليل من بياناتها يستحق الثقة التامة ، وقد أخطأ بعضها في ذكر التاريخ ، إذ أن التاريخ الحقيقي هو الجمعة ١٢ رجب سنة ٤٧٩ كما هو وارد في الحلل الموشية (طبعة تونس) ص ٤٠-٤١ ، وكذلك . Abbad., t. II, p. 197. ، وكذلك في روض القرطاس ، ص ٩٨ حيث يشير إلى أن هذا اليوم يوافق يوم ٢٣ أكتوبر سنة ١٠٨٦ وهو التاريخ الصحيح . راجع في ذلك كتاب ذلك كتاب Annales Compl. p. 314-315. غير أن هناك جماعة من المؤرخين لم ينتصر حظهم على ذكر الشهر لمفسب (إذ يذكرون رمضان بدلا من رجب) بل يزيدون فيخطئون في تحديد السنة . من ذلك مثلا ما يذكره عيد الواحد المراكشي في المعجب ، ص ٩٤-٩٢ (وترجمته ص ١١٢-١١٥) من أن المعركة سنة ٤٨٠ هـ ، وما يذكره ابن الكردبهرس من وقوعها سنة ٤٨١ هـ (راجع في هذا Abbad., t. II, p. 33). وهذه ظاهرة بالغة الغرابة حيال وقعة عظيمة المشهورة حتى لقد كان الناس يؤرخون بها فيقولون « سنة زلاقة » . بدلا من قولهم « سنة ٤٧٩ هـ » . انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ص ١٢٥ . غير أن الثابت هو أنه ليس هناك من تلك الحوليات ما وضع بقلم أحد من عاصريها الرقعة . إذ ترجع هذه الحوليات إلى القرن الرابع عشر أو الثالث عشر ، وأقدمها لا يتجاوز السامى عشر . ومن ثم فلا يمكن أن تكون الثقة بها قوية . أضف إلى هذا أنه في هذا العصر الذي خب المؤرخون خلاله ما كتبوا أخذ الأدباء وأهل البيان انفسهم بوضع رسائل وكتب ينسبون بها أشخاص تاريخيين ، هذا أمر ثابت المقوق ، كما توجد الأدلة القاطعة على ثبوته ، من ذلك مثلا أن صاحب الحلل الموشية يورد الكتاب الذي بعثه المعتمد إلى ولده الرشيد في اليوم التالي لتلك المعركة ، وهو كتاب لا يتجاوز سطرين وارد في Abbad., t. II, p. 199. مختلف كل الاختلاف عما أورده صاحب الروض المعطار الوارد في المرجع السابق . Abbad., t. II, p. 241. كذلك توجد صورة ثالثة لهذا الكتاب ذكرها ابن الخطيب وهي واردة في نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ١٧ ، وهو لا يقل عن خمسة عشر سطرا ، ومن ثم فلا بد أن يكون ثنتان - أن لم يكن الثلاثة - من هذه الصور قد كتبت في عصر متأخر ، وإن الحكمة تقتضي أن نكون حذرين في تناول الرسائل المسماة بالديوانية والواردة في تلك الحوليات ، كما ينبغي أن نعترف بأن السك يخامرنا في أصالة معظم الرسائل التي يوردها كتاب الحلل الموشية ، كما نشك كل الشك في الرواية التي يذكرها يوسف في ذكر وقعة زلاقة ، وهي الواردة في روض القرطاس .

حواشي الفصل الثالث عشر

- (١) في تحقيق تاريخ قدوم المرابطين الى الاندلس كتب المستشرق الفرنسي الاستاذ ليلى بروفنسال ملحقاً لهذا الفصل ، وقد ترجمناه وأوردناه في الملحق رقم ١ ص ٢١٢-٢١٥ بعد انتهاء فصول هذا الجزء ، فراجعته هناك - (المترجم) •
- Abbad., t. II, pp. 23, 199. (٢)
- (٣) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٩٤ ، ترجمته ص ١١٥ •
- Abbad., t. II, p. 25. (٤)
- Abbad., t. II, p. 120. (٥)
- (٦) Ibid., t. II, p. 25. على أنه ينبغي تصحيح هذه العبارة بالاستعانة بما هو وارد في: Abbad., t. I, pp. 172-175. نقلاً عن ابن خاتان •
- Abbad., t. II, p. 121. (٧)
- Dozy : Recherches 2eme. ed., t. II, p. 128. (٨)
- Abbad., t. II, p. 207. (٩)
- (١٠) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٩٢ ، وترجمته ص ١١٢-١١٣ •
- Abbad., t. II, p. 202 203. (١١)
- (١٢) هو أبو بكر وزير المعتمد •
- Abbad., t. II, p. 221. (١٣)
- (١٤) انظر صاعدا الطليطلي : طبقات الامم ، وراجع :
Dozy : Recherches, 1ere ed., t. I, p. 4.
- (١٥) انظر النخيرة لابن بسام ، طبعة كلية الآداب - جامعة فؤاد الاول بالقاهرة المجلد الثاني من القسم الاول ، ص ٣٧٤ - (المترجم) •
- Abbad., t. II, pp. 131-132. (١٦)
- (١٧) ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ، ص ٤١ - ٤٣ ، مادة : أبو جعفر أحمد بن خلف بن عبد الملك النسائي القليعي (وهو القليعي في طبعة القاهرة) •
- (١٨) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٩٦-٩٧ ، وترجمته ص ١١٧-١١٨ •

(١٩) راجع في ذلك دوزي في Abbad., t. pp. 39, 121, 203. وابن خلكان
وفيات الأعيان ، ص ٢٥ ، ويلاحظ أن كثيرا من التفاصيل التي أوردها ابن أبي زرع في
روض القوطاس ، ص ٩٩ ، وعبد الواحد المراكشي في المعجب ، ص ٩٢ ، وترجمته
ص ١١٢-١١٣ تعوزها الدقة ومطابقة الواقع ، انظر أيضا Gesta Roderici
أما فيما يتعلق بمسألة اليمين فراجع التعليق الذي ترجمناه عن ليفي بروفنسال والذي
كتبه لهذا الفصل . انظر فيما بعد ص

(٢٠) ابن الخطيب . الاحاطة ، ج ١ ، ص ٤٢ .

(٢١) Abbad., t. II, p. 211.

(٢٢) ابن خلدون : العبر (الترجمة الفرنسية) ، ج ٢ ، ص ٧٩ .

(٢٣) ابن الخطيب : الاحاطة (مخطوطة الاسكوريال) ، مادة « مقاتل » .

(٢٤) أي أنه بربري مثله .

(٢٥) راجع ابن الخطيب : الاحاطة ، (مخطوطة الاسكوريال) مادة « عبد الله بن
بلحين و « المول » راجع أيضا . Abbad., t. II, p. 9, 28, 39, 179, 203-204.

وابن أبي زرع : روض القوطاس ، ص ٩٩ ، أما فيما يتعلق بالتاريخ فراجع في آخر
هذا الجزء التعليق الذي كتبه الأستاذ ليفي بروفنسال ، وانظر حاشية رقم ١٩ .

(٢٦) انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ص ٢٦ ، وابن خلدون : كتاب العبر .

ج ٢ ، ص ٧٩ من الترجمة الفرنسية ، وأيضا : Abbad., t. II, p. 180, 204.

حواشي الفصل الرابع عشر

- (١) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٩٨ ، وترجمته ص ١١٩ .
- (٢) Abbad., t. I, pp. 54-55. أما التاريخ الذي ذكره دوزي في المتن أعلاه فوارد.
في ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ١٠٠ ، وفي عبد الواحد المراكشي ، ص ٩٦ ،
وترجمته ص ١١٩ ، أما ابن الخطيب (كما في Abbad., t. II, p. 178.)
فيرى أن أخذ قرطبة تم في شهر أغسطس .
- (٣) ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ١٠ .
- (٤) انظر Abbad., t. II, pp. 42, 232 وابن أبي زرع : روض القرطاس ،
ص ١٠٠ - ١٠١ ، Annales Toledanos (تحت سنة ١٠٩٢ وهي خطأ) .
- (٥) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ١٠١-٥٨ ، وترجمته ، ص ١١٩-١٢٢
(وفي الطبعة المصرية ، ص ٩٠) .
Abbad., t. I, pp. 55-51; 303-304, 306; t. II, p. 68, 178, 204, 205, 227, 232, 233.
- (٦) ابن الأبار : الحلة السرياء ، ص ١٧٢ ، ١٧٤ ،
Dozy · Recherches (3eme ed.), t. I, pp. 271-272.
- (٧) ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ١٠١ .
- (٨) Abbad., t. II, p. 44.
- (٩) انظر ما ذكره ابن الخطيب من قول وارد في :
Dozy : Recherches, (1ere ed.), t. I, p. 179.
حيث ينبغي أن نقرأ كلمة « أمير » بدلا من « عصر » ثم قارن هذا بما جاء في :
Cronic Lusit., p. 419 ; Annales Complut., p. 317.
- (١٠) ابن الأبار وابن الخطيب في :
Dozy : Recherches, t. I, pp. 175, 179, 180.
وابن خلدون في Hoogvliet, p. 3. هذا وقد صحح نص العبارة في :
Dozy : op. cit., pp. 156-159.
- (١١) راجع دائرة المعارف الاسلامية ، مادة « السيد » والمراجع الواردة هناك .
- (١٢) ابن الأبار : الحلة السرياء ، ص ١٨٢ .
- (١٣) راجع ابن الأبار : الحلة السرياء ، ص ٢٢٥ ، ويلاحظ أن هذا المؤلف يذكر
يوما من أيام الشهر لا يتفق والأسبوع ، انظر أيضا ابن أبي زرع : روض القرطاس ،

ص ١٠٤ ، والحلل الموشية (طبعة تونس) ، ص ٧١-٧٢ ، هذا وقد بقي عماد الدولة مالكا لرويدة Reuda حتى ات سنة ١١٣٠ م ثم تنازل ابنه وخليفته سيف الدولة عن قلعتها بعد ذلك بعشر سنوات لالفونس السابع .

(١٤) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ١٢٢ وترجمته ص ١٤٧ .

(١٥) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ١٢٧ ، وترجمته ، ص ١٥٢ .

(١٦) نقل ابن خلدون في قلائد الأعيان (طبعة باريس سنة ١٨٦٤ م) ص ١٨٠-١٨١ وذلك في معرض كلامه عن أبي محمد بن الجبير قطعة من رسالة وجهها الى ابن حمدان .

(١٧) المقرئ : نفع الطيب ، ج ١ ، ص ٢٩٩ ، ج ٢ ص ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٤٧٢ .

(١٨) Chronicon Adefonsi Imperatoris (Esp. SCagrè., t. XXI, c. 91.

(١٩) نضيف في هذه الترجمة العربية ما قاله الشاعر ابن البني في إحدى قصائده معرضاً بأبن حمدان .

يريد ابن حمدان أن يعتلي
وجدواه أتى من الكوكب

وانظر عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ١٢٣ ، وترجمته ص ١٤٧-١٤٨ .

(٢٠) انظر ابن خلدون في المقرئ : نفع الطيب ، ج ٢ ص ٥٩٠ .

(٢١) المقرئ : نفع الطيب ، ج ٢ ص ٣٠٢ .

(٢٢) المقرئ . نفع الطيب . ج ٢ ص ٣٠٢-٣٠٤ ، وعبد الواحد المراكشي المعجب ص ١٢٢ ، وترجمته ص ١٤٧ .

(٢٣) راجع ابن أبي أصيبعة في المقرئ : نفع الطيب ، ج ٢ ص ٣٢٢-٣٢٣ .

(٢٤) فيما يتعلق بالدين في اسبانيا والمغرب ايان هذه الحقبة راجع جولد تسيبر في مقدمته لطبعة كتاب ابن تومرت التي قام بنشرها لوشيانى .

(٢٥) راجع دائرة المعارف الاسلامية والمراجع المذكورة هناك .

(٢٦) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ١٢٣-١٢٤ ، ١٣٢ ، وترجمته ص ١٤٩ ، ١٦٠ ، والحلل الموشية (طبعة تونس) ، ص ٧٦ .

(٢٧) راجع الجزء الثاني من هذه الترجمة العربية ، ص ٥٠٠ .

(٢٨) الحل الموشية ، ص ٥٨ ، أما فيما يتعلق بلوسينا وسكانها اليهود لراجع الاسريسي (النص العربي . Description de l'Afrique et de l'Espagne, p. 205. وترجمته ص ٢٥٢-٢٥٣ .

Journ. Asiat., IV serie, t. XVIII, p. 513. (٢٩)

Cf. Dozy : Recherche , 3eme ed., t. I, pp. 348-363 (Sur l'expédition d'Alphonse le Batailleur contre l'Andalousie. (٣٠)

Chronicon Adefonsi Imperatorio (Espagna Sagrada), t. XXI, (٣١)
c. 64.

(٣٢) ابن أبي زرع روض القرطاس ، ص ١٠٨ .

(٣٣) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ١١٤ ، وترجمته ص ١٢٧ ، والحلل
الموشية (طبعة تونس) ص ٨٩ ، وانظر أيضا Chron. Lusit (Esp. Sagrada,
t. XIV, p. 326.

(٣٤) ورد هذا القول في ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ١٠٨ .

(٣٥) راجع المقرئ : نفع الطيب ، ج ٢ ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، وابن خلكان : وفيات
الاعيان ، ص ١٧ - ١٨ ، أما قاضي الجماعة هذا فقد مات مقتولا في وقعة « كتندة » قرب
دارقة سنة ١١٢٠ م ، راجع المقرئ : نفع الطيب ، ج ٢ ص ٧٥٩ .

(٣٦) الحلل الموشية ، ص ٦١-٦٢ .

Idrisi : Description de l'Afrique et de l'Espagne (textes
arabe), p. 70, et trad., p. 80. (٣٧)

(٣٨) ابن أبي زرع . روض القرطاس ، ص ١٠٨ والحلل الموشية ، ص ٥٩ .

(٣٩) المراكشي . المعجب ، ص ١٤٨ ، وترجمته ص ١٧٩ (١٨٠) .

(٤٠) واسمه الكامل هو أبو بكر محمد بن يحيى المعروف بابن الصايغ ، راجع عنه
دائرة المعارف الإسلامية .

(٤١) راجع ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ص ٢٤٢-٢٤٦ ، مادة « أبو بكر بن
ابراهيم » ، وانظر أيضا ابن خاقان : قلائد العقيان ، ص ٢٤٦-٣٥٣ .

(٤٢) فيما يتعلق بهؤلاء « الروم » الذين هم في الواقع « الصقالبة » ، راجع :
Chronicon Adefonsi (Esp. Sagr.), t. XXI, c. 45-46, 94.
وكذلك الحلل الموشية ، ص ٦١ .

(٤٣) راجع عبد الواحد المراكشي ، المعجب ، ص ١٢٨ ، ١٢٣ ، ١٤٨ ، وترجمته
ص ١٥٤ ، ١٦١ ، ١٧٩ .

(٤٤) الحلل الموشية ، ص ٨٩ . أما فيما يتعلق بضياع المرابطين من اسبانيا
فراجع :

F. Codera Decadencia y desaparicion de los almoravides en Espana,
Saragosse, 1899.

(٤٥) Chron. Adefonsi Imperatoris cf. 13-16. ، أما فيما يتعلق

ببرج قادش أو أحمدة فراجع :
Dozy : Recherches, 3eme ed., pp. 311-312.

والمحقق الوارد هناك تحت رقم ٣٥ .

Chronicon Adefonsi Imperatori, c. 60, 82, 88. (٤٦)

(٤٧) راجع الحلل الموشية ، ص ٨٩ .

(٤٨) الحلل الموشية ، ص ٦٣ ، وابن الأثير : الكامل ، ص ٢٩٢ ، ج ١٠ ، وترجمته :

Annales du Magreb et de l'Espagne, p. 525-526.

Chronicon Adefonsi Imperatori, c. 16. (٤٩)

Ibid., c. 88. (٥٠)

حواشي الفصل الخامس عشر

- (١) ابن الخطيب : الاحاطة (مخطوط الاسكريال) . مادة عبد الله بن بلقين :
 Abbad., t. I, p. 59-61. (٢)
- Abbad., t. I, pp. 313-314 ; t. II, pp. 71, 75, 232. (٣)
- وعبد الواحد المراكشي . المعجب من ١٠٢ ، وترجمته من ١٢٢-١٢٤ .
 Abbad., t. I, p. 383.
- (٤) انظر الدائرة .
- Abbad., t. II, p. 73-74. (٧)
- Abbad., t. I, p. 68. (٨)
- Abbad., t. I, pp. 63, 64. (٩)
- (١٠) فيما يتعلق بابن زهير وأسرته راجع دائرة المعارف الاسلامية .
- (١١) انظر المقرئ . نفح الطيب ، ج ٢ ، من ٢٩٣ .
- (١٢) يشير المعتمد في هذا البيت الى ابنة عريف شرطنه ، وكانت بنات المعتمد في
 أسرهن ومن يفزلن لها الثياب ، أما عريف شرطنه هذا فكان هو الذي يزعم الناس بين يديه
 حين بروزه ، ولم يكن المعتمد يرى هذا الشرطى الا في هذا اليوم فقط ، راجع المراكشي .
 المعجب من ٩٨ طبعة مصر - (المترجم) .
- (١٣) الكلام هنا على لسان المعتمد ، ويعنى بذلك أنه اذا ظهر المعتمد كانت مهمة
 هذا الشرطى النداء بين يديه .
- (١٤) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، من ١٠٩ ، وترجمته من ١٣١ .
- Abbad., t. II, pp. 147-149. (١٥)
- (١٦) للتعريف بابن اللبانة الذي يشير اليه دوزي في أكثر من موضع في هذا الكتاب
 نقول انه كان من الشعراء المحبدين ، الى جانب ما امتاز به من صدق الوفاء ، وكان
 « صديقا » بكل ما تحمله هذه الكلمة من حسن جلال كرام ، ومع أن من أقواله « أنا لا أفرح
 تماما باظهار هذه الناحية الا أنها تتجلى من سيرته التي يعرض لها دوزي بطرف في نصه
 هذا الذي نترجمه أعلاه ، أما من الناحية الأدبية فحسبنا شهادة المراكشي بأنه « نبيل المأخذ
 حسن المهيع ، جمع بين سهولة الالفاظ ورشاققتها ، وجودة المعاني ولطافتها ، وكان منقطعا

الى المعتمد وأن لم يك عليه الا آخر مدته ، راجع ما ورد عنه بالاسهاب في « المعجب » ،
ص ١٠٢-١٠٣ من الطبعة المصرية - (المترجم) .

(١٧) راجع قصيدة ابن اللبانة الواردة في .
Abbad., t. I, p. 319-320.
وشرحها اللاتيني في نفس المرجع ، ص ٢٦٦ وما بعدها .

(١٨) يقع حصن « منت ميور » بالقرب من « مارنلة » التي يسميها الاسبان اليوم باسم
DESPEPLADO وهي ناحية مهجورة .

Abbad., t. I, pp. 228-229 t. II, p. 84. (١٩)

Ibid., t. I, p. 86. (٢٠)

Ibid., t. I, p. 83. (٢١)

Abbad., t. I, p. 310-311. (٢٢) المعجب (طبعة مصر) ، ص ١٠٠ و

Abbad, t. I, p. 306. (٢٣)

(٢٤) بدأت ثورة عبد الجبار سنة ١٠٩٣ م ، وبعد سنتين من ذلك التاريخ دخل هذا
الأمير مدينة « أركش » فحاصره بها « سير » حاكم أشبيلية ، وقتل هو نفسه بسهم أصابه
أودى به ، غير أن أتباعه ظلوا على ما هم عليه من التمرد ولم يستسلموا الا بعد حين .
Abbad, t. II, pp. 1228; t. I, pp. 84-85. انظر :

Abbad., t. I, p. 71. (٢٥)

Abbad., t. II, p. 83. (٢٦) راجع ابن الجبار في :

Abbad., t. I, p. 40. (٢٧)

Abblad., t. II, pp. 86. 87. (٢٨)

الملاحق

- ملحق رقم ١ : تحقيق تاريخ قدوم ابن تاشفين الى الأندلس بفلم المستشرق
الفرنسى ليفى بروفنسال ، كتبه خصيصا للطبعة الجديدة
من هذا الكتاب باللغة الفرنسية .
- ملحق رقم ٢ : ثبت بتواريخ ملوك القرن الحادى عشر المسلمين .
- ملحق رقم ٣ : ثبت بأسماء الاعلام والأماكن برسميها العربى واللاتينى .
- ملحق رقم ٤ : المصادر والمراجع التى استعملها المؤلف والمعلق والمترجم
العربى

ملحق رقم ١

حين عهدت مطبعة بريل الى الاستاذ ليفى بروفنسال باخراج نسخة جديدة من كتاب دوزى هذا باللغة الفرنسية ، كتب هذا الملحق الذى يحقق فيه تاريخ قدوم ابن تاشفين ، وهو يتعلق بالفصل الثالث عشر من هذا الجزء [المترجم] .

يقول ليفى بروفنسال :

لقد برر المؤلف (رينهرت دوزى) التاريخ الذى آنره فى تحقيق هذا الفصل فهو يرى أن مجيء يوسف (بن تاشفين) للمرة الثانية الى الأندلس كان فى ربيع سنة ٤٨٣ هـ (= ١٠١٠ م) ، أى بعد وقعة « زلاقة » بثلاث سنوات ونصف سنة ، وحاصر حصن « الليط » فى صيف ذلك العام ، واستولى على غرناطة فى نوفمبر ، غير أن أبا الحجاج الببىاسى (كما هو وارد فيما ذكره ابن خلكان عن يوسف) وصاحب روض القرطاس ومؤلف الحلل الموشية فيذكرون تاريخا غير هذا التاريخ ، اذ يشيرون الى أن يوسف بن تاشفين جاء الى الأندلس للمرة الثانية سنة ٤٨١ هـ (= ١٠٨٨ م) وأنه حاصر حصن الليط فى تلك السنة ذاتها (١) ، ويقولون انه عاد الى أفريقية فى الخريف ، ثم رجع الى أسبانيا لثالث مرة . سنة ٤٨٣ هـ (= ١٠٩٠ م) وحينذاك استولى على غرناطة (٢) .

وهناك وجهة نظر تخالف هذه النظرة ، اذ يجب أن نلاحظ أن أولئك المؤرخين الذين أخذوا بهذا رأى ليسوا من المؤرخين القدماء ، فأبوا الحجاج الببىاسى قد كتب ما كتب فى القرن الثالث عشر الميلادى ، ثم جاء صاحب « روض القرطاس » بعده بقرن من الزمان فكتب كتابه ، ومثله صاحب « الحلل الموشية » . أضف الى هذا ما يمكن أن ينالهم من التجريح (٣) .

(١) يسميه « بيلاج دوايد » فى الفصل الحادى عشر باسم حصن Alaaet كما أنه يعده من بين المدن التى استولى عليها الفونس ، ولكن بالرجوع الى Gesta Roderici نجد أنه وارد باسم Halaet .

(٢) يخطئ ابن أبى زرع صاحب روض القرطاس خطأ جسيما اذ يتكلم عن حصار طليطلة فى هذه الفترة بالذات .

(٣) ينال هذا التجريح على وجه الخصوص صاحب روض القرطاس .

ثم انهم لم يتفقوا فيما بينهم على تحديد الشهر فبينما نجد ابن أبى زرع يؤكد أن مجيء يوسف الى الأندلس للمرة الثانية كان فى شهر ربيع الأول سنة ٤٨١ هـ (= يونيو ١٠٨٨ م) اذا بنا نجد البياسى يقول انه قدمها فى شهر رجب أى فى سبتمبر أو أكتوبر .

ومن ناحية أخرى نجد أن أقدم المؤرخين الثقات فى هذا الموضوع ، أعنى مؤرخى القرن الثانى عشر الميلادى يتفقون على أن حصار « الليط » والاستيلاء على غرناطة قد حدثا فى سنة واحدة هى سنة ٤٨٣ هـ (= ١٠٩٠ م) . ومن ذلك مثلاً أن ابن « قاسم الأشبيلي » الذى كتب أصدق تاريخ للمعتمد (٤) - وهو الكتاب الذى حفظ لنا ابن الأبار بعض أجزاء منه - يقول ان يوسف بن تاشفين والأمراء الأندلسيين قد حاصروا الليط (٥) سنة ٤٨٣ هـ ، ويقرر محمد بن ابراهيم (٦) انه منذ قدوم يوسف للمرة الثانية الى الأندلس أخذ فى محاصرة « الليط » والاستيلاء على غرناطة .

ويقول ابن الكردبوس نفس هذا القول فى كتابه الاكتفا (٧) . ثم يضيف الى ذلك ان يوسف جاء الأندلس للمرة الثالثة سنة ٤٩٠ هـ (= ١٠٩٧) .

ويمكن أن نضيف الى هذه الشهادات الجديرة بالثقة شهادة ابن الأثير (٨) المؤرخ الذى كتب كتابه وهو بالموصل ، ومن ثم لم يكن على علم تام بموصول بأخبار الأندلس مما أدى الى وقوعه فى الخطأ حين يقول ان حصار « الليط » والاستيلاء على غرناطة كانا بعد سنة من وقعة « زلاقة » ، أى سنة ٤٨٠ هـ (= ١٠٨٧ م) .

أما فيما يتعلق بالتاريخ الدقيق للاستيلاء على غرناطة فإن ابن الصيرفى (٩) يقول انه وقع يوم ١٤ رجب سنة ٤٨٣ هـ ، غير أن هناك اعتراضين يجرحان هذا التاريخ أولهما أن ١٤ رجب (= ٢٦ أغسطس)

Cf. Abbad., t. II, p. 92. (٤)

Abbad., t. II, pp. 121-122. (٥)

Ibid., t. II, pp. 8, 9. (٦)

Ibid., t. II, pp. 26, L. 12. (٧)

وقد أخطأ المؤلف فى كتابته إذ يجب أن نفهم من كلمة « الغزوة » عنده حملة يوسف ضد « الليط » .

(٨) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ .

(٩) راجع ما كتبه من المعتمد وعن عبد الله بن بلجين ؛

لم يكن يوم أحد بل كان يوم خميس (١٠) . والأمر الثاني هو أنه من المستحيل على يوسف أن يتمكن من الاستيلاء على غرناطة في شهر أغسطس لأنه قد وطأ الأندلس في الربيع وحاصر « الليط » مدة أربعة أشهر حتى دخل الشتاء كما يؤكد مؤلف روض القرطاس . وأظن أنه بدلا من الأحد ١٤ رجب « يجب أن تكون القراءة « الأحد ١٤ رمضان » أي العاشر من نوفمبر ، يؤيد هذا أن يوم ١٤ رمضان يطابق يوم الأحد ، وكثيرا ما يحدث الخلط بين هذين الشهرين ، من ذلك مثلا أن طائفة من المؤرخين يقولون إن وقعة زلاقة جرت في شهر رمضان سنة ٤٧٩ هـ ، على حين أن طائفة أخرى تقول إنها وقعت في شهر رجب ، ويمكن تفسير ذلك بأن القوم في ذلك الزمان كانوا يستعملون مختصرات للدلالة على الأشهر ، وعلى هذا يكون من السهل الخلط بين شهرى رجب ورمضان لاتفاقهما في الحرف الأول من كل منهما . وليس هناك دليل يمكن أن ينتقض هذا الرأي حيث يقول البياسي ومؤلف روض القرطاس أن يوسف قد ركب البحر لثاني مرة قبل نهاية رمضان ، أي قبل ٢٦ نوفمبر ، وبذلك يكون قد تيسر له في ستة عشر يوما مقابلة الأمراء الأندلسيين والسفر الى غرناطة والجزيرة الخضراء .

ليفى بروفنسال

(١٠) الظاهر أن الأستاذ ليفى بروفنسال أخطأ في إيراد الشهر الجريجورى ، فإذا أخذنا بأن الحادثة وقعت يوم الأحد ١٤ رجب سنة ٤٨٣ هـ فإن هذا اليوم والتاريخ لا يطابقهما يوم ٢٦ أغسطس ، ذلك لأن يوم ١٤ رجب سنة ٤٨٣ هـ ، كان يوم الخميس ، ومعنى هذا أن الخميس ١٤ رجب يطابقه يوم ١٢ سبتمبر ١٠٩٠م ، وذلك بناء على ما جاء في جدول الستين بكتاب التوقيعات الإلهامية ، ص ٢٤٢ .

(١١) روض القرطاس ، ص ٩٩ ، ويقول صاحب الطلل المشية أنه وقع في مدة شهر ، غير أن الحصار استمر مدة أطول من هذه بطبيعة الحال .

ملحق رقم ٢

ثبت بتواريخ ملوك القرن الحادى عشر

المسلمين فى الأندلس

١ - مملكة أشبيلية

بنو عباد

- ١ - محمد بن اسماعيل القاضى ١٠٢٣ - ١٠٤٢ م (= ٤١٤ - ٤٣٤ هـ)
 - ٢ - عباد بن محمد المعتضد ٤٣٤ - ٤٦٢ هـ (= ١٠٤٢ - ١٠٦٩ م)
 - ٣ - محمد بن عباد المعتمد ٤٦٢ - ٤٨٤ هـ (= ١٠٦٩ - ١٠٩١ م)
- هذا وقد كان خلع المعتمد عن العرش على يد المرابطين .

٢ - مملكة قرطبة

بنو جهور

- ١ - جهور بن محمد بن جهور ٤٢٣ - ٤٣٥ هـ (= ١٠٣١ - ١٠٤٣ م)
- ٢ - محمد بن جهور ٤٣٥ - ٤٥٧ هـ (= ١٠٤٣ - ١٠٦٤ م)
- ٣ - عبد الملك وعبد الرحمن ولدا محمد بن جهور ، وقد ظلا فى الحكم حتى حوالى سنة ٤٦٣ هـ (= ١٠٧٠ م) ، وقد ضمت قرطبة الى مملكة أشبيلية .

٣ - مملكة مالقة

بنو حمود

- ١ - ادريس بن على بن حمود (المؤيد) ٤٢٧ - ٤٣١ هـ (= ١٠٣٥ - ١٠٣٩ م)
- ٢ - يحيى بن ادريس بن على (القائم) ٤٣١ - ٤٣٢ هـ (= ١٠٣٩ - ١٠٤٠ م)

٣ - حسن بن يحيى بن علي بن حمود المستنصر ٤٣٢ - ٤٣٣ هـ
(= ١٠٤٠ م) .

(= ١٠٤٠ - ١٠٤٢ م) ثم نجاء الصقلي ٤٣٣ هـ (= ١٠٤٢ م) .

٤ - ادريس (الثاني) بن يحيى بن علي بن حمود العالى ٤٣٣ - ٤٣٩ هـ
(= ١٠٤٢ - ١٠٤٧ م) .

٥ - محمد (الأول) بن ادريس (الاول) بن علي بن حمود : المهدي
٤٣٩ - ٤٤٦ هـ (= ١٠٤٧ - ١٠٥٤ م) .

٦ - ادريس النساني بن يحيى بن ادريس الأول : السامى ٤٢٦ هـ
(= ١٠٥٤ م) .

٧ - ادريس النساني (مرة أخرى) ٤٤٦ - ٤٤٧ هـ (= ١٠٥٤ - ١٠٥٥ م) .

٨ - محمد (الثاني) بن ادريس الأول : المستعلي ٤٤٧ - ٤٤٩ هـ
(= ١٠٥٥ - ١٠٥٧ م) .

ثم تم بعد ذلك ضم مالقة الى مملكة غرناطة .

٤ - مملكة الجزيرة الخضراء

بنو حمود

١ - محمد بن القاسم بن حمود ٤٢٧ - ٤٤٠ هـ (= ١٠٣٥ - ١٠٤٨ م)

٢ - القاسم بن محمد بن القاسم بن حمود ٤٤٠ - ٤٥٠ هـ (= ١٠٤٨ - ١٠٥٨ م) .

حيث ضمت الجزيرة الخضراء الى مملكة أشبيلية .

٥ - مملكة غرناطة

بنو زيرى

١ - زاوى بن زيرى ٤٠٣ - ٤١٠ هـ (= ١٠١٢ - ١٠١٩ م) .

٢ - حبوس بن ماكسن ٤١٠ - ٤٢٩ هـ (= ١٠١٩ - ١٠٣٨ م) .

٣ - باديس بن حبوس ٤٢٩ - ٤٦٦ هـ (= ١٠٣٨ - ١٠٧٣ م) .

- ٤ - عبد الله بن باديس ٤٦٦ - ٤٨٣ هـ (= ١٠٧٣ - ١٠٩٠ م) .
 ثم ضمت غرناطة الى دولة المرابطين .

٦ - مملكة قرمونة

بنو برزال

- ١ - محمد بن عبد الله ٤٠٤ - ٤٣٣ هـ (= ١٠١٣ - ١٠٤٢ م) .
 ٢ - عزيز بن محمد المستظهر ٤٣٣ - ٤٦٠ هـ (= ١٠٤٢ - ١٠٦٧ م) .
 وقد ضمت مملكة قرمونة الى مملكة أشبيلية .

٧ - مملكة رندة

بنو افرن

(بكسر الهمزة وسكون الفاء بعدها واو مفتوحة)

- ١ - أبو نور هلال بن أبي قررة ٤٣١ (؟) - ٤٥٠ هـ (= ١٠٣٩ - ١٠٥٨ م) .
 ٢ - باديس بن هلال ٤٤٩ - ٤٥٠ هـ (= ١٠٥٧ - ١٠٥٨ م) .
 ٣ - فتح بن هلال ٤٥٠ - ٤٥١ هـ (= ١٠٥٨ - ١٠٥٩ م) .

٨ - مملكة مورور

بنو دمر

(بفتح الراء المهملة بعدها ميم مشددة مفتوحة)

- ١ - نوح بن أبي طريد ٤٠٤ - ٤٣٣ هـ (= ١٠١٣ - ١٠٤١ م) .
 ٢ - محمد بن نوح ٤٣٣ - ٤٤٩ هـ (= ١٠٤١ - ١٠٥٧ م) .
 ٣ - منار بن محمد بن نوح ٤٤٩ - ٤٥٩ هـ (= ١٠٥٧ - ١٠٦٦ م) .
 وقد ضمت مورور الى مملكة أشبيلية .

٩ - مملكة أركش

بنو خزرون

(بكسر الخاء بعدها زين ساكنة)

- ١ - محمد بن خزرون الأرنباني ٤٠٢ - ٤٢٠ هـ (= ١٠١١ - ١٠٢٩ م) .

- ٢ - القائم بن محمد بن خزرون ٤٢٠ - ٤٦١ هـ (= ١٠٢٩ - ١٠٦٨ م) .
وقد ضمت مملكة أركش الى مملكة أشبيلية .

١٠ - مملكة ولبة وسلطيش

البكريون

- عز الدولة عبد العزيز ٤٠٣ - ٤٤٤ هـ (= ١٠١٢ - ١٠٥٢ م) .
وقد ضمت ولبة وسلطيش الى مملكة أشبيلية .

١١ - مملكة لبلة

بنو يحيى

- ١ - محمد بن يحيى البحصبي ، تاج الدين ٤١٤ - ٤٣٣ هـ (= ١٠٢٣ - ١٠٤١ م) .
٢ - محمد يحيى ، عز الدين ٤٣٣ - ٤٤٣ هـ (= ١٠٤١ - ١٠٥١ م) .
٣ - فتح خلف بن يحيى ، ناصر الدين ٤٤٣ - ٤٤٥ هـ (= ١٠٥١ - ١٠٥٣ م) .
ثم ضمت لبلة الى مملكة أشبيلية .

٢١ - مملكة شلب

بنو مزين

(وشلب بكسر الشين وسكون اللام)

- ١ - عيسى بن أبى بكر ، المظفر ٤٤٠ - ٤٤٦ هـ (= ١٠٤٨ - ١٠٥٤ م) .
٢ - محمد بن عيسى ، الناصر ٤٤٦ - ٤٥٠ هـ (= ١٠٥٤ - ١٠٥٨ م) .
٣ - عيسى بن محمد (المظفر) ٤٥٠ - ٤٥٦ هـ (= ١٠٥٨ - ١٠٦٣ م) .
وقد ضمت شلب الى مملكة أشبيلية .

١٣ - مملكة شنت مربة الغرب

بنو هرون

- ١ - سعيه بن هرون ٤١٧ - ٤٣٣ هـ (= ١٠٢٦ - ١٠٤١ م) .

- ٢ - محمد بن سعيد (المعتصم) ٢٣٣ - ٤٤٤ هـ (= ١٠٤١ - ١٠٥٢ م) .
وقد ضمت شنت مرية الغرب الى مملكة أشبيلية .

١٤ - مملكة مارتلة

- ابن طيفور حتى سنة ٤٣٦ هـ = ١٠٤٤ م .
وقد ضمت مملكة مارتلة الى أشبيلية .

١٥ - مملكة بطليوس

- سابور وابناه حتى سنة ٤١٣ = ١٠٢٢ م .

بنو الألفس

- ١ - عبد الله بن محمد بن مسلمة (المنصور) ٤١٣ - ٤٣٧ هـ (= ١٠٢٢ - ١٠٤٥ م) .
٢ - محمد بن عبد الله (المظفر) ٤٣٧ - ٤٥٦ هـ (= ١٠٤٥ - ١٠٦٣ م) .
٣ - يحيى بن محمد (المنصور) ٤٥٦ - ٤٦٠ هـ (= ١٠٦٣ - ١٠٦٧ م) .
٤ - عمر بن محمد (المتوكل) ٤٦٠ - ٤٨٧ هـ (= ١٠٦٧ - ١٠٩٤ م) .

١٦ - مملكة طليطلة

- يعيش بن محمد بن يعيش ظل في الحكم حتى سنة ١٠٣٦ م = ٤٢٨ هـ .

بنو ذو النون

- ١ - اسماعيل بن ذي النون (الظافر) ٤٢٨ - ٤٣٥ هـ (= ١٠٣٦ - ١٠٤٣ م) .
٢ - يحيى بن اسماعيل (المأمون) ٤٣٥ - ٤٦٨ هـ (= ١٠٤٣ - ١٠٧٥ م) .

٣ - يحيى بن اسماعيل بن يحيى (القادر) ٤٦٨ - ٤٧٨ هـ (= ١٠٧٥ - ١٠٨٥ م) .

ثم وقعت طليطلة فى حوزة الفونس السادس .

١٧ - مملكة سرقسطة

(أ) بنو تجيب

(يضم التاء وفتح الجيم وسكون اليا)

- ١ - المنذر بن يحيى ٤٠٨ - ٤١٤ هـ (= ١٠١٧ - ١٠٢٣ م) .
- ٢ - يحيى بن المنذر (المظفر) ٤١٤ - ٤٢٠ هـ (= ١٠٢٣ - ١٠٢٩ م) .
- ٣ - المنذر بن يحيى بن المنذر (معز الدولة) ٤٢٠ - ٤٣١ هـ (= ١٠٢٩ - ١٠٣٩ م) .

(ب) بنو هود

- ١ - سليمان بن محمد بن هود (المستعين) ٤٣١ - ٤٣٨ هـ (= ١٠٣٩ - ١٠٤٦ م) .
 - ٢ - أحمد بن سليمان (المقتدر) ٤٣٨ - ٤٧٤ هـ (= ١٠٤٦ - ١٠٨١ م) .
 - ٣ - يوسف بن أحمد (المؤتمن) ٤٧٤ - ٤٧٨ هـ (= ١٠٨١ - ١٠٨٥ م) .
 - ٤ - أحمد بن يوسف (المستعين) ٤٧٨ - ٥٠٤ هـ (= ١٠٨٥ - ١١١٠ م) .
 - ٥ - عبد الملك بن أحمد (عماد الدولة) ٥٠٤ هـ = ١١١٠ م .
- واستولى المرابطون على سرقسطة سنة ١١١٠ م ثم انتقلت الى حوزة النصارى سنة ٥١٢ هـ (= ١١١٨ م) .

١٨ - مملكة السهلة

بنو رزين

- ١ - هذيل بن خلف بن رزين ٤٠٣ - ٤٣٧ هـ (= ١٠١٢ - ١٠٤٥ م) .
- ٢ - عبد الملك بن هذيل ٤٣٧ - ٤٩٧ هـ (= ١٠٤٥ - ١١٠٤ م) .

- ٣ - يحيى بن عبد الملك ٤٩٧ - ٤٩٨ هـ (= ١١٠٣ - ١١٠٤ م) .
 ثم انتقلت السهلة الى حوزة المرابطين .

١٩ مملكة البوننت

بنو قاسم

- ١ - عبد الله بن قاسم (نظام الدولة) وقد ظل فى الحكم حتى سنة ٤٢١ هـ (= ١٠٣٠ م) .
 ٢ - محمد بن عبد الله (يمين الدولة)
 ٣ - أحمد بن محمد (عضد الدولة)
 ٤ - وقد ظل فى الحكم من ٤٤٠ - ٤٤١ هـ (= ١٠٤٨ - ١٠٤٩ م) .
 ٤ - عبد الله بن محمد (جناح الدولة)
 وقد دخلت مملكة البوننت تحت حكم المرابطين .

٢٠ - مملكة بلنسية

- ١ - ٢ مبارك والمظفر الصقليين :
 ٤٠٧ - ٤١٢ هـ (= ١٠١٦ - ١٠٢١ م) .
 ٣ - ٤ لبيب الصقلى صاحب طرطوشة .
 ٥ - عبد العزيز بن أبى عامر (المنصور) ٤٠٧ - ٤١٢ هـ (= ١٠١٦ - ١٠٢١ م) .
 ٦ - عبد الملك بن عبد العزيز (نظام الدولة) ٤٥٣ - ٤٥٨ هـ (= ١٠٦١ - ١٠٦٥ م) .
 ثم ضمت بلنسية الى مملكة طليطلة وأصبح المأمون حاكما لطليطلة ٤٥٨ - ٤٦٩ هـ (= ١٠٦٥ - ١٠٧٦ م) .
 ثم انفصلت بلنسية عن طليطلة .
 ٧ - أبو بكر بن عبد العزيز ٤٦٩ - ٤٧٨ هـ (= ١٠٧٦ - ١٠٨٥ م) .
 ٨ - عثمان بن أبى بكر ٤٧٨ هـ (= ١٠٨٥ م) .
 ٩ - يحيى القادر : ملك طليطلة السابق ٤٧٦ - ٤٨٥ هـ (= ١٠٨٤ - ١٠٩٣ م) .

- ١٠ - جعفر بن جفاف ٤٨٥ - ٤٨٨ هـ (= ١٠٩٢ - ١٠٩٥ م) .
 ١١ - السيد ٤٨٨ - ٤٩٦ هـ (= ١٠٩٥ - ١١٠٢ م) .
 ثم آلت بلنسية الى المرابطين .

٢١ - مملكة دانية وجزر البليار

- ١ - مجاهد (الموفق) ٤٠ - ٤٣٦ هـ (= ١٠٠٩ - ١٠٤٤ م) .
 ٢ - علي بن مجاهد (اقبال الدولة) ٤٣٦ - ٤٦٩ هـ (= ١٠٤٤ - ١٠٧٦ م) .
 ثم ضمت مملكة دانية الى مملكة سرقسطة فاصبح يحكمها :
 ٣ - المقتدر السرقسطى ٤٦٩ - ٤٧٤ هـ (= ١٠٧٦ - ١٠٨١ م) .
 ٤ - المنذر بن المقتدر ٤٧٤ - ٤٨٤ هـ (= ١٠٨١ - ١٠٩١ م) .

٢٢ - مملكة مرسية

- ١ - خيران صاحب المرية ٤٠٣ - ٤١٩ هـ (= ١٠١٢ - ١٠٢٨ م) .
 ٢ - زهير صاحب المرية ٤١٩ - ٤٣٠ هـ (= ١٠٢٨ - ١٠٣٨ م) .
 ٣ - عبد العزيز المنصور (من بلنسية) ٤٣٠ - ٤٥٣ هـ (= ١٠٦١ - ١٠٦٥ م) .
 ٤ - عبد الملك المظفر (من بلنسية) ٤٥٣ - ٤٥٨ هـ (= ١٠٦١ - ١٠٦٥ م) .
 وفى أيام هؤلاء الثلاثة الحكام كان أبو بكر أحمد بن طاهر حاكم مرسية ثم مات سنة ١٠٦٣ م (= ٤٥٥ هـ) .
 ثم خلفه ولده محمد ٤٥٥ - ٤٧١ هـ (= ١٠٦٣ - ١٠٧٨ م) .
 ثم المعتمد الأشبيلي ووزيره ابن عمار وابن رشيق حتى سنة ٤٨٣ هـ (= ١٠٩٠ م) .

٢٣ - مملكة المرية

- ١ - خيران : ٤٠٣ - ٤١٩ هـ (= ١٠١٢ - ١٠٢٨ م) .

- ٢ - زهير ٤١٩ - ٤٣٠ هـ (= ١٠٢٨ - ١٠٣٨ م) .
 ٣ - عبد العزيز المنصور من بلنسية ٤٣٠ - ٤٣٣ هـ (= ١٠٣٨ - ١٠٤١ م) .

بنو تجيب (بنو صمادح)

(بضم التاء وفتح الجيم وسكون الياء)

- ٤ - معن بن محمد بن صمادح ٤٣٣ - ٤٤٣ هـ (= ١٠٤١ - ١٠٥١ م) .
 ٥ - محمد بن معن (المعتصم) ٤٣٣ - ٤٨٤ هـ (= ١٠٥١ - ١٠٩١ م) .
 ٦ - أحمد بن محمد (معز الدولة) ٤٨٤ هـ (= ١٠٩١ م) .
 ثم انتقلت المرية الى يد المرابطين .

ملحق بالرسمين العربى واللاتينى
للمن والأعلام الواردة فى هذا الكتاب
بأجزائه الثلاثة

**ثبت باسماء الاعلام والأماكن حسب رسميتها
العربى واللاتينى**

Acci	وادی البقاع
Achila	وقلة
Aciscle	اسكيل
Airos	ايرش
Alafoens	حصن الأخوين
Alanje	قلعة الحنش
Alava	البية
Albarracin	السهلة • شنت مرية الشرقى
Alacacer de Sol.	قصر أبى دانس
Alcala	القلعة
Alcala de Guadaira	قلعة وادى ابره
Alcala la Real	قلعة يحصب
Alcala de Guadaira	قلعة وادى ايرة
Alcira	جزيرة شقر
Alcoba	القبه
Alcubilla	حصن القبيلة
Alcedo	الليط - الليبط (حصن)
Algarve	الغرب (غرب الأندلس)
Algeciras	الجزيرة الخضراء
Alger	الجزائر
Alhama	حصن الحامة
Alhandega	الخندق
Alhambra	الحمراء
Alicante	القنيط - لقنت

Aljarafe	الشرف (من أعلى اشبيلية)
Aila	أيلة
Almazare	المصارة - المعصرة
Almería	المرية
Almodaver	حصن المدور
Almohades	الموحدون
Almoravides	المرايطون
Almunecar	المنكب
Alphonse	أنفونش (ألفونس)
Alpuente	اللبث
Andujar	اندوش
Angelino	بنو انجلين
Anzalcazar	حصن القصر
Aqua Portora	أقوة برطرة
Aragon	أرغونة
Archidoan	أرشذونة
Arcila	أصيلة
Arcos	أركش
Armilla	أرملة
Artavasdes	أرطباس
Arzila	أرذيلة
Asturias	أشتوريش
Atienza	انتسة
Aurore	صبح (أم السلطان هشام المعروف بالثاني)
Avempace	ابن ياجة
Badajoz	بطلبوس
Baena	بيانة
Bactica	باطقة
Bacza	بياسة
Bakdura	بقدورة (أو نقدورة)
Baléares	جزائر البليار • الجزائر الشرقية
Baltana	بلتنة

Banos (los)	الحامة
Barbastro	حصن برّيشتر * (حصن بويشترو)
Barcelona	برشلونة
Basques	البشكنس (البشقاوية)
Bayona	بونة
Baza	بازة
Beja	باجة
Belda	بلده
Bembuzar	بلنيسر (بكسر الباء واللام وسكون النون ثم باء وفتح السين ، وهى عند ابن أبى القوطية : نهر وادى قيس)
Benadalid	بنو خالد
Bouabdil	أبو عبد الله (آخر ملوك غرناطة)
Babastro	بريشتر (أو بويشترو البلد)
Bougie	بوجة
Brénes	البحريون
Burgos	برغش
Butr	البتري
Cabra	قبرة
Cadiz	قادس
Calabre	قلورية (أو قلهورية)
Calahorra	» (أو قلهور أو قلهرة)
Calatayud	قلعة أيوب
Calatrava	قلعة رباح
Calle (la)	مرسى الخرز
Calsena	قلسانة
Campagne de la puissance suprême	غزوة القدرة
Campo de Calatrava	فحص البلوط
Campina	القنّبانية
Canète	قنيط
Canète la Real	قلعة قنيط
Cantos	لقنت

Carabolia	كركبولية
Carabuey	« «
	كركى (عند صاحب مرصد الاطلاع ولكنها كركر عند ابن عذارى ، وكرافرى عند الادريسي)
Caracuel	قرقشونة
Carcassonne	قرقسنتال
Carcastillo	قرمونة
Cormona	قرطاجنة
Carteya	قرطاجة
Carthagène	قرطاجنة الجديدة
Cartagonova	قشنتالة
Castille	عقبة البقر (قشنتالة القديمة)
Castilla la Vieja	عقبة البقر
Castille de Bachar	حصن بوبشترو
Castillon (el-)	قشترمورش
Castro Moros	قلعة شنت برية
Castro de Santaver	قطالونيا
Catalogne	حصن قسطلونة
Cazlona	سرطانييس أو سرطانية أو سردانية
Cerdagne	سبقة
Ceuta	السيد • القمبياطور
Le Cid	قلونية
Clunia	الخابور
Chaboras	قارلة (شرلمان)
Charlemagne	شندلة
Chintila	قلمرية أو قلنبرية
Coimbra	قلنبرية • قنبرة
Colombera	قمارش
Comares	قورة
Coria	قرطبة
Cordove	جزيرة اقريطش (كريت)
Crête	

Cuenca	كونكة • قونكة
Cutelobera	قطلبرة
Dénia	دانية
Djarnacas	شرنكاس (جبل قرب طليطلة)
Djehane	جهان (المغنية)
Duero	نهر دويرة
Ebra	نهر ابرو
Egilona	ايلة
Ejea	شبة
Eclja	استجة
Ejea	شبة
Ello	اله
Elvira	البيرة
Emèse	حمص
Empedocles	امبيدوكليس
Espararaguera	حصن اشبرغرة
Estepa	اشتبيط
Euphrate	الفرات
Evora	يابرة (لاروة ؟)
Falces	فالجش
Favila	فافلة
Fuente de Cantos	لقنت
Finana	فنت طحنة
Fortunio	فرتون
Froila	فرويلة
Frontière	بلاد الشفر
Funtin	الفونتين
Gabes	قابس
Gades	قادس
Galice	جاليقية
Galicia	جاليقية
Garcia	غرسية

Gaton	غثون
Génil	شنيل (نهر)
Gibraleon	جبل العيون
Gijon	حيجون
Guidad Rodrigo	نيودارو رودريجو
Gomez	قومس
Grenade	غرناطة
Guadal Bullon	وادی بلون
Guadacelet	وادی لكّة
Guadaira	وادی ايره
Guadalete	وادی الفتح
Guadalquivir	الوادی الكبير
Guadarrama	وادی الرمل
Guadiana	الوادی الیانع
Quadiela	نهر اليه
Guadimellato	ارملاط
Guadalajara	وادی الحجارة
Guadix	وادی آشی
Guazalato	وادی السليط
Halaet	حصن ليط
Huebar	وهر
Huesca	وشقة
Huelva	ولبة (انية)
Hyacinthe	برلنت
Isle Verde	جزيرة أم حكيم
Iviza	يابسة
Iznájar	حصن اشر
Jaen	جيان
Janda	بحيرة جاندا
Jarama	وادی شرنبة

Jativa	شاطبة
Jean	جيان
Jerez	شريش
Jodar	شوندر
Jorge	بنو الجريج
Juñiles	شبالس
Julian	خوليان (أوبوليان)
Kantis	قنتيش • قنطيش
Lacant	لقنت
Lago de la Janda	بحيرة جاندا
Lebrija	نبريشة
Lerida	لاردة
Lisbonne	لشبونة
Loja	لوشة
Lorca	لورقة
Lucene	لاشانة
Luque	حصن أقوط
Lusitania	لستانبة
Mairena	مورة
Majorque	ميورقة
Malaga	مالقة
El-malo	الخبيث (أردون)
La Mancha	لامنقة
Margueritte	حصن مرغيطة
Martinez	بنو مردنيش • حصن بنى مردنيش
Medellin	مدلين
Medinaceli	مدينة سالم
Menjibar	منجبار

Medina Sidonia	مدينة شذونة
Menteleon	حصن المنتلون
Mentesa	حصن منتشة
Merida	ماردة
Mertola	مارتلة
Minho	منهو (نهر)
Minorque	منورقة
Mola	حصن مولة
Monteaguido	حصن منت اقيط
Montefique	حصن منت فيقي
Montemor	حصن منت ميور
Mula	مولة
Narbonne	أربونة
Noalejo	حصن نوالش
Nicbla	لبلة
Osconoba	اكشونية
Orihuela	أوريولة
Urrique	أراق (أو أوراك زوجة الفونس)
Pampluna	بنبلونة
Paterna	بطرنة
Pelayo	بلای
Pelage	بلای (زعيم عصبة التوار ضد الفتح الاسلامی)
Peralta	بيطرة التة
Parcella	البراجلة
Pierre sèche	عبد الله البطرشك
Poitier	تور أو بواتييه
Polei (Poley)	بلای (حصن وبلد)
Recemundo	الربيع زيد بن (بريسيموندو)
Reigo	رية

Reuda	روطة
Rodrigo	لفتريق
Roncevaux	باب شيزروا
Ronda	رندة
Rotenda	سجن رندة
Rota	روطة
San Ascido	كنيسة شنت اشكيل (او اسكيل)
Sebarico	بنو شبرقة
Sacralias	واقعة زلافة
Salado	وادی بكة
Salamanca	شلمنقة
Salamanque	« «
Saltés	جزيرة سلطيش
Sancho	شنجة • شانجة
Sanchol	عبد الرحمن بن المصور
San Estevan de Gormez	شنت اشتين (شنت مورش)
San Martin	شنت مرتين
San Payo	شنت بلاية
San Viceate	كنيسة شنت بنجنت
Sant Maria	شنت مرية
Santa Maria de Lugo	قلعة لك
Santa Maria d'Aljarav	شنت مرية الغرب
Santarem	شنترين
Santa Rufina	كنيسة شنت رافنية (او ريينة)
Santiago	شنت ياقب
Saragosse	سرقسطة
Sarambo	وادی شرمبة
Sarra la Gothe	سارة القوطية
Satl	شاوّل
Secuda	شقندة
Segura	شقدمرة
Segoyuela	السواقي
Sened	شند

Servando	شبرند
Seville	اشبيلية
Sidona	شدونة
Sierra Morena	جبل الشارات
Sieta Filla	شنتفيلة
Silves	شلب
Simances	شنت مانكش (وقعة الخندق)
Sindola	شندلة
Slaves	الصقالبة
Somontin	جبل شنتمان
Sontebria	شنت بريا
Sufetula	سبطينة
Tage	نهر تاجه
Servando	شربند (بن حجاج القومس)
Takrunna	تاكرونا
Talavera	طالبرية
Tanger	طنجة
Tarascon	طريسكونة
Tejiare	تليارة
Tocina	طشانة
Teodomiro Ben Ergobado	تدمير بن عبدوش
Toledo	طليطلة
Torre-Cardela	حصن قرنديرة
Torrox	طرش
Tortosa	طربوشة
Tota	طوطة (ارملة شانجة الكبير)
Toulenne	طولننة

Trafalgar

الطرف الأغر

Trijillo

ترجيلا

Triana

طريانة

Tudele

تطيلة

Tudmir

تدمير

Ulla

أيلة

Umba

أونبة

Valmuza

وادي موسى

Villabaruz

حصن بارو

Villena

بلانة

Witiza

غيطشة

**المصادر والمراجع المستعملة
في الأصل والترجمة
للأجزاء الثلاثة**

١ - المصادر العربية

- ابن الأبار : الحلة السيرة نشره دوزى فى
Notices sur quelques manuscrits arabes, Lyden, 1847-1851
- ابن الأبار : كتاب التكملة لكتاب الصلة ، حققه A. Bel ، ومحمد
ابن شنب (ج ١) ، الجزائر ، وانظر بقيته ، ج ٥ ، ٦ ، تحقيق
F. CODERA (*Complementum libri Assilah*), Bibl. Ar. Hisp., t. V-VI,
Madrid, 1887; éd. M. ALARCON et A. GONZALEZ PALEN-
CIA, (app. à l'éd. CODERA), dans *Miscelanea de estudios y
textos arabes*, Madrid, 1915.
- ابن الأثير : الكامل فى التاريخ (تحقيق ج . تورنبرج ، ليدن
١٨٦٧ - ١٨٧٦ ، وانظر القسم الخاص بالمغرب واسبانيا تحقيق
E. FAGNAN, *Annales de Maghreb et de l'Espagne*, وترجمة
Alger, 1901.
- الادريسي : نزهة المشتاق نشره دوزى ودى خويه بعنوان :
Nuzhat al-mustak, Description de l'Afrique et de l'Espagne, Lyden,
1866.
- أحمد بن أبى يعقوب : كتاب البلدان ، حققه ونشره دى خويه فى
الجزء السابع من مجموعة Bibl. George, Arab.
- اخبار مجموعة ، نشر محققا ومترجما الى الاسبانية بقلم لافونت
الكانثرا ، مدريد ١٨٦٧ .

— أبو اسماعيل البصرى : فتوح الشام ، نشره Lees ، فى كلكتا بالهند ، ١٨٥٤ فى مجموعة Bibliotheca Indica

— الاصطخرى : كتاب مسالك الممالك ، تحقيق دى خويه ، منشور فى A.G.A., t. I.

— ابن أبى أصيبعة : طبقات الأطباء ، القاهرة .

— ابن بدرون : قصيدة ابن عبدون ، منشور بعنوان :

Commentaire historique sur le poème d'Ibn-Abdoun, pub. par R. Dozy, Leyde, 1846.

— ابن بسام : الذخيرة ، ج ١ مخطوط باريس ، و ج ٢ مخطوط اكسفورد ، ج ٣ مخطوط جوته ، ونشره بالعربية د. شوقى ضيف و د. عبد العزيز الأهوانى .

— ابن بطوطة : الرحلة حققت ونشرت بعنوان :

Voyages, ed. Defremery et Sanguinetti, Paris, 1853 et suiv.

— ابن بشكوال : كتاب الصلة ، حققه ونشره كوديرا بعنوان :

(Abenpascualis : Assila., Bibl. Ar. Hisp., t. I-II. Madrid, 1883.

— تاريخ ابن حبيب (مخطوط اكسفورد) ، انظر فهرست مخطوطات de Nicoll رقم ١٢٧ .

— ابن حزم : طوق الحمامة ، تحقيق Petrof ، ليدن ١٩١٤ .

— ابن حزم : كتاب الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، طبع بالقاهرة ، سنة ١٣١٧ - ١٣٢١ .

— الحميدى : معجم التراجم ، مخطوط رقم Hunt 464 باكسفورد .

— ابن حوقل : كتاب المسالك والممالك ، طبعة دى خويه فى مجموعة B.G.A., t. II.

— ابن حيان : كتاب المقتبس فى أخبار الأندلس (مخطوط بمكتبة

جامعة اكسفورد ، بودليان ، رقم ٥٠٩ ، نشره M. Antisna

— ابن خاقان : قلائد العقيان (طبعة باريس) ، ومطبع الأنفس ، طبعة القاهرة .

— الخشنى : كتاب قضاة قرطبة ، نشره وترجمه الى الاسبانية
J. Ribera ، مدريد ١٩١٤ .

— ابن الخطيب : كتاب الاحاطة في تاريخ غرناطة (مخطوطة مكتبة
الاسكوريال برقمى ١٦٧٣ ، ١٦٧٤) ، ونشر فى القاهرة جزء منه
بعنوان مركز الاحاطة ، ١٣٤٧ هـ .

— ابن خلدون : كتاب العبر (حققه دى سلين ونشره بالجزائر بعنوان
Hist. des Berbercs ١٨٤٧ - ١٨٥١ ، ثم قام بترجمته الى

الفرنسية ونشره بالجزائر سنة ١٨٥٢ - ١٨٥٦ ، وانظر طبعة
القاهرة للمقدمة وترجمتها بقلم كاترمير ودى سلين .

— ابن خلكان : وفيات الأعيان : (تحقيق فوستنفلد) طبعة جوتنجن ،
١٨٣٥ - ١٨٤٣ .

— ابن خير : الفهرست ، نشره كوديرا وريبيرا فى Index liborum de
divers Scientiarum ordinabus. ج ٩ ، ١٠ ، مدريد ١٨٩٥ .

— ديوان الحماسة ، حققه ونشره فريتاج فى بون ١٨٢٨ بعنوان :
Hamasa Carmina.

— الرازى : ترجمته الاسبانية بعنوان
Cronica del Moro Rasis (les memorias de la Academia de la
Historia, t. VIII.

— ريحان الألباب (مخطوط بمكتبة ليدن) ، رقم ٤١٥ ، وانظر
Dozy Catalogue, t. I., pp. 268-269.

— ابن أبى زرع : روض القرطاس ، نشره تورنبرج فى أويسالا سنة
١٨٤٣ بعنوان : Annales regnum mauritaniae

— سعيد الطليطلى : طبقات الأهم (تحقيق لويس شيوخو) ، بيروت
١٩١٢ .

— الشهرستانى : الملل والنحل ، حققه ونشره W. Cureton فى لندن
١٨٤٢ بعنوان : Book of Religions and Philosophical Sects.

— الضبى : بغية الملتبس فى تاريخ رجال أهل الأندلس حققه ونشره
F. CODERA et J. RIBERA (*Desiderium quaerentis historiam virorum
populi Andalusiae*), Bibl. Ar. Hisp., t. III, Madrid, 1885.

— الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق دى خويه ، ليدن ١٨٧٩ —
١٩٠١ .

— ابن عبد الحكم : تاريخ فتح الأندلس (النص العربى) ، وترجم
قسما منه J. H. Jones ، لندن ، ١٨٥٨ ، وأتم ترجمته Torrey
الى الانجليزية .

— عبد الواحد المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق
دوزى ، وانظر ترجمته الانجليزية بعنوان : The History of the
Almohades. ، ليدن ١٨٤٥ ، وأيضا ترجمته الفرنسية :

E. Fagnan : Hist des Almohades, Algiers, 1893.

— ابن عذارى : كتاب البيان المغرب فى أخبار ملوك الأندلس والمغرب ،
نشر دوزى الجزئين الأول والثانى منه بعنوان :

Hist. de l'Afrique et de l'Espagne intitulée al-Bayano' l'mogrib, Leyde,
1848-1851.

وترجمه الى الفرنسية فانيان ، (الجزائر ١٩٠١ — ١٩٠٤) ، أما
الجزء الثالث فقد حققه ونشره ليفى بروفنسسال ، وطبعه فى
باريس ، ١٩٣٠ .

— الفاكهى : تاريخ مكة (مخطوط بمكتبة ليدن ، رقم ٤٦٣ ، وانظر
Dozy : Catalogue, t. II, p. 170.

— فتح الأندلس : مع ترجمته الاسبانية بقلم J. Gonzalez ، طبعة
الجزائر ١٨٨٩ .

— أبو الفرج الأصبهاني : كتاب الاغانى ، طبعة بولاق .

— ابن الفرصى : تاريخ علماء الأندلس (حققه كوديرا) ونشره بعنوان
Historia vivorum doctorum Andalusiae (Bibl. Ar. Hist.), Vol. VII
et VII. مدريد ١٨٩٢ .

— ابن قتيبة : المعارف (تحقيق ونشر فوستنغلد) ، طبعة جوتنجن ،
١٨٥٠ .

- القزوينى : حققه فوستنفلد ونشره فى جوتنجن ١٨٤٨ ، بعنوان :
Cosmographie .
- ابن القوطية : افتتاح الأندلس ، نشره ريبيرا بالعربية مع ترجمة
له بالفرنسية ، وطبع فى مدريد ١٩٢٦ .
- أبو المحاسن (ابن تفرى بردى) : حوادث الدهور ، طبعة حينبول ،
ليدن ، ١٨٧٢ وما يليها .
- المسعودى : مروج الذهب ، (٩ أجزاء) ، نشره بالعربية وترجمه
الى الفرنسية باربييه دى مينارد ، ودى كورتيل ، باريس ١٨٦١ —
١٨٧٧ .
- المقرئ : نفع الطيب (تحقيق دوزى و Brell بريل ، و Wright
رايت ، ونشروه بعنوان :
Analectes sur l'Histoire de la litterature des Arabes d'Espagne.
- ليدن ١٨٥٥ — ١٨٦١ ، وانظر طبعة بولاق ١٢٧٩ هـ .
- النووى : تحقيق فوستنفلد ، جوتنجن ، ١٨٤٢ — ١٨٤٧ .
- النويرى (القسم الخاص بتاريخ الأندلس) حققه وترجمه الى
الاسبانية Gaspar Remíro ، غرناطة ، ١٩١٧ — ١٩١٩ .
- ياقوت الحموى : معجم البلدان (تحقيق ونشر فوستنفلد) ،
ليبزج ، ١٨٦٦ .

- ALVARO, Vita Enlogii, dans l'Esp. sagr., t. X ; Epistolae, Indiculus
luminosus, ibid., t. XI.
- Annales Complutenses, dans l'Esp. sagr., t. XXIII.
- Annales Compostellani, dans l'Esp. Sagr., t. XIII.
- Annales Toledanos, dans l'Esp. sagr., t. XXIII.
- BERGANZA, Antigüedades de Espana, Madrid, 1719.
- Chronicon Adefonsi Imperatoris, dans l'Esp. sagr., t. XXI.
- Chronicon Albeldense, ibid., t. XIII.
- Chronicon Burgense, ibid., t. XXIII.
- Chronicon de Cardena, ibid., t. XXIII.
- Chronicon Complutense, ibid., t. XXIII.
- Chronicon Compostellanum, ibid., t. XXIII.
- Chronicon Contimbricense, ibid., t., XXIII.
- Chronicon Iriense, ibid., t. XX.
- Chronicon Lusitanum, ibid., t. XIV.
- Espana sagrada, éd. Flores, Risco, etc., Madrid, 1747-1879. 51 vol.
- EULOGIE Opera, in Schot, Hispania illustrata, t. IV, ed éd. A. DE
MORALES, Francfort, 1603-08, Alcala de Henares, 1574.
- Historia Compostellana, dans l'Esp. sagr., t. XX.
- IDATIUS, Chronicon, ibid., t. IV.
- ISIDORE DE BEJA, ibid., t. VIII, éd. TAILHAN, L'Anonyme de
Cordoue, Paris, 1885.
- SIODORE DE SEVILLE, Historia Gothorum, ibid., t. VI.
- LUCAS DE TUY, Chronicon mundi, in SCHOT, Hispania illustrata,
t. IV.
- Manuscrit de Meya, dans les Memorias de la Academia de la Historia,
t. IV.

MOINE DE SILOS, *Chronicon*, dans l'Esp. sagr., t. XVII.

PAULUS EMERITENSIS, *De vita P. P. Emeritensium*, *Ibid.*, t. XIII.

PELAGE D'OVIEDO, *Chronicon regum legionensium*, *ibid.*, t. XIV.

RODRIGUE DE TOLEDE, *De rebus hispanicis*, in SCHOT, *Hispania illustrate*, t. II; *Historia Arabum*, in Elmacini *Historia Saracenica* ed. ERPENIUS.

Sampiro, *Chronicon* (dans l'Esp. Sagr., t. XIV).

SAMSON, *Apologeticus*, *ibid.*, t. XI.

SEBASTIEN, *Chronicon*, *ibid.*, t. XIII.

SOTA, *Chronica de los principes de Asturias y Cantabria*, Madrid, 1681.

Vita Beatae Virginis Argenteae, dans l'Esp. sagr., t. X.

Vita Johannis Gorziensis, dans Pertz, *Monumenta Germaniae*, t. IV des *Scriptores*.

المسلمون في الأندلس

كشف عام

للأجزاء الثلاثة

من الترجمة العربية

كشاف عام للأجزاء الثلاثة من كتاب المسلمون في الأندلس

- | | |
|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| <p>أحياء علوم الدين للغزالي : ١٦١/٣</p> <p>• الأحييمر : ١٨٩/١</p> <p>• الأدب العبري : ٢٣/٣ ، ٢٤</p> <p>• الأدب العربي : ٨٦ ، ٨٥/١ ، ١٣</p> <p>• ٢٤</p> <p>• الأدب اللاتيني : ٨٥/١ ، ٨٦</p> <p>• الأدارسة : ٧٧/٢ - ٧٩ ، ٢٤٧</p> <p>• ادريس أمير مالقة : ٣٤/٣</p> <p>• ادريس بن يحيى : ٦٨/١ ، ٦٩</p> <p>• ١٩٨</p> <p>• ادريس بن حمود : ١٧/٣ ، ١٨</p> <p>• ادريس بن يحيى بن علي بن حمود :</p> <p>• ٤٢/٣ - ٤٥</p> <p>• آدم (عليه السلام) : ٩/٢</p> <p>• أديلارد الراهب : ١٢٢/١ ، ١٢٣</p> <p>• أذربيجان : ٧/٢</p> <p>• أراجون : ١٦٧/٣</p> <p>• الارتداد : ١٥٢/١</p> <p>• أرجنتيا بنت عمر بن حفصون</p> <p>• المنصرة : ١٢١/١ ، ١٣٢</p> <p>• أرجونة : ٣٢/٢</p> <p>• أرداليس : ٢٦١/١</p> <p>• أريدست الأمير : ٥١/١</p> <p>• أرونيو بن ألفونس : ١٣٥/١</p> <p>• ٢٣/٢ ، ٢٤ ، ٢٦ - ٢٩ ، ٢٣١</p> <p>• أرونيو الأسقف : ٨٠/٣ ، ٨٢</p> <p>• الأرز : ١٣١/١</p> | <p>• إبراهيم بن ادريس : ١٢٤/٢</p> <p>• إبراهيم بن الأغلب : ١٨٦/١</p> <p>• ٢١٠</p> <p>• إبراهيم بن حجاج : ١٧٩/١</p> <p>• ١٨٠ ، ٢٠٥ - ٢٠٧ ، ٢٠٩</p> <p>• ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٩ ، ٢٢٤</p> <p>• ٢٢٥</p> <p>• إبراهيم بن خمير : ١٨٤/١</p> <p>• أبرشية سنت جرمان : ١٢٢/١</p> <p>• ١٢٤</p> <p>• الأبنوس ٥١/٣ ، ١٠٦</p> <p>• الاثنا عشرية (طائفة) : ١٠/٢</p> <p>• احراق الكتب العربية : ٢٥٠/١</p> <p>• أحمد بن اسحق : ٣٢/٢ ، ٣٣</p> <p>• ٢٣٥</p> <p>• أحمد بن برد الكاتب : ١٩٩/٢</p> <p>• أحمد بن خالد : ٢١٤/٢</p> <p>• أحمد بن سلمة : ١٢٤/١</p> <p>• أحمد بن أبي العباس البربري :</p> <p>• ٢٣٢/٢</p> <p>• أحمد بن محمد بن العباس : ٢/٢</p> <p>• ٢٣٦ ، ٢٣٥</p> <p>• أحمد بن محمد بن أبي عبدة : ٢/٢</p> <p>• ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦</p> <p>• أحمد بن يعلى : ٤٠/٢ ، ٤٧ ، ٥٤</p> <p>• ٢٣٨</p> <p>• أحمد بن معاوية الأموي : ٢١٧/٢</p> <p>• ٢٣٠</p> |
|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|

اسحق بن ابراهيم بن منتسفة
 الشالية : ٢٢٣/١
 أبو اسحق الألبيري : ٧٥/٣
 اسحق بن محمد بن عبد الله : ٣/
 ٥٧

أبو اسحق بن مقانا (قاضي
 بطليوس) : ١٣٠/٣
 اسطبة : ٢٠٩/١
 اسطبل الخليفة : ٦٤/٢
 الأسفنج : ٧١/٢
 أسقف قرطبة : ١٠٩/١
 اسكندرية : ٦٨/١ ، ٢٤٨ ، ٤٦/٢ ،
 ٦٦ ، ٧٩ ،
 الاسلام : ٤/١ ، ٥ ، ٦ ، ٩ ، ١٤ ،
 ٤٩ ، ٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ،
 ١٨/٢

أسلمة بن عبد العزيز القاضي : ١/
 ٢٢٥ ، ٢٢٦

أسماء بنت غالب : ٩٩/٢ ، ١٠٠
 اسماعيل بن ذي النون : ١٤/٣
 اسماعيل بن القاضي محمد : ١٦/٣
 ١٧ ، ٣٤ ، ٣٥ ،
 اسماعيل بن المعتضد : ٧٠/٣ -
 ٧٢ ، ٧٤

الاسماعيلية : ٨/٢ - ١١ ، ١٣
 الاسهال : ٩٨/١

أسوارد الراهب : ١٠٠/١ ، ١٠١
 أسور فرناند الليوني : ٤٣/٢
 آسيا : ١٩٣/٢ ، ١٤/٣ ، ١٥٠
 أشبيلية : ٥/١ ، ٣٢ ، ٤٦ ،
 ١٣٦ ، ١٧١ ، ١٦٥ ،
 ١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ٢٠٥ ،
 ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢١٣ ،
 ٢١٤ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٦٥ ،
 ٣٣/٢ ، ١٨٤ ، ١٨٩ ، ١٩٥ ،
 ١٩٩ ، ٢٠٥

أرزيلة : ٢٠٨/١ ، ٧٧/٢
 أرشدونة : ٤٥/١ ، ١٤٦ ، ١٩٧ ،
 ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٢٠ ،
 ٢٢٣ ، ٢٥٩

أرسطو : ٣٧/١
 أرغونة : ٢٦١/١ ، ٥٩/٣
 أركش : ٢٠٦/١ ، ٦٢/٣ ، ٦٤ ،
 ٦٨

أرملة لذريق : ٤٨/١

الاسبان : ٤/١ ، ٤٦ ، ١٥١ ،
 ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ،
 ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٨١ ، ١٨٤ ،
 ٢٠٩ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٧/٢ ،
 ١٢ ، ١٣ ، ١٥ ، ٢٤ ، ١١١ ،
 ١٣٧ ، ١٤٧ ، ١٤٨

اسبانيا : ٣/١ ، ٤ ، ١٤ ، ١٥ ،
 ٢١ ، ٢٧ ، ٣٠ - ٣٣ ، ٣٥
 ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٨ ،
 ٥٢ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ٢٤٠ ،
 ٧/٢ ، ١٣ ، ١٣ ، ١٥ ، ٢٤ ،
 ١١١ ، ١٣٧ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ،
 ١٥/٣ ، ١٢١ ، ١٣٧ ، ١٤٩

اسبوط : ٢٣٨/١

الاستنار : ٢٠٧/٢

استجة : ٤٥/١ ، ١٥١ ، ١٦٨ ،
 ١٨٣ ، ١٨٧ ، ١٩٦ ، ٢٠١ ،
 ٢٠٣ ، ٢٠٨ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ ،
 ١٥١/٢ ، ٣٤/٣ ، ٣٥

استرامادورا : ١٨١/١

استروجا (موضع) : ٣٣/١

استورقة : ٨٠/٣

الاستشهاد المسيحي : ٤/١ ، ٩٦ ،

١٠٩ ، ١٢٦ ، ١٨٥

استيلا : ٢٣٣/٢

اسحق (صاحب قرمونة) : ٥٨/٣

أكاديمية العلوم بسنت بطرسبرج :
١٥/١ .

أكاديمية العلوم بكوبنهاجن : ١٥/١
أكاديمية لنسي : ١٥/١ .

أكسفورد : ١١ ، ٩/١ .

أكشونية : ١٨٢/١ ، ٢٣٤ ، ٢/٢
١٨٩ .

اكل لحم الكلاب : ١٣٥/١ .

أكويتانيا : ٢٩/٢ .

الالان Allans : ٣٠/١ ، ٣٢ ،
٣٣ .

الاريك القوطي : ٢٣٨/١ .

البيرة : ٤٥/١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ،
١٤٦ ، ١٥٢ - ١٥٦ ، ١٥٨ -

١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٨١ ،

١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٩٨ ، ٢٠١ -

٢٠٤ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ،

٢٣٣ ، ٢٧٦ .

الالحد : ١٥٢/١ .

الزانكو (موضع) : ١٦/٢ .

الطمشكة : ١٦٨/١ ، ١٧٤ .

الفارو : ٨٧/١ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٠٣ ،

١١٠ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ٢٥٣ ،

٢٥٥ ، ١٥٣/٣ .

الفارو فاينز : ١٢٨/٣ ، ١٣٢ ،

١٥٣ .

الفونس ملك ليون : ١٢٦/١ ، ١٣٥ ،

١٣٦ ، ١٤٤ .

الفونس السابع : ١٦٣/٣ ، ١٦٧ ،

١٦٩ .

الفونس السادس : ١٠٣/٣ ، ١٠٦ -

١٠٨ ، ١٢١ ، ١٢٥ - ١٢٩ ،

١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٤٤ ،

١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٦٥ ،

١٦٧ .

الفونس الأول : ١٦/٢ .

الفونس الثالث : ١٧/٢ ، ١٨ ،

١٣٩ .

الفونس بن أردونيو الثاني : ٢٩/٢ ،

٣٠ .

الفونس الرابع : ٣٠/٢ ، ٣١ ،

اشتبيط : ١٨٣/١ .

اشتورقة : ١٦/٢ ، ١٢١ ، ١٣٠ .

اشتوريا : ١٤/٢ ، ١٥ ، ٢٢٩ .

الاشتوريون : ١٥/٢ ، ٥٥٠ ، ١٠٠ ،

الأشراف : ٣٧/٢ ، ٨٠ ، ١١٤ ،

١٢٧ ، ٢١٣ ، ٢٢٠ ، ١٠/٣ .

أشونة : ٣٤/٣ .

أصبغ بن عبد الله بن ونسون : ١/١

٢٤٧ .

الأصيلي (أبو محمد بن عبد الله

بن ابراهيم الأموي) : ٢٥٤/٢ .

أصيلة : ١٤٢/٢ .

الاضطهاد الديني : ٣٨/١ ، ١٥٢ ،

٢٣٧ .

الأعاجم : ٦٧/١ .

الاعتقال : ١٨٥/٢ ، ٢٠٧ .

اعتماد (هي الرميكية) : ٩٢/٣ ،

٩٤ .

أعمدة هرقل : ١٦٨/٣ .

الأغالية : ١٢/٢ ، ٢٢٠/١ .

الاغتيال : ٩٩/٢ .

الأغرام : ٢٠٧/٢ .

الاغريق : ٣٨/٢ .

أغمات : ١٧٤/٣ - ١٧٧ ، ١٨١ ،

الافرنج : ٣٢/١ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٧٧ ،

١٤٢ ، ٢٠١ ، ١٥/٢ ، ٢٤ ،

٣٠ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٧٧ ،

٨٠ ، ٨٧ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٣٧ ،

١٧٠ ، ١٩٨ ، ٢٤/٣ ، ٤٥ ،

١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٤٠ ، ١٦٣ ،

١٦٨ .

أفلح بن عروس : ٢٧٤/١ .

أفيل : ١٦/٢ .

أقريطش : ٢٤٩/١ .

أقليم البقاع : ٢٤٢/١ .

أقليم دوبري : ٦/١ .

أقليم ليسانا : ١٦/٢ .

أكاديمية الآثار والأدب الفرنسية :

١١٢/١ .

أكاديمية التاريخ بمديره : ١١/١ ،

١٥ .

أمير المؤمنين (لقب الناصر لدين الله) :

• ٣٠/٢

أمين الخولى : ٢٤٥/١

الأناجيل : ٨٥/١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ،

• ١٣٨

أنتونيا كوندية : ١٠/١

• أنتيزة : ٢٤/٢

• انجلترا : ٩/١

انجلمان (العالم الهولندى) : ١٢/١

• انجيل متى : ٨٩/١

• اندروجر : ١٢١/١

• الأندلس : ٦/١ ، ٩ ، ١٠ ، ٦٨ ،

٧٠ ، ١٢/٢ ، ١٣ ، ٢٥ ، ١٠/٣ ،

• ٣٣ ، ٤٥ ، ١٤٠ - ١٤٢ ، ١٦٣ ،

• الأندلسيون : ٦٩/١

• اندوشر : ١٦٨/٣

• انيادة فرجيل : ٢٥٢/١

• أنيتا كايزر (السيدة) : ٢٣/١

• اهدار الدم : ١٤٩/٢

• أهل السنة : ١٠/٢ ، ١٣ ،

• أهل الكلام : ٢٢٨/٢

• أوباش (أخو غيطشة) : ٤٦/١

• أوتو الأول (امبراطور ألمانيا) : ٢/

• ٣٧ ، ٢٣٦

• أوتيه : ١٦٨/٣

• أوكيوس (الشاعر) : ١١١/١

• أودو (أمير أكويتانيا) : ٢٢٩/٢

• أوراك بنت فرناند كونثالث أرملة

أردونيـو الثالث ، ثم تزوجت

أردونيـو الرابع (: ٤٢/٢ ، ٥١ ،

• ٢٣٩

• أوربة : ١٣/١ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢/

• ١٣٨

• أوريليوس (القديس) : ١٢٣/١

• ٢٥٨ ، ١٢٤

الفونس الخامس : ١٦٢/٢

• الفونس القوطى القمص : ١٤١/١

• الفيتيس الأسقف : ٨٠/٣٠ - ٨١

• الألمان : ٣٨/٢ ، ٢٣٦/١

• ألمانيا : ٨/١ ، ٩ ، ١٤ ، ٣٦ ،

• ٣٩/٢ ، ٥٣ ، ٥٧ ، ١٣٩ ،

• المرية : ١٥/٣ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٦ ،

• ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٣ ، ٧٥ ، ١٢٩ ،

• ١٢٢ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٢ ،

• ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ،

• ١٧٧

• اليزابت (عمّة ايساك الراهب) :

• ١٠٠/١

• أم القرى : ١١٦/٣

• امارة كنتمونتتا : ١٥/٢

• أمارى (ميشيل) : ٢٤٣/١

• الأمالى (للقالى) : ٦٧/٢

• الامام مالك بن أنس : ٥٨/١ ، ٧٠ ،

• الامام المستور : ٩/٢

• الأمان : ١٧٣/١ ، ٢٠٣ ، ٢٢٣ ،

• ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٥/٢ ، ٨٢/٣ ،

• الامبراطور أوجستوس : ٢٣٨/١

• الامبراطور قسطنطين الأول : ٢٨/١ ،

• ٣١ ، ٣٧ ، ٤٩

• الإمبراطورية الايرانية : ٧/٢

• الامبراطورية البيزنطية : ٦٨/١

• أمبيلد وكليس : ١٣/٢ ، ٢٨٨ ،

• الأمويون : ٦١/١ ، ١٤٦ ، ١٨١ ،

• ١٩٤ ، ٢٢٧ ، ٧٧/٢ ، ١٥١ ،

• ١٩٢٠ - ١٩٥ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ،

• ٢١٦

• أمية (أخو جعفر) : ٨٠/١ ، ١٧١ ،

• ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٩ - ١٨١

• أمية بن اسحق : ٣٣/٢ ، ١٣٥ ،

• أمية بن عبد الرحمن العراقى : ٢/

• ٢٢١ - ٢٢٤

• الأمير (لقب) : ٣٠/٢

٢٦/٣ - ٣٠ ، ٣٤ - ٣٧ ، ٤٥ ،
 ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٧ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٠ ،
 ٧٢ - ٧٦ ، ١٤٣ - ١٤٨ ،
 الباز الأشهب (البص) : ٩٩/٣ -
 ١٠١ ،
 بازو : ١٣٩/٢ ، ١٣٩/٣ ، ١٦/٢ ،
 ٢٦١ ،
 بايزو : ١٦٨/٣ ،
 بازيل : ٣٢١/١ ،
 البتر : ١٧١/١ ،
 البحر الأبيض المتوسط : ٦٨/١ ،
 البحر الأسود : ٣٨/٢ ،
 البحيرة : ٤٤ ، ٢٤٢ ،
 البخل : ١١٩/١ ،
 بدر بن أحمد الحاجب : ٢٦/٢ ، ٨٧ ،
 بدر الدين الحاجب الصقلبي : ١/١ ،
 ٢٢٦ - ٢٢٤ ، ٢٢٢ ، ٢١١/١ ،
 ابن بدرون : ٩/١ ،
 بدرية الداخني : ٢٣/١ ،
 بدو الميط : ١٣٢/٣ ،
 بر العدو : ٤١/٣ ،
 برجا : ٣٢/١ ، ٣٣ ، ١٦/٢ ،
 البرانس : ٣١/١ ،
 برانس قرمونة : ١٦٨/١ ،
 البربر : ٣٩/١ ، ٤٤ ، ٦٠ ، ٧٢ ،
 ٨٠ ، ١٣٥ ، ١٨١ ، ٢١٩ ، ٢٣٥ ،
 ١١/٢ ، ١٦ - ١٩ ، ٤١ ، ٧٨ ،
 ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢٣ ، ١٣٣ ،
 ١٤٢ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٥ ،
 ١٦٦ ، ١٧٠ ، ١٧٧ ، ١٨١ ،
 ١٨٥ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ،
 ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٧ - ١٩٩

الأوزاعي : ٢٤٥/١ ،
 أوزو (بول) : ٣٤/١ ،
 الأوقاف : ١٩٥ ، ١٩٤/٢ ،
 أونولون (أخت أيولوج) : ٨٩/١ ،
 ١٢٤ ، ١٢٥ ،
 إيجيكا الملك : ٣٨/١ ،
 ايريه : ١٣٨/٢ ، ١٤١ ،
 ايزيدور (أسقف أشبيلية) : ١/١ ،
 ٣٧ ، ٢٤٠ ، ٨٠/٣ - ٨٢ ،
 ايزيدور (أسقف الفرما) : ٣٧/١ ،
 ايزيدور الباجي : ٤٨/١ ، ٢٤١ ،
 ايساك الراهب : ١٠١/١ ،
 ايطاليا : ٢٣٦/١ ، ٣٨/٢ ، ٥٧ ،
 ١٣٩ ، ٧/٣ ،
 الأيل (حيوان) : ١٢٩/٢ ،
 أيولوج : ٨٥/١ - ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٥ ،
 ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠١ - ١٠٣ ، ١٠٧ -
 ١١٢ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٤ -
 ١٢٦ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ - ٢٥٥ ،
 باب الجسر : ٦٧/١ ،
 باب الحديد : ٩٠/٢ ،
 باب الحمام بالقصر : ٢١٤/٢ ،
 باب السدرة : ٦٢/٢ ، ٩٠ ،
 باب شيزروا : ٢٣٣/٢ ،
 باب الفصيل : ١٨٧/١ ،
 باب القنطرة : ١٨٧/١ ،
 البابا ليو الأول : ٢٦١/٢ ،
 البابا ليو الثالث : ١٣٨/٢ ،
 باجة : ٤٨/١ ، ١٨٢ ، ٢٣٤ ، ٢/٢ ،
 ١٧٩ ، ١٢/٣ ،
 ابن باجة : ١٦٦/٣ ،
 باجوداي (أي الفلاحون) : ٢٣٧/١ ،
 باديس بن حبوس : ١١/١ ، ١٢٤ ،

- برقة : ١٢/٢
- برلنت (غلام السلطان) : ٥٩/١
- ٦٦
- برليون (مطران سرقسطة) : ٣٦/١
- برمان بن يزيد : ١٥٠/٢
- برميدو الثاني (ملك ليون) : ٢/٢
- ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٨
- ١٢٩ ، ١٣٨
- برهون العبد : ٣٦/٣
- بريهة بنت أبي برطل التميمي : ٢/٢
- ٧٣
- البزلياني (أبو عبد الله) : ٧٠/٣
- ٧١
- يزنت : ٢٤٦/١
- أبو البسام الكاتب : ٧٠/١ ، ٧١
- بسون (سم الملوك) : ٩٨/١
- البشكنس : ٣٢/١ ، ٢٣٣/٢
- البطرشك (عبد الله بن عبد العزيز بن محمد) : ١١٦/٢ ، ١٣٠
- ٢٥٨ ، ٢٥٦
- بطرنة : ٨٢/٣
- بطليوس : ١٣٤/١ ، ١٣٦ ، ١٣٧
- ١٦٨ ، ١٨١ ، ٢٣٤ ، ٤٠/٢
- ٧٣ ، ٧/٣ ، ١٢ ، ١٣ ، ٥٧
- ٥٨ ، ١٣٧ ، ١٥٦ ، ١٥٧
- البعلی الشاعر (عبد الرحمن ابن أحمد) : ١٦٢/١ ، ٢٦٢
- البغال : ٧٨/١ ، ١٤٧ ، ١٧٢ ، ٢/٢
- ١٧٣
- بغداد : ٧٦/١ ، ٧٧ ، ٢١٢ ، ٢٧١
- ٥٦/٢ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ١٥٠ ، ٣/٣
- ٢٤ ، ٣٣
- بفتريرة : ٢٧٤/١
- ابن بقنة : ٢٥/٣ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٤١
- ٣٠ ، ٣٤ ، ٤١

- ٢٠٥ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٧/٣ - ٩
- ١١ ، ١٢ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٢
- ٢٥ ، ٢٦ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥
- ٥٢ ، ٥٧ ، ٦٠ - ٦٤ ، ٦٧ ، ٦٨
- ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٤ ، ١٤٢
- ١٤٣
- بربر البتر : ١٦٨/١
- بربر البرانس : ١٦٧/١
- بربر برانس جنيد : ١٧٠/١ ، ١٧٩
- بربر رندة : ٤٥/٣
- بربر الساحل : ٢٦١/٢
- بربر طنجة : ٢٢٠/١
- بربر غرناطة : ٤٦/٣
- بربر قادش : ١٦٧/٣
- بربر قرمونة : ١٢/٣ ، ١٦ ، ٥٧
- ٥٨
- بربر كتامة : ١٨١/١
- بربر مادلين : ١٦٧/١
- بربر ماردة : ١٦٧/١ ، ١٦٨
- بربر بنى المهلب : ٢٣٣/١
- بربر مورور : ١٧١/١
- البرتغال : ١٨٢/١ ، ١٣٩/٢
- البرتغال : ١٣١/١ ، ٢١٩
- برج ابن خلدون : ٢٦٥/١
- برج قادش : ١٦٧/٣
- برج كورتيانا : ٢٤٢/١
- البرجوازية : ٢٧/١
- ابن برد (أبو حفص ... الكاتب) : ١٦٢/٢
- برشلونة : ١٢٢/١ ، ١٣٤ ، ٢٤٣
- ١٢٢/٢ ، ١٤٧ ، ٢٣٥ ، ٢٥٤
- ٢٥٧
- برغش : ٣١/٢ ، ٤٣ ، ٤٥
- يرفكتوس القسيس : ٩٥/١ - ٩٨
- ١٠١ ، ١٠٨

- بنو الأقطس : ٧/٣
- بنو حمود : ٧/٣ ، ٩ ، ٤١
- بنو ذو النون : ٨/٣
- بنو سهيل : ١١٨/٣
- بنو عباد : ١٠/٣
- بنو ماكسن : ٣٥/٣
- بنو مزين : ٩٥/٣
- بنو هود : ٧/٣ ، ١٦٦
- بنو يفرن : ٨/٣
- بهير (زوجة الأمير عبد الرحمن) :
- ٩٧/١
- بوبشيترو (وانظر حصن) :
- ١٨٣ ، ١٥٩ ، ١٤٤/١
- ١٩٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤
- ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥
- ٢٦١ ، ٢٧٤ ، ٨٣/٣
- بورتو : ١٦/٢
- بول أورور الكاهن : ٣٣/١ ، ٣٤
- ٢٣٨
- بولص الشماس : ١٠٢/١
- بياسة : ٢١٧/١ ، ٩٠/٢ ، ١٢٢
- بيت المال : ١٣٦/٢
- بيروت : ١٤/١
- البيزرة : ٩٠/٢
- بيطرة اللت : ٢٩/٢
- البيطسة : ١٩٣/١
- تاريخ مسلمي اسبانيا (كتاب) :
- ١٢ ، ٣/١
- ابن تاكيت المصمودي : ١٨١/١
- تاهرت : ١٤٢/١ ، ١٤٣ ، ٢٥/٢
- ٢٦
- التجار : ١٧٢/١ ، ١٦٣/٢
- التجارة : ٣٧/١ ، ١٦٦ ، ١٥٨/٢

- ابن بقي الشاعر : ١٦٠/٣
- ١٦٠/٣
- بقيرة : ٢٨/٢ ، ٢٩ ، ٢٣٢
- أبو بكر بن ابراهيم : ١٦٦/٣
- أبو بكر بن معاوية القرشي : ٢/٢
- ٧٣ ، ٦٧
- بكر (حفيد زافيدو النصراني) :
- ١٨٢/١
- بكر بن يحيى : ١٨٢/١
- بلاط طليطلة : ٤٣/١
- بلاي (شخص) : ١٨٧/١ ، ١٩٣
- ١٩٤ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠١ -
- ٢٠٣ ، ١٤/٢ ، ١٥ ، ٢٢٩
- ابن بلبوس : ١٢١/١
- بلتيرة : ٢٦/٢
- بلج (قائد جندحمص) : ١٠/٣
- بلجيكا : ١٥/١
- بلجين بن حبوس : ١١٣/٢ ، ١١٢
- ٢٦/٣ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٣
- ٣٦
- بلدة الفتاح : ٢٣٥/١
- بلديحون أخت فلورا : ٩١/١ ، ٩٢
- بلنسية : ٣٣/١ ، ١١٢ ، ٢٢٣
- ٩٥/٢ ، ١٩٤ ، ٢٠٥ ، ٨٢/٣
- ٨٣ ، ١١١ ، ١١٧ ، ١٢٧ - ١٢٩
- ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٥٧
- ١٥٨
- البلوط : ١٣١/١
- ببلونة (أو بانبلونة) : ١٦/٢
- ٢٩ ، ٥١ - ٥٣ ، ٦١ ، ١٤٧
- ٢٣٣
- بميلة : ٢٧٤/١
- البنادقة : ٣٧/٢
- بنريشة : ٢٠٦/١
- بنفتتو : ١٢٢/١

- التجديف : ١٠٣ ، ١٠١ ، ٩٩/١ ،
١٠٧ ، ١١٢ ، ١٢٠ ،
١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٨٥
التجريس : ١٥٤/٣
التجيبى (أبو الأحوص معد) : ٢/١١٧
التجيبى (عبد الرحمن بن مطرف) :
١٢٧/٢
التجيبى (أبو يحيى محمد بن
عبد الرحمن بن عبد العزيز :
١٨١/١ ، ٢٧٣ ، ٧٩/٢ ، ٨٠ ،
١٢٨
تحرير التزاوج : ٣٩/١
تدمير (موضع) : ٢٣٤ ، ٢٠٥/١
تدمير الراهب : ١٠١/١
تدمير الملك : ٤٧/١ ، ٢٤٢ ، ٢/١٢٢
تراجنواز (اقليم) : ٣٣ ، ٣٢/١
ترجيلة : ١٨١/١
التزوي بزى النساء : ٢١٦/٢
التسميد : ١٥٠/٢
التسمير : ٢٣٣/١ ، ١٦٦/٢
التسميم : ١٤٧/١
تسيبولد المستشرق : ٢٤٢/٢
التشريق : ١١/٢
التشيع : ٣٣/٢
النصوف : ١٠٠/١
تطيلة : ١٦/٢ ، ٢١٨ ، ١٣٥/١ ،
٢٧ ، ٢٦ ، ١٩
التعذيب بالحرق : ١٤١/٣
التعميد : ١١١/١
التفاح : ١٣١/١
تقبيل البساط : ٦٣/٢
تقبيل اليد : ٦٣/٢
- التكبير بالحديد : ١٤٦/١ ، ٢٠٦ ،
١٩٩/٢
التلمود : ٢١/٣ ، ٢٣ ، ٢٤
تمام بن أبي العطف : ٢٥٧/١
تميم صاحب مالقة : ١٣٩/٣ ، ١٤٩ ،
التنصير : ٢٠٧/١
تنصير اليهود : ٣٨/١
التهريب : ١٣٢/١
التهود : ٣٩/١
تولون (زوج ارجنتيا) : ٢٢١/١
تونس : ٧٩/٢ ، ١٢٢
توينبى Toynbee (المؤرخ البريطانى):
٢٣٨/١
التيل : ١٧٨/١
التين : ١٣١/١ ، ١٦٥ ، ٧١/٢
تونس : ٧٩/٢ ، ١٢٢
تيودومير (أسقف ايريه) : ١٣٨/٢
ثابت بن محمد المرجاني : ٣٣/٣
الثغر الأدنى : ٩٦/٢
الثغر الأعلى : ٨٠/١ ، ١٣٤ ، ٢٣٣ ،
٢٤٧ ، ٢٨/٢ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ١٢٧ ،
١٢٨
نمود : ١٧٥/١
ثورة الربض : ٧٥/١
التيران : ١٧٠/١
جابر (خادم ابن عمار) : ١١٧/٢ ،
١١٨
ابن جابر (محمد بن حفص) :
١٠٣/٢
جالند الوصيف : ٢٦٦/١
جامع الزاهرة : ١٥٠/٢

- ٢١٧ ، ٢٢٦ ، ١٢٣/٢ ، ١٤٢ ،
 ١٧٦ ، ١٩١ ، ١٩٨ ، ١٧/٣ ،
 ٤٢ ، ٤٥ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ،
 ١٣١ ، ١٣٩ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ،
 • ١٧٨
- جزيرة شلطيلى : ٥٩/٣ •
 الجزيرة العربية : ١٤/١ •
 جزيرة ميورقة : ٩٥/٢ •
 جست (القديسة) : ٨٠/٣ ، ٨١ •
 جسر استجة : ١٥١/٢ •
 جسر سان مارتين : ٢٤٢/١ •
 جمد : ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٤ •
 جعفر الحاجب : ٦٤/٢ •
 أبو جعفر القليعى (انظر القليعى) :
 ١٣٠/٣ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٦ •
 جعفر بن عثمان المصطفى : ٨٦/٢ -
 • ٨٨
- جعفر بن على الأندلسى : ١١٣/٢ ،
 • ١١٧ ، ١٢١ •
- جعفر بن على بن حمدون : ٧٩/٢ •
 جعفر بن عمر بن حفصون : ٢٣١/١ ،
 • ٢٣٢
- الجغرافية : ١٧٨/١ •
- الجلد : ٣٨/١ ، ٩٩ ، ١٤٢ ، ٢٠٤ •
 جليقية : ١٥/٢ ، ٣٠ ، ٤٥ ، ٦٤ ،
 • ٦٥ ، ١٢١ ، ٢٥٠ •
- الجمعية الألمانية للدراسات الشرقية :
 • ١٥/١
- الجن : ٧٧/١ •
- الجنة : ٨٧/١ •
- جند مورو : ١٧٢/١ •
- جنبند : ١٧٩/١ •
- جنوة : ٤١/٢ •
- الجهاد : ١١/٢ •

- جامعة ليدن : ١٤ ، ١٢ ، ٨ ، ٦/١ •
 جان التاجر : ٩٩/١ •
 جانيقا : ١٥٦/٣ •
 جائزة خولنى : ١٢/١ •
 جبال أطلس : ١٦٧/٣ •
 جبال البرانس : ٣١/١ •
 جبال تيريزا : ١٤٤/٣ •
 جبل بريجو : ١٨٢/٢ ، ١٤٧/١ •
 • ٢٣٣
- جبل بوبسترو : ١٤٢/١ ، ١٤٣ •
 جبل جرنكش : ٢٣٥/١ •
 جبل رندة : ١٤١ ، ١٣١/١ •
 جبل رية : ٢٢٥ ، ١٢٦/١ •
 جبل الزيتون : ١٦٧/١ •
 جبل سيراناد : ٢٢٥/١ ، ٢٦٦ •
 جبل الشارات : ١١٦/١ •
 جبل طارق : ٢٤٢ ، ١٣٢ ، ٤٤/١ •
 • ٨٥/٣ ، ١٣١ •
- جبل مالقة : ١٣١/١ •
- جبل مورور : ١٢١/١ •
- الجبليون : ٢٧/١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ •
 جدريلا (الشريف القوطى) : ١/١ •
 • ١٥٢
- جرجان : ٣٣/٣ •
- الجرمان : ٣١/١ ، ٤٨ ، ٣٧/٢ •
 جرور القائد : ١٥٦/٣ •
 جرير الشاعر : ١٧٩/٣ •
 جريميه (عم ايساك الراهب) :
 • ١٠٠/١
- الجزائر : ٣٠/٢ ، ١٣٠/٣ •
- جزر البليار : ٣٢/١ ، ٩١/٢ ، ٩١/٣ •
 • ٧
- الجزية : ٤٠/١ ، ٤٨ ، ٥١ •
- جزيرة اقریطش : ٦٨/١ •
- الجزيرة الخضراء : ٤٣/١ ، ٧٧ •

- الحامة (بلد) : ١٤٦/١
- حباسة (ابن أخى زاوى) : ٢/٢
- ١٨٤
- الحبس : ١/٩٦ ، ٩٩ ، ١٨١ ، ٢٢٧ ، ١٩٤/٢
- حبس الدويرة : ١/٦٧ ، ٧٢
- حبوس (أخو حباسة) : ٢/١٨٤
- ٧/٣ ، ٨ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦
- حبيب (القائد) : ١/٢٢٥ ، ٢٢٧
- حبيب (رجل من الأوسـاب) : ١٢/٣
- حبيب الصقلى : ٢/٣٨
- حبيبة بنت سليمان الخليفة : ٢/٢٠٣
- الحجابة : ٢/٢١٥ ، ٣/١٢ ، ٢٢ ، ٧٠
- الحجاز : ١/٢١١ ، ٢/٧١
- حجر النسر : ٢/٢٤٧
- الحدادة : ١/٣٧
- الحديث (علم) : ١/١٤
- الحديد : ٢/٢١٩
- حدير : ١/٦٧
- ابن حدير الوزير : ٢/٧٦
- حديقة منية السرور : ٢/١٥١
- حران : ٢/٩
- أبو حرب (من بربر برانس) : ١/١٨٣
- الحرس الأسود (= الحرس السودانى) : ٣/١٤
- حرق البلد المفتوح : ٢/١٢٢
- حرق الجنة : ١/١٠١
- حرق السوق : ٢/٧١
- حرق كتاب احياء علوم الدين : ٣/١٦١ ، ١٦٢

- جهنم : ١/٨٩
- ابن جهور (أبو الحزم جهور بن محمد) : ٢/١٠٣ ، ١٩٤ ، ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٨/٣ ، ١٦
- ابن جهور (الوليد محمد بن جهور) : ٥٨/٣
- الجوارى : ٣/٥٨
- جويتر : ٣/٤٣ ، ٤٤
- ابن جودى (انظر سعيد بن سليمان) : ١/٢٠٢ ، ٢٦٢
- جوزر : ٢/٨٥ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ٢٤٨
- جورج الراهب : ١/١٢٤
- جورج القديس : ١/١٢٣
- جوزى ماريا (قاطع الطريق) : ١/١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٤٥
- جوفينال : ١/١١١ ، ٢٥٢
- جوهرة (جارية المعتمد) : ٣/١٠١
- الجياد : ١/١٧٠ ، ١٧٢ ، ٢/١٧٣
- جيان : ١/١٤٦ ، ١٨٢ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٣٣٣
- ٢/١٩٥ ، ١٩٧ ، ٣/١١٢ ، ١٦٨
- جيبون (Edward Gibbon) المؤرخ : ١/٢٣٨
- جيحون : ٢/١٥
- جيش الحضرة : ٢/٩٧
- جيهان المغنية : ١/١٦٠ ، ١٦١
- الحاجب : ١/٢١١ ، ٢/٣٧ ، ٨١ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٠٠ ، ١٠٧
- ١٢٦ ، ١٣٣ ، ١٧٤ ، ١٨١
- الحاجب ذو الوزارتين : ٢/١٠٠
- الحاكة : ٢/١٦٤

• حصن بيانة : ١٨٦/١
 • حصن الجبل المقدس : ١٥٣/١ ،
 • ١٥٤

• حصن جرماز : ١٨٢/٢
 • حصن جيان : ٢٢٢/١
 • حصن الحامة : ٩٢/٢ ، ٢٥٠
 • حصن رندة : ١٥٥/٣
 • حصن الزاهرة : ٧١/٣
 • حصن سرية : ١٢٥/٣
 • حصن سمورة : ١٧/٢
 • حصن شقورة : ١١٨/٣
 • حصن شمنقة : ١٧/٢
 • حصن شنت بلاية : ١٤١/٢
 • حصن شنت شافر : ١٥٣/١ ، ١٥٤
 • (راجع حصن الجبل المقدس)
 • حصن شنت شتيب دى جرمان : ١/١
 • ١٨٣ ، ١٧/٢ ، ١٩ ، ٢٧ ، ٦٥
 • ١٨٢ ، ١٢٩

• حصن شنت فيلة : ١٧٤/١
 • حصن شنت منكس : ١١٦/٢
 • حصن شوذر : ١٨٢/١
 • حصن طرش : ٧٢/٢
 • حصن طريف : ١٥٣/٣
 • حصن ابن عمرو : ١٨٣/١
 • حصن عمرو : ٧٩/١ ، ٨١
 • حصن قاشتر مورش : ٢٤/٢
 • حصن قتورية : ١٢٥/٣
 • قزديرة : ٢٧٦/١
 • حصن القصر : ١٠٥/٢
 • حصن قلقرة : ٢٧/٢
 • حصن قلوينة : ١٢٩/٢
 • حصن كازلونا : ١٨٣/١
 • حصن كاستيولون (Castillon) :
 • ١٤٣/١

• حرق الكتب : ٢٣٧/١ ، ١٤/٢
 • حرق المدن والقرى : ٤٧/١ ، ٨٠ ،
 • ٢٠٤

• الحرق بالنار : ١٢/٢ ، ١٣
 • الحرير : ٣٨ ، ٣٧/٢ ، ٨٥/١ ،
 • ٧٥ ، ٨٥ ، ١٣٥ ، ١٩٣ ، ٢١٥
 • ٢٦٧ ، ٢٢٢
 • ابن حزم المؤرخ : ١٥/٣
 • ابن حزم الوزير أبو المغيرة : ١٥٢/٢ ،
 • ١٥٣ ، ١٨٥ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ،
 • ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ،
 • ٢١٧

• حسام الدين بن رزين : ١٢٨/٣
 • حسداى بن شبروط : ٤٥/٢ ، ٥٢ -
 • ٢٣٩ ، ٥٥

• الحسن بن كزون الادريسي : ٧٧/٢
 • الحسن بن يحيى : ١٦٣/٢

• حشو المسلوخ بالتبن : ٤٢/٢
 • الحصادى (صاحب أحد الحصون) :
 • ٧١/٣

• حصن أجوبلار : ١٨٦/١
 • حصن الأخوين : ١١/٣ ، ١٢ ، ١٧
 • حصن أزنات : ١٤١/١

• حصن استروجا : ٣٣٠/١
 • حصن أشبر جيزة : ٢٧٦/١
 • حصن أقرط : ٢٠٦/١ ، ٢٧٠
 • حصن أوث : ١٤١/١

• حصن بزة : ١٦١/١
 • حصن بلاى : ١٨٦/١
 • حصن بلج : ١١٣/٣

• حصن بوبشترو : ١٤٥/١ - ١٤٧
 • ٨٣ ، ٨٢/٣

الحكم بن سعيد (الحائك الوزير) :
 ٢١٨/٢ - ٢٢١ .
 الحكم الحراني : ٩٧/١ ، ٩٨ .
 حلف الجوار : ١٧٣/١ .
 حمامات الكهف : ٢٤٢/١ .
 حمدون الساحرة : ٣٣/٢ .
 ابن حمديس الشاعر : ١٧٨/٣ .
 بن حمدين (الفقيه قاضي الجماعة
 بقرطبة : ١٦٠/٣ - ١٦٢ .
 الحمراء : ١٥٣/١ ، ١٥٥ ، ١٥٦ .
 حمص : ١٠/٣ ، ٥١/١ .
 حملة كركبولة : ٢٢٢/١ .
 حنش الصنعاني : ١٥٢/١ ، ٢٦٢ .
 الحنطة : ٧٨/١ .
 حوثة بن عباس : ٣٣/٢ .
 ابن حوشب : ١٠/٢ .
 ابن حوقل : ١٢/٢ ، ١٤ ، ٥٦ ،
 ١١٢ .
 الحياكة : ٢١٩/٢ .
 ابن حيان المؤرخ : ١٥/٣ .
 الحيرة : ١٠/٣ .
 خاتم الخليفة : ١٦٣/٢ .
 الخازن التجيبي : ٢١١/١ .
 خالد بن خلدون : (أبو كريش) :
 ٢٠٤/١ ، ٢٠٦ .
 الخبز : ١٨٧/١ ، ٣٣/٢ .
 الختان : ٣٨/١ ، ٨٦ .
 ابن الخدا : ٥٩/١ ، ٦٠ .
 الخراج : ٤٨/١ ، ١٢٢/٢ .
 الخرص : ٦٧/١ ، ٢٤٨ .
 الخرمية : ٧/٢ ، ٢٢٧ .
 خزنة الروس : ٦٤/٣ .
 ابن خزرون البربري : ٦٢/٣ .
 الخصيان : ١٠٧/١ ، ١٠٨ ، ١١٢ ،

حصن كركبولة : ١٨٢/١ .
 حصن كركر : ١٣٦/١ .
 حصن كرونيا : ١٨٢/٢ .
 حصن الليط : ١٢٩/٣ ، ١٣٧ -
 ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٤ .
 حصن ليكون : ١٨٢/٢ .
 حصن مالفة : ٤١/٣ ، ٤٤ ، ٧٣ .
 حصن المدور : ١٢٦/٣ ، ١٥٣ .
 حصن مرجريت : ١٨٣/١ .
 حصن منتسة : ١٦١/١ .
 حصن المنتلون : ١٨٣/١ ، ٢٢٣ ،
 ٢٦٦ .
 حصن مورور : ٢٣٥/١ .
 حصن مولة : ٩٧/٢ .
 حصن مونت أقوط : ١١٥/٣ .
 حصن مونت ميور : ١٧٨/٣ .
 حصن نبريشة : ١٧٠/١ .
 الحصري (راجع خلف الحصري) :
 الحضارمة : ١٦٩/١ .
 حضرموت : ١٦٦/١ .
 حفص بن عمر بن حفصون : ١/
 ١٤١ .
 حفص بن المدور : ١٥٩/١ .
 أبو حفص الهوزني (انظر الهوزني)
 ٨٤/٣ .
 حفصون بن عمر البلوطي : ٦٨/١ ،
 ٢٤٩ ، ٢٣١ ، ١٥١ .
 الحكم الأول : ٥٧/١ ، ٦٠ - ٦٢ ،
 ٦٥ - ٧١ ، ١٤١ .
 الحكم الثاني بن عبد الرحمن الناصر :
 ٤٥/٢ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٧ ،
 ٧١ ، ٧٤ ، ٧٧ - ٨١ ، ٨٥ ،
 ٨٧ ، ٩١ ، ٩٥ ، ١١٥ ، ١٥٠ ،
 ١٦٥/٣ ، ١٥١ .

- ٢٤٣/٢ : دار الناعورة ، ٣٨/٢ ، ٢٠٧ ، ١٢٦ ، ١١٩ ، ٦٤ ، ١٩٣ ، ٢٤٩
 الدائرة (الحرس السلطاني) :
 • ٢٧٥ ، ٢١٥ ، ٢١٤/٢
 دانية : ١٥٦ ، ٧/٣
 ابن دراج القسطلي : ٢٦١/٢
 الدرقة : ١٥٤/٢
 الدردي (الفتى الصغير) : ٩١/٢
 أبو دريد : ١٥٠/٢
 دس السم في الطعام : ٢٢٤/١
 • ٢٦١/٢
 دق الطبول : ٤١/٢
 دقلديانوس : ٢٩/١ ، ٣٠ ، ٢٣٧ ، ٢٥٤
 الدقيق : ١٠٣/٢
 دمشق : ٥١/١ ، ٦٦/٢
 دوجان : ١٩/١
 دورو : ٨٢/٣
 دوزي : ٤/١ - ١٧ ، ٢١ ، ٢٢
 دولة الأغالبة : ١٢/٢
 دولكينس (الأسقف) : ٢٨/٢
 دون باسكوال دي جايانجوس : ١/١
 • ١١
 دوناش بن لبيث : ٢٤١/٢
 ديدم : ٣١/١
 دير بطرس : ٣١/٢
 دي سلين de Slane : ١٩ ، ١٤/١
 دير أملين : ١٤٥/٢
 دير بامبلونا : ٨٦/١
 دير بناسلاريا : ١٢٣/١
 دير بيرسلوانا : ١٢٦/٢
 دير تابانوس : ١٠١ ، ١٠٠/١ ، ١٢٢
 دير سان سلفادور دي ليون : ٢/٢
 • ٦٦
 دير ساماجون : ٣٠/٢ ، ١٢٦
 دير سبيران ديو : ٩٠/١
- ١٨١/٣ : ابن الخطيب الوزير
 • ٣/٢ : ابن الخلائف
 • ٦/١ : خلدرا (Galder)
 خلع العباءة (احتراماً) : ٦٣/٢
 خلع البرنس احتراماً : ٦٣/٢
 ابن خلف : ١٧٨/٣
 خلف بن بكير : ٢٣٤/١
 خلف الحصري : ١٥/٣ ، ١٦ ، ٦٩
 خلف الصراف : ٢٠٩/١
 الخلفاء العباسيون : ٧٦/١
 خليج فيجو : ١٤١/٢
 خليج مالقة : ٤١/٣
 الخليفة الأموي : ١١٣/٢
 خليفة بغداد : ١٨٦/١ ، ٢٠١
 الخليفة الفاطمي : ١١٢/٢ ، ١١٣ ، ١٣٣
 الخليفة المهدي العباسي : ٧/٢
 الخليفة الناصر لدين الله (راجع
 عبد الرحمن : ٢٢٦/١
 خليل بن المهلب : ١٨١/١
 الخمار : ٨٩/١
 الخمر : ١٠١/١
 الخنق : ٨٨/٢ ، ١٠٤ ، ٢١٥
 الخوارج : ١٥/٢ ، ٤١
 دي خويه (Goeje) : ١١/١ ، ١٥
 دي خيدس (Gides) : ١٨٢/١ ، ١٨٩
 خير بن شاكر : ١٨٢/١ ، ١٨٩
 خيران الصقلي : ١٧٧/٢ ، ١٨١ ، ١٩٠ - ١٩٨ ، ٢٠٥ ، ٢١٦
 • ٧/٣ ، ٢١٧
 الخيش : ٣٣/٢
 دار المعارف : ٣/١
 دار الملك : ٢١٥/٢
 دائرة الملك : ٢١٧/٢ ، ٢١٨ ، ٢٢٢

الراضى بن المعتمد (حاكم الجزيرة
الخضراء) : ١٣١/٣ ، ١٣٨ ،
١٤٨ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٧٠ ،
١٧٠ .

راميرو الثالث : (ابن شانجة ملك
ليون) : ٦٦/٢ ، ١١٦ ، ١١٧ ،
٢٤١ .

راميرو الثانى : ٢٧٧/١ ، ٣٠/٢ -
٣٣ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ،
٥٤ ، ٩٢ .

رايت المستشرق Wright :
١٩/١ .

الراين (نهر) : ٢٣٧/١ .
الربض : ٥٧/١ ، ٦٦ ، ٧١ ، ٧٢ ،
٧٥ .

الربض الجنوبي : ٦٧/١ ، ٦٨ .
الرجم : ١٣/٢ ، ١٤١/٣ .
رحبة مراکش : ٨٥/٣ .
رخص الأسعار : ٥٦/٢ .
الردة : ٥٢/١ .

رزقينا (القاضى السكسونى) : ٢/٢ ،
٥٧ .

رزق الله حاكم طنجة : ٤٥/٣ .
الرسالة الى فيليبس : ٩/١ .
رسم الصليب على الصدر : ٦٢/٢ .
الرسول (صلى الله عليه وسلم)
٤٣/٣ .

ابن رشد : ١٦٣/٣ .
الرشوة : ١٠٧/١ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ،
٩٧/٢ ، ١٨٥ ، ١٩٢ .

الرشيد بن المعتمد : ١١١/٣ .
١١٣ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٣٠ ،
١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٧٥ .

ابن رشيق : ١١٣/٣ ، ١١٤ ، ١١٧ ،
١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٤ .

دير سنت داميان : ١٤٤/٢ .

دير سنت كوزمو : ١٤٠/٢ .

دير شرطانييس : ٣١/٢ .

دير شوش : ١٦٦/٢ .

دير كاردنين : ٢٣٨/٢ .

ديفر يريميرى Defremery : ١/١ ،
١٩ .

ديسم بن اسحق (أمير تدمر) :
١٨٣/١ ، ١٨٩ ، ٢٧٤ ، ٢٥/٢ ،
٢٣٢ .

الدين الاسلامى : ٨٧/١ .

ديوان الجند : ٧٩/٢ ، ١٣٥ ،
١٦٣ .

ديوان الزندقة : ٨ ، ٧/٢ .

الذباب : ٧١/٢ .

ذخيرة ابن بسام : ٨/١ .

ذر رماد المصلوب : ١٠١/١ .

ابن ذكوان القاضى (أبو العباس
أحمد عبد الله) : ١٦٢/٢ ،
١٧٤ ، ٢٥٥ .

الذهب : ٧٨/١ ، ٢٢٧/٢ ، ٢٩/٣ ،
٣٠ .

ذلل بن يعيش : ١٨/٢ ، ٢٦ .

ذو الوزارتين : ٧٩/٢ ، ١٠٠ .

الذئب : ٨٩/١ .

رأس سان فنسانت : ٢٦٦/٢ .

رأس ظريف : ١٢٦/٣ .

١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٥١ ، ٢٣٣ ،
 ١٦/٢ .
 ريتشارد الأول (دوق نورمانديا) :
 ٦٦/٢ .
 رئيس المشيخة : ٢٢١/٢ .
 أبو ريش : ٣٥/٣ .
 ريكارد ملك القوط : ٣٥/١ .
 ريكافريد (رئيس أساقفة قرطبة)
 ١٠٧/١ ، ١٠٨ ، ١١٢ .
 الريفيون الأحرار : ٢٩/١ .
 ريموند كونت برشلونة : ١٧٥/٢ ،
 ١٩٤ .
 ريموند بيرانجز الناني : ١١١/٣ ،
 ١١٣ .
 رينان (الفيلسوف) : ١٠/١ ، ١٨ .
 رينهرت دوزي : ٦ ، ٣/١ .
 الريوشي : ٢٦٥/١ .
 ريولة (موضع) : ٢٢٧/١ .
 ريوننتو : ٥٨/٣ .
 الزاهرة : ١١١/٢ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ،
 ١٥١ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ،
 ٢٠٧ .
 زاوي الصنهاجي : ١٧٢/٢ ، ١٧٣ ،
 ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٦ ، ٧/٣ .
 الزبدي : (أبو بكر بن الحسن) :
 ١٠٩/٢ ، ١١٠ ، ٢٥٥ ، ١١/٣ ،
 ١٢ .
 الزواج : ٧٨/١ .
 الزرادشتيون : ٩/٢ .
 الزراعة : ٣٧/١ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٢/٢ ،
 ١٥٠ .
 زرياب المغمي : ٧٦ - ٧٩ .
 زفانة : ١٦٥/٢ .

الرصاص : ٢١٩/٢ .
 الرصافة : ١١٩/١ ، ٧٦/٢ ، ١٠١ .
 الرعاع : ١٦١/٢ ، ٢٢٠ .
 الرعى : ٣٧/١ .
 الرق : ٣٦/١ .
 الرقيق : ٢٧/١ ، ٣٠ ، ٣٨ ، ٢٣٧ .
 رقيق الأرض : ٢٧/١ .
 ركسفتن الملك : ٣٦/١ .
 ركوب الحمار بالقلوب : ٩٨/١ .
 الرمادي (أبو عمرو يوسف بن
 هرون) : ١٠٨/٢ ، ٢٥٤ .
 الرمان : ١٣١/١ .
 رميك بن حجاج : ٩٢/٣ .
 الرميكية (هي اعتماد) : ٩٣/٣ ،
 ٩٤ ، ١٠١ ، ١١٧ ، ١٥٠ ، ١٥٥ ،
 ١٧٥ .
 رندة : ١٤١/١ ، ٧/٣ ، ٦٠ - ٦٢ ،
 ٦٤ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٣ ، ٧٤ ،
 ١٣١ ، ١٥٦ ، ١٧٨ .
 الرهان : ٣١/١ .
 الرهبان : ٢٧/١ ، ٨٨ .
 روجر النرمندى : ٩٩/٣ .
 روسيا : ١٤/١ ، ١٥ .
 الروم : ١٧٥/١ .
 الروم (= ويقصد بها المسيحيون
 عامة) : ١٤٩/٣ ، ١٦٤ .
 الرومان : ٣٢/١ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٧ ،
 ٤٣ ، ٦٩ ، ١٦٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤٦ ،
 ٢٦٥ .
 رومة : ١٥/١ ، ٣١ - ٣٤ ، ٤٦ ،
 ١٥٢ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ١٣٨/٢ ،
 ١٣٩ .
 رية : ١٢٦/١ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٧ .

- سجن ايرش : ٤٤/٣
- سجن الحمراء : ٢٩/٣
- سجن الزهراء : ١٠١/٢ ، ١٠٨
- سجن المنكب : ٣٥/٣
- السحر : ١٧/٢
- سراج الدولة بن علي (أمير دانية) : ١١٨/٣
- سردينية : ٧/٣ ، ٣٣
- سرقسطة : ٣٢/١ ، ٣٦ ، ١٢٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٨١ ، ٢١٨ ، ٢٦٢ ، ٣٢/٢ - ٣٤ ، ٣٩ ، ٦٥ ، ٨٠ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ٢٣٥ ، ٧/٣ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٧٩ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٥ ، ١٦٦
- السروج : ١١٢/٢
- السروجية : ١٦٤/
- سروجية قرطبة : ٧٩/٢
- السرير : ٢١٥/٢
- السطيفي (عامل مالقة) : ٤٢/٣
- ابن السريع : ١٤٩/٢
- سعدون : ١٣٥/١ ، ١٣٦
- سعدون الخصى : ١١٣/١ - ١١٦
- سعدون الرمادي السرنباكي : ٢٥٩
- سعيد بن الحكم الجعفرى : ٢٤٤/٢
- سعيد بن سلمان بن جودي : ١/١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٦٠ - ١٦٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢١٩
- سعيد بن صالح بن سعيد بن ادريس ابن منصور : ٢٥/٢ ، ٢٣٢
- سعيد بن المنذر (الحاجب) : ٢٣٥
- سعيد بن المنذر (خطيب الجامع) : ١٨٥/٢

- زلاقة (انظر وقعة زلاقة)
- الزمرد : ١٤٨/٣
- الزنجبيل : ٩٣/٣
- الزندقة : ١٣/٢ ، ١٤٩ ، ٢٢٨
- الزنوج : ٤٤/٣ ، ٦٥/١
- الزهد : ٨٦/١ ، ١٠٠
- الزهراء : ١٠٢/٢ ، ١٧٦ ، ١٨٣ ، ٢٤٢ ، ٧٠/٣
- زهير الصقلبي : ١٩٧/٢ ، ١٥/٣
- ١٨ ، ٢٤ - ٢٩ ، ٣٣ ، ١١١
- زياد بن أفلح : ٨٦/٢ ، ١٠٨
- زياد بن عبد الرحمن اللخمي : ٢٤٥
- الزيتون : ١٦٥/١ ، ٢١٦
- ابن زيدون (الشاعر أبو بكر) : ١١٥/٣ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٤٠
- زيري بن عطية : ١٣٥/٢ - ١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٥٧
- سارة (حفيدة غيطشة) : ١٦٦/١
- سارة مارية (والدة رينهرت دوزى) : ٦/١
- ساليثاس (مكان) : ٢٣٣/٢
- سامراء : ١٠/٢
- السب : ٦٥/١
- سبتة : ٤٣/١ ، ٣٠/٢ ، ٦٢ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ١١٢ ، ١٤٢ ، ١٩١ ، ١٩٥ ، ٤١/٣ ، ٤٥ ، ٦٩
- سبتمانبا : ٢٢٩/٢
- السبي : ٢٣/٢ ، ٢٥
- ستوكس (مترجم الكتاب الى الانجليزية) : ١٣/١
- سجلنامه : ١٢٢/٢ ، ١٣٠/٣
- السجن : ١٠٧/١ ، ١٠٨

• سليمان بن هود : ١٩٦/٢ .
 • السم : ١٠٤/٢ ، ٤٢/٣ .
 • السم بالفاكهة : ٦٦/٢ .
 • السميط : ٧٨/١ .
 • السمح : ٤٧/١ .
 • سمل العيون : ٣١/٢ .
 • سمورة : ١٦/٢ ، ١٧ ، ٥٥ ، ١١٦ ، ١٢٦ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ .
 • سمير سرحان : ٢٣/١ .
 • السمسير (الشاعر) : ١٤١/٣ .
 • سنت أوجستين : ٣٣/١ ، ٥٠ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ .
 • سنت اندروز : ١٦/٢ .
 • سنت زويل : ٢٥٤/١ .
 • سنت فنسانت : ٥١/١ ، ١٢٢ .
 • سنترا : ١٥٦/٣ .
 • السنغال : ١٣٠/٣ .
 • سنيكا الفيلسوف : ٢٩/١ ، ١١١ ، سهل سُقندة : ١٩٣/١ .
 • السهلة (من أملاك بنى رزين) : ١٥٧/٣ .
 • سوار بن حملون الليثي : ١٥٤/١ - ١٥٦ ، ١٥٨ - ١٦١ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ٢٦٢ .
 • سوار بن طارق : ٢٤٦/١ .
 • السودان (قبيل) : ١٩٧/٢ ، ١٩٨ ، ٢٨/٣ ، ٣٤ .
 • سودان بن تاشفين : ١٣٤/٣ .
 • سوسة : ٥٤/٢ .
 • سوق فردان للرقيق : ٣٨/٢ .
 • السويف Suéves شعب
 • جرمانى : ٣٠/١ ، ٣٢ - ٣٤ .
 • السياقون : ٦٢/١ .
 • سينجوفيا : ١٦/٢ .

• سعيد المهدي : ١١/٢ .
 • سعيد بن المهلب : ١٨١/١ .
 • سعيد بن هذيل : ١٨٢/١ ، ٢٢٣ ، ٢٧٤ .
 • سعيد بن هرون : ٦٠/٣ .
 • ابن السقا : ١٠٢/٣ .
 • سقوط البربري (حاكم سبتة) : ٤٥/٣ ، ٦٩ .
 • السكر : ٩٣/٣ .
 • سكر الخصى : ٩١/٢ .
 • ابن سلام (والي شرطة ابن عمار) : ١٢٠/٣ .
 • السليخ : ٤٢/٢ .
 • السلطانة صبيح : ٧٤/٢ ، ٧٥ ، ٨٠ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٣٤ - ١٣٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ .
 • السلطانة طروب : ٩٧/١ ، ١١٣ ، ١١٤ .
 • سلفين المرسيل : ٣٤/١ ، ٣٥ .
 • سلمة بن هرام : ٢٧٤/١ .
 • ابن السليم القاضي : ٧٤/٢ ، ٨٩ .
 • ابن السليم (اسحق بن ابراهيم ابن محمد) : ١٨١/١ .
 • سليمان (الخليفة) : ٦٠/٣ .
 • سليمان (صاحب شذونة) : ١/٢٠٥ .
 • سليمان بن عبد الرحمن : ١٧١/٢ ، ١٩٢ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ .
 • سليمان بن عمر بن حفصون : ٢٣٢ ، ٢٣١ .
 • سليمان المستعين بالله : ١٧١/٢ ، ١٧٣ - ١٧٦ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٣ .

الصغير : ١٦١/٢ - ١٦٦ ،
١٧٠ ، ١٧٥ .

ابن الشبانسي : ١٤٩/٢ .

ابن شبرقة : ١٧٢/١ .

شبه جزيرة آييريا : ٢١/١ ،
١٢/٢ .

شدونة : ٤٦/١ ، ١٥٤ ، ١٦٧ ،

١٨١ ، ١٨٣ ، ٢٠٥ ، ٢٩٩/٢ ،

٧١/٣ ، ١٢٦ .

الشراحيب (قصر) : ٩٥/٣ .

شربند بن حجاج القومس (انظر

أيضا سرفاندو) : ١٨٥/١ ،
١٨٦ .

شرطانيس : ٢٢٩/٢ .

الشرطة : ٩٨/٢ .

شريس : ٢٧٠/١ ، ١٩٩/٢ ،

١٦٧ ، ٦٤ ، ٦٢/٣ .

الشريعة : ١٦١/٣ .

الشريف الادريسي : ١١/١ .

الشاطار : ٦٨/١ ، ٨٨ ، ١٢٣ ،

١٣٢ ، ١٤٢ .

الشطرنج : ٢٥/٣ ، ١٠٦ ، ١٠٧ .

السيير : ٧٨/١ .

شقندة : ١٨٤/٢ ، ١٨٥ .

شقوقرة : ١١٨/٣ .

شامب : ١٨٢/١ ، ٥٩/٣ ، ٦٠ ،

٨٦ ، ٩٠ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١١٥ .

شاطيس : ١٠٣/٣ .

شادنقة : ١٦/٢ ، ٣٠ ، ٣٩ ، ٤٢ ،

٤٤ ، ٩١ ، ٩٩ .

ابن شماس : ٥٩/١ ، ٦٠ .

الشماس سمسون : ١٨٥/١ .

شمال أفريقية : ٤٠/١ .

شنت شتتين دي جرمان : ٢٢٣/١ ،

٢٤/٢ ، ٤٥ ، ١٢٨ .

السيد القنبياطور : ٩٠/١ ، ٣/١٥٧ .

سيدون الأبولي : ٣٤/١ .

سير : ١٥٣/٣ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ،
١٥٧ .

سيرانا : ٢٣١/١ ، ٢٣٣ .

سيرا نيفادا : ٢٢٣/١ .

سيرين بن أبي بكر : ١٥٣/٣ .

سيسيبوت الملك (Sisebut) :

٣٨/١ .

سيسينان : ١٠١/١ .

سيف الدولة (آخر ملوك سرقسطة) :

١٦٩/٣ .

شارل أسقف قرطبة : ١٠٨/١ ،

١١٢ .

شارل الأصلع الملك : ١٢٣/١ ،

١٢٤ ، ١٣٤ .

شارلمان : ٢٧/٢ ، ١٣٨ ، ٢٣٣ .

ابن الشالون : ١٢١/١ .

ابن شاليب اليهودي : ١٢٦/٣ .

ابن الشالية (اسحق بن ابراهيم

بن منتسة) : ١٨٣/١ ، ٢٢٣ .

الشام : ٦٦/٢ ، ١٠/٣ ، ١٨١ .

شانجة (أخو الفونس السادس) :

١٠٦/٣ .

شانجة بن غرسية (ملك نفارة) :

٢٣٢/٢ .

شانجة قومس قشتالة : ١٧٣/٢ ،

١٨٢ .

شانجة الكبير (ملك نفارة المعروف

بالسمين) : ١٩/٢ ، ٢٧ ، ٣٠ ،

٥٢ - ٥٥ ، ٦١ ، ٦٥ .

شانجول (وهو المعروف بشانجة

صالح بن سعيد : ٢٦/٢ .
 صبح (الساطانة) : ٧٤/٢ ، ٧٥ ، ٨٠ ، ٩١ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٣٧ - ١٣٤ ، ٢٥٠ ، ٢٤٨ .
 الصحابة : ٢٢٨/٢ .
 صحراء البرية : ٣٧/١ .
 صخرة انسهد : ٢٥٨/١ .
 صخرة النصور : ١٢٣/٢ ، ٢٤٨ .
 الصرع : ١١٢/١ ، ٧٩/٢ ، ٦٨/٣ .
 الصعاليك : ١٥١/٢ .
 صفار الملاك : ٣٠/١ .
 الصفح : ١٠٠/١ .
 الصفالية : ٣٧/٢ ، ٣٨ ، ٨٥ ، ٩١ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٥ - ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٩ - ١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٥ ، ٢١٧ ، ٢٣٦ ، ٢٥٠ ، ٢٦٦ ، ٧/٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ٤١ ، ٤٢ ، ١٤٧ .
 الصقالبة العامريون : ١٧٠/٢ .
 صقلية : ٤٢/٢ ، ٤٦ ، ٢٦٤ ، ٢٤/٣ .
 الصلاة : ٩٦/١ .
 الصليب : ٦٧/١ ، ٦٨ ، ٨٨ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٠٨/٢ ، ١٦٦ ، ٢٠٥ ، ١٠٠/٣ ، ٢٣١ .
 صلدانية : ١٦/٢ .
 الصليب : ٨٩/١ ، ١٠١ .
 ابن صمادح (محمد بن محمد) : ١٤٣/٣ .
 صمويل النصراني (هو عمر ابن حفصون) : ٢٠٨/١ .
 صمويل اليهودي : ٢١/٣ - ٢٦ .

شنت طرش : ١٦٨/١ .
 شنت مانكس : ١٤١/٢ .
 شنت مرية : ١٨٢/١ ، ٢٦٦ ، ٦٠/٣ .
 شنت ياقب دى كومبستل : ١٣٨/٢ ، ١٤٠ ، ٢٦١ .
 شنترين : ٣٣/٢ .
 شند : ١٦٦/١ ، ١٧٠ ، ١٧٥ .
 السنق : ٤٧/١ ، ١٩٧ .
 شنيل : ٢٠٩/١ .
 الشهادة : ٨٩/١ .
 الشهادتان : ٤٩/١ .
 الشهيد : ١٣٦/٢ .
 ابن شهيد (أبو عامر) : ٢١٣/٢ ، ٢٢٠ ، ٢١٩ ، ٢١٥ .
 شوذر (البلد) : ١٨٩/١ .
 شى لحم العدو : ١٢/٢ .
 الشيخ الاسلامي (عبد الرحمن) : ٢٣٤/١ .
 الشيخ محمد عبده (الامام) : ١٠/١ .
 شينسرون (الفيلسوف) : ٣٧/١ .
 الشيطان : ٨٧/١ ، ٢٥٣ .
 الشيعة : ٨/٢ - ١٠ .
 شيمين (أرملة القمبياطور) : ١٥٧/٣ .
 صاحب البرد والطرز : ٨٥/٢ .
 صاحب البياذرة : ٨٥/٢ .
 صاحب الشرطة : ٢١١/١ ، ١٠٨/٢ .
 صاحب الصوائف : ٢٤٩/١ .
 صاحب المطالم : ١٥٤/٢ .
 صاعد البغدادي : ١٤٩/٢ - ١٥١ ، ١٧٠ ، ٢٦٤ .

١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ،
 ١٧٦ - ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٩٣ ،
 ٢٦٨ .
 عبد الجبار بن المعتمد : ١٧٨/٣ ،
 ١٧٩ .
 عبد الجليل بن وهبون : ٩٩/٣ .
 ابن عبد الحكم : ٢٤١/١ .
 عبد الحميد بن بسيل : ٢٣٤/١ ،
 ٢٣٥/٢ .
 ابن عبد ربه : ١٩٦/١ ، ٢١٢ ،
 ٢٥٨ .
 عبد الرحمن بن ابراهيم بن حجاج :
 ٢٠٧/١ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٢٤ .
 عبد الرحمن بن الحكم : ٦١/١ ،
 ٦٢ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ - ٨١ ،
 ٨٧ ، ٩٠ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ،
 ١٠٣ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١١٤ ،
 ١٥٢ ، ١٥٣ ، ٧٤/٢ .
 عبد الرحمن بن الشيخ الاسلمي :
 ٢٣٤/١ .
 عبد الرحمن الداخل : ٥١/١ ، ٥٧ ،
 ١٨٧ .
 عبد الرحمن بن سعيد : ٢٥/٢ .
 عبد الرحمن بن عبد الله الناصر :
 ١٠٨/٢ .
 عبد الرحمن بن فطيس : ١٥٤/٢ .
 عبد الرحمن بن عمر بن حفصون :
 ٢٣١/١ .
 عبد الرحمن (محمد بن جهوز) :
 ١٠٢/٣ .
 عبد الرحمن المرتضى : ١٩٦/٢ ،
 ١٩٧ ، ٢١٧ .
 عبد الرحمن بن مروان بن يونس :
 ٢٥٩/١ .

عاقل أهل الأندلس (يحيى بن يحيى
 المالكي) : ٥٨/١ .
 العامة : ٨٨/١ ، ٨٠/٢ ، ٨٩ ،
 ٩١ ، ١١٠ ، ١٣٥ ، ١٥٣ ،
 ١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٩٥ ،
 ٢٠٠ ، ٢١٣ - ٢١٥ ، ٢٢٠ .
 عامر بن أبي جوشن : ٢٧٦/١ .
 عامر بن حريز بن هائل : ٢٦٧/١ ،
 ٢٦٧/١ .
 أبو عامر السلمي : ٢٧١/١ .
 أبو عامر بن شهيد : ٢١٥/١ .
 أبو عامر (فتوح الغافقي) : ٢/٢ ،
 ١٩١ .
 أبو عامر بن محمد بن الوليد محمد :
 ٧٣/٢ .
 عامل الشرطة : ١٥٤/٢ .
 عامل شرطة المدينة : ١١٤/١ .
 العاهرات : ١٨٨/١ .
 ابن عباد : ١٠٧/٣ ، ١٠٨ ، ١٨٠ ،
 ١٨٠ .
 عباد القاسم : ١٢/٣ .
 عباد بن محمد بن اسماعيل (انظر
 المعتضد)
 عباد بن المعتمد : ١٠٤/٣ ، ١٠٥ ،
 ابن عباس (وزير زهير) : ٢٤/٣ ،
 ٢٥ ، ٢٨ - ٣٠ ، ٣٦ .
 ابن عباس الوزير : ١٠٢/٢ .
 عباس بن الأحنف : ٢٠٦/٢ .
 عباس بن فرناس : ٢٥٨/١ .
 العباس بن المتوكل : ١٥٧/٣ .
 العباسيون : ٥٨/١ ، ٦٨ ، ١٨٧ ،
 ١٣/٢ ، ٣٠ .
 عبد الجبار الفقيه : ١٩٤/٢ .
 ابن عبد الجبار (محمد بن هشام
 المهدي بالله) : ١٦٤/٢ ، ١٦٦ .

عبد الله (القائد الاموى) : ١٩٤/١ -

١٩٨

عبد الله (حفيد باديس ملك غرناطة) :

١٣٠/٣ ، ١٣٢ ، ١٣٩ ، ١٤٥ -

١٤٧ ، ١٧٠

عبد الله بن الاشعث القرشي :

١٧٣/١

عبد الله بن الأفطس : ١٢/٣ ،

١٣

عبد الله بن أمية : ١٠٣/١ ، ١٢٠ ،

٢٥٥

عبد الله بن البطرشك : ١١٦/٢ ،

١٢٧ ، ١٢٨

عبد الله بن بلقين : ١٤٩/٣

عبد الله بن عبد الله البلسنى :

٢٤٩ ، ٦٧/١

عبد الله الجذامى القاضى : ٤٦/٣

عبد الله بن الحكم : ١٦٠/١ ،

١٨١ ، ١٨٩ ، ١٩٣ - ١٩٧

٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ،

٢١١ ، ٢١٩ ، ٢٢٢

عبد الله الرميحي : ٩٥/١

عبد الله بن طروب (وابن عبد الرحمن

الثانى) : ٩٧/١ ، ١١٢ - ١١٤

عبد الله بن القاسم (مطران طليطلة) :

٦٤ ، ٦٢/٢

عبد الله بن مغامس : ٢٠٠/٢

عبد الله بن المنصور بن أبى عامر :

١٢٦/٢ - ١٣٠ ، ١٣٣

عبد الله بن المهدي : ١٨١/٢

عبد الله بن ميمون القداح : ٨/٢ -

١١

عبد الملك بن أمية : ١٩٤/١

عبد الملك بن أبى الجود : ١٨٢/١

عبد الملك بن حبيب : ١٢/٢ ، ١٤

عبد الرحمن بن المستظهر : ٢٠٣/٢ -

٢٠٥

عبد الرحمن بن مطرف التجيبي :

١٢٨ ، ١١٧/٣

عبد الرحمن الناصر : ١٦٥/١ ، ٢١٨ ،

٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ،

٢٢٧ ، ٢٣٢ - ٢٣٤ ، ١٤/٢ ،

١٩ ، ٢٣ ، ٢٤ - ٣٢ ، ٣٤ ،

٣٧ - ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٦ ،

٤٧ ، ٥٢ ، ٥٥ - ٥٧ ، ٦١ ،

٦٢ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ١١٢ ، ١١٥ ،

١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٧ ،

١٦٣ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٥ ،

٧/٣ ، ١٦٥

عبد الرحمن بن هشام (اخو المهدي)

١٩٩/٢ ، ٢٠٠

عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار :

٢١٣/٢ - ٢١٥ ، ٢١٩

عبد الرحمن بن وضاح : ٢٧٦/١

ابن عبد الرحمن الشاعر : ١٧٩/٣

عبد العزيز (أمير بلنسية) : ١٦/٣ ،

٢٩٠ ، ٣٣ ، ١١٥ ، ١١٦

عبد العزيز (حفيد المنصور بن أبى

عامر) : ٧/٣

عبد العزيز بن العيار : ٢٦١/١

عبد العزيز بن موسى : ٤٨/١ ،

٢٤٢

عبد العظيم رمضان : ٢٣/١

عبد الغافر (أخو جعد) : ١٧٤/١

عبد الكريم بن عبد الواحد بن

عبد المغيث : ٢٤٩/١

عبد الله (أخو المتذر) : ١٤٧/١ ،

١٤٨ ، ١٥١

- عبد الملك بن عبد العزيز (المظفر) :
 • ٨٢/٣
- عبد الملك بن محمد بن جهور : ٣/
 • ١٠٣ ، ١٠٢
- عبد الملك المعافى : ٤٤/١
- عبد الملك بن المنذر : ١٠٧/٢ ،
 • ١٠٨
- عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر :
 • ٢٥٧ ، ١٤٦ ، ١٤٢ ، ١٢٧/٢
- عبد الواحد الروطى : ٢١٠/١
- عبد الواحد المراكشى : ٩/١
- ابن أبي عبدة : ٢١٠ ، ٢٠٩/١
- عبد الوهاب ابن حزم : ٢١٣/٢
- عبدة بنت شنانجة النصراني : ٢/
 • ٢٦٦
- العبي الساعر : ٢٥٧/١
- العبيد : ٤٧/١ ، ٨٠ ، ٩٦ ،
 • ١٩٧ ، ١٦/٢
- عبيد الأراضى : ٢٩/١
- العبيد الأشتوريون : ٣٨/١
- العبيد السود : ١٧/٣
- العبيد الطلقاء : ٢٧/١
- عبيد الله الشيعى : ٢٢٠/١ ، ١١/٢ ،
 • ٢٣٢ ، ٢٥ ، ١٢
- عبيد الله بن المعتصم : ١٤٨/٣ ،
 • ١٤٩
- العتق : ٧٩/٢ ، ٤٩/١
- عثمان المصحفى : ٩٩/٢ ، ١٠٢
- العجم : ٦٧/١
- العدنانيون : ١٥٨/١
- العدوة الأفريقية : ٥/١ ، ٣٩
- عدوة الأندلس : ٢٤٥/١
- ابن عذارى : ٢٤١/١
- العذرى (أبو محمد) : ٢١١/١ ،
 • ٢١٢
- العراق : ٧/١ ، ٢٧١ ، ٦٧/٢ ،
 • ٢٢٧ ، ١٦٠/٣
- العرب : ٣/١ ، ٤ ، ٤٠ ، ٤٥ -
 • ٤٨ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٨ ،
 • ٧٢ ، ٨٠ ، ٨٥ - ٨٧ ، ١٣٥ ،
 • ١٤٥ ، ١٥١ - ١٥٦ ، ١٥٨ ،
 • ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ،
 • ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٩ ، ١٨١ ،
 • ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٠٤ ، ٢١٩ ،
 • ٢٣٥ ، ٢٤١ ، ٩/٢ ، ١٠ ، ١٥ ،
 • ١٦ ، ٣٨ ، ١١٣ ، ١١/٣ ، ١٢ ،
 • ١٤ ، ١٦ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٦ ،
 • ٣٠ ، ٣٧ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٧٥ ،
 • ٨٢ ، ١٣٢
- عرب أشبيلية ، المعدين : ١٧١/١
- عرب الأندلس : ٢١٢/١
- عرب جيان : ١٥٥/١ ، ١٥٩
- عرب رية : ١٥٥/١ ، ١٥٩
- عرب الريف : ١٦٥/١
- عرب الشام : ٥١/١
- عرب الغرب : ١٦٥/١
- عرب غرناطة : ٢٠٢/١ ، ٢٠٣
- عرب قلعة رباح : ١٥٥/١
- أبو العرب (المغنى الصقلبي) :
 • ٩٩ ، ٨٥/٣
- العرفاء (ج عريف) : ٢٤٨/١
- ابن عروس (أحمد بن حمد) : ٢/
 • ١٠٨
- العريش : ١٠/٣
- ابن العريف (أبو القاسم) : ٢١/٣ ،
 • ٢٢
- عز الدولة (عبد العزيز البكرى) :
 • ٥٩/٣
- عز الدولة (ابن المعتصم) : ١٥٦/٣

- ابن عسقلانة (عمرو بن عبد الله) :
 • ١٢/٣٢
 • غسل النحل : ١٥/٢
 • العسيلي : ١٠٩/٢
 • العصيان : ١٦١/٢
 • أبو العطف (نعيم) : ١٠/٣
 • عكاشة بن محصن : ٢٧٤/١
 • أبو العلاء بن زهر الطيب : ١٧٦/٣
 • ١٧٧
 • العلاج بالكلى : ١٥٢/٢
 • علقمة (قائد جيوش مندوسنة) :
 • ٢٣/٣
 • علم الرياضة : ٢٣/٣
 • علم الطبيعة : ١٦١/٣
 • علم الفلك : ١٥٨/٢ ، ٢٣/٣ ، ٣٣
 • علم الكلام : ١٠٩/٢ ، ١٦١/٣
 • علم المنطق : ٢٣/٣
 • علم النحو : ٢٣/٣
 • العلماء : ١١٠/٢
 • علوج قرطبة : ٦٥/١
 • العلويون : ٥٨/١ ، ٧٧/٢
 • علي بن حمود : ١٩١/٢ - ١٩٥
 • ٢١٩ ، ٢٠٥
 • علي بن أبي طالب : ٩/٢ ، ١١
 • ٢٢٨
 • أبو علي القالي : ٦٧/٢ ، ٧٣ ، ١٥٠
 • علي بن يوسف بن تاشفين : ١٦٤/٣
 • ١٦٨
 • العم صمويل مطران البيرة : ١/١
 • ١٥٢
 • عماد الدولة بن رزين : ١٥٧/٣
 • ١٥٨
 • ابن عمار : ٨٩/٣ - ٩١ ، ٩٤ - ٩٦
 • ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٥ - ١١٩
 • ١٢١
 العمال : ١٧٢/١ ، ١٧٤/٢ ، ٢١٤
 • العمامة : ٢٠٠/٢
 • عمامة الشرب : ١٤٧/٣
 • عمامة الفقهاء : ١٦٢/٢
 • عمامة : ١٦٢/٢
 • عمر بن خزير : ١٦٢/٢
 • عمر بن حفصون : ١٤١/١ - ١٤٥
 • ١٤٧ - ١٤٩ ، ١٥٩ ، ١٦٠
 • ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٨٢
 • ١٨٩ ، ١٩٥ - ١٩٨ ، ٢٠١
 • ٢٠٤ ، ٢٠٦ - ٢١١ ، ٢١٧
 • ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧
 • ٢٣١ ، ٢٦٧ ، ١٢/٢
 • عمر بن الخطاب : ٢٣٧/٢ ، ٣
 • ١٦٤
 • عمر بن عبد العزيز (الخليفة) :
 • ١٦٣/٣
 • عمر بن قومص الكاتب : ٢٥٧/١
 • عمر بن مضيم البتروني : ٢٦٦/١
 • عمروس : ٦٠/١ - ٦٢
 • عمرو بن عبد الله بن عسقلانة :
 • ١٢٣/٢ ، ١٦٣ ، ١٨٤
 • عمير اللخمي : ١٦٦/١
 • العناب : ١٨١/٣
 • العنب : ١٣١/١ ، ١٩٤/٢
 • العنبر : ٩٩/٣
 • عنبر الصقلي : ١٧٧/٢ ، ١٧٨
 • ١٨١
 • العود الرطب : ١٠٦/٣
 • العود من آلات الموسيقى : ٧٦/١
 • العود الهندي : ٥١/٣
 • عيد الأضحى : ٧٨/١
 • عيد الفطر : ٧٨/١ ، ٩٦
 • عيد القيامة : ٣٣/١ ، ٣٦
 • عيسى المسيح (عليه السلام) :

- الغزالي (الامام) : ١٦٢ ، ١٦١/٣
- غزلان الجارية المغنية : ٧٧/١
- الغلال : ١٨٣/٢
- الغناء : ٧٧ ، ٧٦/١
- الغنم : ٨٩/١
- أبو الغوث الصنعاني : ١٥٠/٢
- غيطشة القوطي : ٤٤/١ - ٤٦
- ١٦٦ ، ٥١

فاتسييس (أسقف قرطبة) : ١/١
• ١٨٥

فارس : ٦٧ ، ١١ ، ٧/٢
فاس : ٦٨/١ ، ٦٩ ، ٢٤٥ ، ٢/٢
• ٢٦٤ ، ١٢٢

الفاطميون : ١١/٢ - ١٤ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٧٦ ، ٧٧
• ٢٣٥

فاطمة الزهراء : ١٢/٢
فالجش : ٢٩/٢
فالدياس الكبير : ٢٣٧/١
فايرس : ١٢ ، ٧ ، ٦/١
فاتق : ٨٥/٢ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٢٧٢ ، ٢٤٨

الفتح بن خاقان : ١٢/١
الفتح بن المعتمد (المامون) : ١١٣ ، ١٥٣

فتح بن موسى بن ذي النون : ١/١
• ١٨٢

أبو الفتوح يوسف بن زيري : ٢/٢
• ٧٣

أبو الفتوح (= ثابت بن محمد الجرجاني) : ٣٣/٣ - ٣٧
الفتوى : ٢٦٣/٢

• ١٠٩ ، ٩٨ ، ٩٥/١

عيسى الوزير : ١١٩/٣

عيسى بن دينار بن واقد الفافقي : ٢٤٦/١

عيشون (قائد حامية أرشدونة) : ١٤٦/١

غالب (أمير البحر) : ٤٦/٢ ، ٦٤ ، ٧٧ ، ٧٨

غالب (حمو المنصور) : ١١١/٢ ، ١١٢ ، ١١٥ - ١١٧ ، ١٢٢ ، ٢٥٤

غالب (صاحب الثغر الأدنى) : ٩٦ - ١٠٠

غالب (والي سبتة) : ٦٢/٢
غالة : ٣٠/١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٣٨
غاليسيا : ١٤١/٢ ، ٤٦ ، ٣٢/١ ، ١٢٥/٣

الغاليسيون : ٣٨/٢ ، ٣٣ ، ٣٢/١
غثون (أخو اردزون الأول) : ١٢١/١ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨

غرب أفريقية : ٦٨/١
غريب الشاعر : ٦٠/١
غرسية (بن طوطة) : ٥٣ ، ٣٢/٢ ، ٦١ ، ٦٥ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٠٦

غرسية بن أردونيو الصغير : ٦٤/٢
غرسية جينز : ١٢٩/٣

غرناطة : ١٥٢/١ ، ٢٢٣ ، ٢٦١ ، ١٨ ، ٧/٣ ، ١٩٧ ، ١٩٦/٢ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٣ - ٣٧ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٣ ، ١٣٠ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٦

غزة القدرة : ٣٩/٢

- فستريمر (اسقف نفارة) : ١٢٠/١ ، ١٢٢
- الفضة : ٧٨/١
- الفضل بن سلمة : ٢١٧/١
- الفضل بن المتوكل : ١٥٧/٣
- الفقه : ٦٨/٢ ، ١٠٩ ، ٢٦٣ ، ١٦١/٣
- فقه اللغة العربية : ١٥/١
- الفقهاء : ٥١/١ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ٨٥ ، ١١٠/٢ ، ١٤٩ ، ١٥٨ ، ١٦١ ، ١٧٤ ، ١٨٤ ، ١٩٢ ، ١٩٦ ، ٢١٩ ، ٢٦٤ ، ١٦١/٣ ، ١٦٨ ، ١٦٧ ، ١٦٣
- فقهاء مراکش : ٤٧/١ ، ٥٧ ، ١٦٦ ، الفلاح : ٤٧/١ ، ٥٧ ، ١٦٦ ، ١٦/٢ ، ١٤٧
- الفلاحون : ٢٣/١
- الفلاسفة : ١٣/٢ ، ٦٧ ، ١١٠ ، ١٤٩ ، ١٥٨ ، ١٥٩
- فلاسفة المسلمين : ٨٥/١
- فلسطين : ١٥/٣
- الفلسفة : ١٥/١ ، ٧٥ ، ١٣/٢ ، ١٠٩ ، ٣٣/٣ ، ١٤٢ ، ١٦١ ، ١٦٦
- الفلسفة اليونانية : ٩/٢
- الفلك : ٧٨/١
- فلورا : ٨٥/١ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ١٠٩ - ١١١
- فلورندا : ٢٤٢/١
- فليشر : ١٤/١
- الفيل : ٥٨/١
- فيايب الرابع ملك اسبانيا : ٢٤٣/١
- فيث Veth المستشرق : ١٣/١
- ١٦٦ ، ١٦١ ، ١٤٢ ، ٣٣/٣

- الفتى الصغير الدرى : ٩٠/٢
- فتيان القصر : ١١٢/١
- فتيحة (مكان) : ٣٣/١
- فيج طليارش : ١٤٠/٢
- فجيل : ٢٠٩/١ ، ٢١٠
- الفحشاء : ١٠١/١
- فحص البلوط : ٢٤٨/١ ، ٢٤٩
- فحص السرادق : ١٧١/٢
- فحلون بن عبد الله : ٢٧٤/١
- ابن الفراء (= أبو عبد الله قاضى الجماعة) : ١٦٤/٣
- فرانسوا جاك دوزى : ٦/١
- فرتون (وصيف عبد الله) : ١/١ ، ١٤٨
- أبو الفرج الاصفهاني : ٦٧/٢
- فرجيل : ١١١/١
- فرديناند جونثالث : ٣١/٢ ، ٤٠ ، ٤٢ - ٤٥ ، ٥١ ، ٥٥ ، ٦١ ، ٦٤ - ٦٦
- فرديناند ملك قشتالة وليون : ٣/٣ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢ - ٨٤
- الفرس : ١٠/٢ ، ١٢
- الفرسان : ١١٢/٢
- الفرضى (أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف) : ١٨٥/٢ ، ٢٧١
- الفرما : ٣٧/١
- الفرنجة : ٤٨/١ ، ٢٤٣ ، ٣٨/٢
- فرنسا : ١٤/١ ، ٦١ ، ١٢٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٣٨/٢ ، ٥٧ ، ١٣٩ ، ١٢١
- الفرنسيون : ٣٨/٢ ، ١٣٢/٣
- فرويلا الثانى : ٢٩/٢ ، ٣١
- فريا، ليمهاوس Fred Leemhuis : ٢٣/١
- فريان (شخص) : ٣١/١
- فريانا (البطل) : ٢٢٧/١

- ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٩ ، ١١١ ،
 ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٣٩ ،
 ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٥٤ ، ١٦١ ،
 ١٦٣ - ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧٣ ،
 ١٧٥ - ١٧٧ ، ١٨٣ ، ١٨٩ ،
 ١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٥ - ١٩٨ ،
 ٢٠٨ ، ٢١٤ - ٢١٦ ، ٢٣٥ ،
 ٨/٣ ، ٩ ، ١٤ - ١٧ ، ٢١ ،
 ٢٥ ، ٢٩ ، ٥٧ - ٥٩ ، ٧٠ ،
 ٧٢ ، ٨٩ ، ٩٥ ، ١٠٢ - ١٠٦ ،
 ١١٣ ، ١١٨ ، ١٤٥ ، ١٥٣ ،
 ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٧ ،
 ١٦٨
 القرطبيون : ٦٦/١ ، ٦٧ ، ٦٩ ،
 ٩٧
 قرمونة : ٤٦/١ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ،
 ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٧٩ ، ١٨٧ ،
 ٢٠٩ ، ٢٢٤ - ٢٢٧ ، ٧/٣ ،
 ٩ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ٣٤ ، ٥٢ ،
 ٥١ ، ٨٤ ، ١٥٣ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ،
 قرية نبرة : ١٢٩/٣ ،
 قرية يومين : ١٠/٣ ،
 قريش : ٦٩/١ ، ١٦٦ ، ٢٥٣ ،
 ١٦٧ ، ٣٣/٢ ،
 القز (الوزير الحاجب) : ٢٢٠/٢ -
 ٢٢٢ ،
 القسس : ٨٨/١ ،
 القسطنطينية : ١٠/٢ ، ١٣ ، ٤٥ ،
 القسم بالمصحف : ١١٣/١ ،
 قشتالة : ١٣٤/١ ، ٢٩/٢ ، ٣١ ،
 ٤٠ ، ٤٣ - ٤٥ ، ٥٤ - ٥٦ ،
 ٩٦ ، ١٢٨ ، ١٤٥ ، ٧٩/٣ ،
 ١٢٥ ، ١٣٧ ، ١٤٤ ،
 قشتالة القديمة : ١٦/٢ ،
 القشتاليون : ١٧٤/٢ ، ١٧٦ ،
 قشبر البلجي : ١١٣/٣ ،
- قص شعر المرأة : ٩٢/١ ،
 قصر بادين : ٧٦/٣ ،
 قصر الحمراء : ٤٩/٣ ،
 قصر أبي دانس : ١٣٩/٢ ،
 قصر الزاهرة : ١٦٢/٢ ،
 قصر الشراحيب : ٩٥/٣ ،
 قصر مصمودة : ٧٧/٢ ،
 قضاء أشبيلية : ١٠/٣ ،
 القضاء : ٧٦/١ ،
 قضاة قرطبة : ٢٦٣/٢ ،
 قطاع الطرق : ٨٨/١ ،
 قطالونيا : ٨٠/١ ، ٣٤/٢ ، ١٢١ ،
 ١٢٢
 قطع الأرجل : ١١٢/١ ،
 قطع الأيدي : ١١٢/١ ،
 قطع العنق والرأس : ١٢٦/١ ،
 القطن : ١٦٥/١ ،
 قلائد العقيان : ١٢/١ ،
 القلب والتزويل : ١٥٠/٢ ،
 ابن قلزم الشاعر : ٢٧٠/١ ،
 القلعة Alcala : ١٤٥/٣ ،
 قلعة استجة : ١٩٦/١ ،
 قلعة أشبيلية : ٧١/٣ ،
 قلعة إيرش : ٤٤/٣ ،
 قلعة أيوب : ٣٢/٢ ،
 قلعة بطليوس : ١٥٦/٣ ،
 قلعة بلدة : ٢٣١/١ ،
 قلعة بياسة : ١٩٧/٢ ،
 قلعة جيان : ١٨١/١ ،
 قلعة حجر النسر (أو صخرة حجر
 النسر) : ٧٨/٢ ،
 قلعة الحنش : ١٣٥/١ ، ٢٣/٢ ،
 قلعة رباح : ٨٠/١ ، ٨١ ، ١٢٠ ،
 ١٢٢ ، ٦٥/٢ ، ١٦٦ ، ١٨٤ ،

- ٤٧ ، ٤٩ - ٥١ ، ١١١ ، ١٦٥ ،
 ٢٣٦ ، ٢٤٠ ، ٢٥٧ ، ١٥٨/٣ ،
 ابن القوطية : ٦٧/٢ ، ٧٣ ،
 قومن بن انتيان بن جوليان /١
 ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٢٠ ،
 ٢٥٧ ،
 قومن جلبقية : ١٢٦/٢ ،
 قومن قشتالة : ١١٦/٢ ، ١٢٩ ،
 ١٦١ ،
 القيامة بعد الموت : ٢٠٥/٢ ،
 القيد بالسلاسل : ٩٦/١ ، ٩٩ ،
 ١٣٠/٢ ، ٢٩/٣ ،
 القيروان : ٩٦/١ ، ٤١/٢ ، ٤٢ ،
 ١٧٢ ، ٢٣٧ ،
 القيسية : ٤/١ ،
 الكانوليك : ٣٥/١ ،
 الكانوليكية : ٣٥/١ ، ٥٠ ،
 كافور (عبد صاعد البغدادى) :
 ١٥١/٢ ،
 كالديرون : ١٩/١ ،
 كامبليوس (مكان) : ١٣١/١ ،
 ١٤٣ ،
 الكاهن بول أوروذا : ٢٣٨/١ ،
 كتاب الأغاني : ٦٧/٢ ،
 كتاب انخلمان : ١٤/١ ،
 كتاب طوق الحمامة : ٣٤/٣ ،
 كتاب الكنز : ٢٢/٣ ،
 كتاب مدينة الرب : ٢٣٨/١ ،
 ٢٣٩ ،
 كتابة الرقاع : ٧٤/٢ ،
 كتامة : ١٠/٢ ، ١١ ، ١٤ ،
 الكتاميون : ١٤/٢ ،
 الكردينال اكسمناس : ٢٥٢/١ ،
 كركبولية : ٢٠٢/١ ،

- ١٩٧ ، ١٥/٣ ، ٦٩ ، ١٦٨ ،
 قلعة طلبيرة : ١٢٢/١ ،
 قلعة قرطبة : ١٩١/٢ ،
 قلعة كازلونا : ٢٢٢/١ ،
 قلعة كونكة : ٨٣/٣ ،
 قلعة لوس باثيوس : ٩٢/٢ ،
 قلعة مونت فيق : ٢٠٦/١ ،
 قلعة مويش : ٢٨/٢ ، ٢٣٢ ،
 قلعة نوالش : ٢٠٣/١ ،
 قلعة هنرى : ١٢٣/١ ،
 قلعة يحصب : ١٨٤/١ ،
 القلقاط (أبو عبد الله محمد بن
 يحيى) : ٢١٢/١ ، ٢١٣ ، ٢٧٢ ،
 القليعى (أبو جعفر) : ١٣٠/٣ ،
 ١٤٣ ، ١٤٥ ،
 قلقرة : ٢٩/٢ ،
 قلمرية : ١٢٥/٢ ،
 القلنسوة الخليفة : ١٣٧/٢ ،
 ١٦٦ ،
 القمبياطور Cid : ١٣٨/٣ ،
 القمـح : ٣١/١ ، ٢٨/٢ ،
 ١٦٥/٣ ،
 قمر (المغنية) : ٢١١/١ ، ٢١٢ ،
 ٢٧٠ ، ١٦٧/٣ ،
 القنبانية : ٦٧/١ ،
 قنبرة : ٨٢/٣ ،
 قنبيط : ٢٠٨/١ ، ٢١٧ ، ٢٧١ ،
 قند (صاحب طليطلة) : ٢٣٨/٢ ،
 القنطرة : ١١٤/١ ،
 قنطرة ألبونت : ٢٧/٣ ، ٢٨ ،
 قنطيش : ١٧٤/٢ ،
 ابن القواصة : ٢٤١/١ ،
 قورية : ١٦/٢ ، ١٣٩ ،
 القوط : ٤/١ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ،
 ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٣ ،

- الكوريال Curiales : ٢٨/١ ،
 • ٢٩ ، ٣٨
 كولومبرا (زوج أرجنتا ابنة عمر بن
 حفصون) : ٢٢١/١
 كونت برشلونة : ٢١٨/١
 كونت بلاذر : ٢١٨/١
 كونت بوريل القطلوني : ٦٥/٢ ،
 • ٢٤٤
 كونت جونناث : ٦٦/٢
 كونت رزريق فولسك : ٦٥/٢
 كونت قبيرة : ١٨٩/١
 كونت قشـتالة : ٣١/٢ ، ٥٥ ،
 • ٦٥
 كونت كاربون : ١٦٦ ، ١٦٥/٢
 كونت موزن : ٤٣/٢
 كونت ميرون : ٦٥/٢
 كونت يوليان : ٢٤١/١
 كوندية : ١٣ ، ١٠/١
 كويمبر : ١٦/٢
 الكيمياء : ١٧/٢
 لاتيفونديا (المزارع الكبيرة) :
 • ٢٣٧ ، ٢٧/١
 لاردة : ١١٧/٣ ، ٣٢/١
 لافونتين (الشاعر) : ٤٤/٣
 لامبيجيا بنت اردو دوق اكويتانيا :
 • ٢٢٩/٢
 لاميجو : ١٤١/٢ ، ٧٩/٣
 لائحة (بلد) : ١٢٩/٢
 اللاهوت (علم) : ٦/١
 لب (بن موسى) : ١٣٤/١ ، ٢١٥
 ابن اللبانة (الشاعر) : ١٧٠/٣ ،
 • ١٧٨
 لبلة : ١٣٦/١ ، ١٣٧ ، ١٦٧ ،
 • ٢٠٥ ، ٢١٧ ، ٢٢٧ ، ٢٦٥
- كركر : ٢٥٩١
 كريب : ١٦٦/١ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ،
 • ١٧٠ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ٢٠٤
 • ٢١١ ، ٢٠٦
 الكريز : ١٣١/١
 الكساء : ١٣١/١
 الكعبة : ١٣٩/٢
 الكعك : ٩٦/١
 الكلاب : ٨٧/١
 كلايريا : ٤٥/٢ ، ٦٥ ، ٢٣٥ ،
 • ٢٤٤
 كمارش : ٤١/٣
 الكمثرى : ١٣١/١
 ابن كنون (الحسن بن ادريس) :
 ٧٧/٢ - ٧٩ ، ٨٧ ، ١٢٢ -
 • ١٢٤
 كنيسة ازمنت : ١٢٤/١
 الكنيسة الاسبانية : ٣٤/١
 كنيسة اسبسيكل : ٩٥/١ ، ١٠٩
 كنيسة باب البيرة : ١٥٢/١
 كنيسة تيرازون : ٣٢/١
 كنيسة جديلا : ١٦٣/٣
 كنيسة سنت سيرين : ١٢٣/١
 كنيسة سنت مرسية : ١٨٢/١
 كنيسة شنت ياقب : ١٢١/٢
 كنيسة غاليسيا : ١٤٥/٢
 كنيسة القديس جاك : ٢٩/٢
 كنيسة القديس زويل : ٨٩/١ ،
 • ٩٠
 كنيسة كوربو : ١٨٢/١
 كهف كوفادينا : ١٤/٢
 كورة الشرف : ١٦٥/١ - ١٦٧
 كورة الغرب : ١٦٩/١ ، ١٧٠ ،
 • ١٨٢ ، ١٧٥
 كورة مورور : ١٦٦/١ ، ١٧١

• ١٣٧ - ١٣٩ ، ١٤٤
 • اللوز : ٩٣/٣
 • لوزيتانيا : ٣٢/١
 • لوكان : ١١١١/١
 • لونا (Luna محبوبه المعتمد) :
 • ١٠١/٣
 • اللؤلؤ : ١٤٨/٣
 • لويس النقى : ٧٩/١
 • الليمون : ١٣١/١
 • ليفى بروفنسال : ١١/١ ، ١٣ ،
 • ٢١ ، ٢٢ ، ٢٥٩
 • ليوفجلا : ١٢٣/١
 • لبوكرينيا : ١٢٤/١ - ١٢٦
 • ليون : ٢١٨/١ ، ١٤/٢ - ١٦ ،
 • ٢٩ ، ٣١ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٥٥ ،
 • ٦١ ، ٩٦ ، ١١٦ ، ١٢١ ،
 • ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٣٩ ،
 • ١٤٧ ، ١٦٢ ، ٢٣٩ ، ٨٠/٣ ،
 • ٨٣ ، ١٦٩
 • الليونيون : ١٢١/١ ، ١١٥/٢ ،
 • ١١٦
 • مارتن : ١٨٢/١
 • ماردة : ٤٦/١ ، ٤٧ ، ٦٠ ، ٧٩ ،
 • ١٣٥ ، ١٦٨ ، ١٨١ ، ٢٣٤
 • ١٥/٢ ، ٢٣ ، ٢٣١ ، ٦٠/٣
 • ماري الراهبة : ١٠٩/١ ، ١١١
 • ماريه كاروليان (زوجة دوزي) :
 • ٨/١
 • الماس : ١٤٨/٣
 • مالقة : ٥١/١ ، ١٣١ ، ١٤١ ،
 • ٢٧٤ ، ٢٥/٢ ، ٢٦ ، ٧١ ،
 • ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢١٥ ،
 • ٢١٦ ، ٧/٣ ، ١٥ ، ١٧ ، ٢١

• ١٨٩/٢ ، ٢٠٥ ، ٥٧/٣ ، ٥٨
 • لبن العنزة : ٩٨/١
 • اللحم : ١٦٥/٣
 • لذريق الملك : ٤٣/١ - ٤٥ ،
 • ٢٤٢
 • لتسيونة : ٤٥/٢ ، ١٧٤ ، ١٢/٣ ،
 • ٤٣ ، ١٥٦
 • اللعن : ٩٥/١
 • اللعن على المنابر : ٤١/٢ ، ٤٦ ،
 • ١٦٤
 • اللغة الاسبانية : ١٠/١ ، ١١ ، ١٣ ،
 • ١٤ ، ٢١ ، ١٩٣
 • اللغة الالمانية : ١٣/١ ، ٢١
 • اللغة الانجليزية : ١٤/١ ، ٢١
 • اللغة البرتغالية : ١٤/١
 • اللغة السريانية : ٦/١
 • اللغة العبرية : ٦/١ ، ١٢
 • اللغة العربية : ٦/١ ، ١٠ ، ١٢ -
 • ١٤ ، ١٧ ، ٦٥ ، ٨٥ ، ٨٦
 • ٩٥ ، ١٠٠ ، ١١٣/٢ ، ١٩١
 • اللغة الفارسية : ١٢/١
 • اللغة الفرنسية : ١٢/١ ، ١٣ ،
 • ٢١
 • اللغة اللاتينية : ١١/١ ، ٨٥
 • ٨٦
 • اللغة الهولندية : ١٣/١
 • لقنت : ٤٧/١ ، ٢٣٤
 • اللبباديون : ٢٤٢/١
 • ليجو (انظر لاميجو)
 • لندن : ١٦/١
 • لوئينا : ١٦٣/٣
 • لوحو (بلد) : ٣٣/١
 • لوجو (بلد) : ٣٣/١
 • ١٨٣ ، ٢٧٤ ، ١٢٢/٢ ، ١٢٩/٣

مجمع طليطلة السابع عشر :
 • ٢٣٩/١
 مجمع طليطلة الثامن عشر : ١/
 • ٢٤٣
 المجمع الكنسي الثامن : ٢٣٩/١
 مجمع نيقية : ٢٦٩/١
 المجوس : ٢٥٨/١
 تسبب البصرة : ٢٢٧/٢
 محمد (صلى الله عليه وسلم) :
 ١/٤٩ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١٠٩ ، ١٥٢ ، ١٢٣ ، ١٠/٢ ، ١٥٩ ، ١٦٢
 • ١٩١
 محمد بن ادريس : ٤٤/٣ ، ٤٥ ، ٥٧
 محمد من اسحق التميمي :
 • ٢٤٦/٢
 محمد بن اسحق بن السليم :
 • ٢٤٦/٢
 محمد بن اسماعيل (السكاتب) :
 • ١٠٤/٢
 محمد بن اسماعيل (قاضي أشبيلية) :
 • ٤٩/٣
 بن أضحى : ١٥٧/١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤
 محمد بن أفلح : ٢٦١/١ ، ٧٤/٢ ، ٧٥
 محمد (الامام الثاني عشر) :
 • ١٠/٢
 محمد بن بريم : ١١/٣ ، ١٢ ، ١٢
 محمد بن البشير (القاضي) :
 • ٧٢/٢
 محمد بن تاجيت : ٢٣١/٢

٢٥ ، ٣٤ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ -
 ٤٦ ، ٤٩ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ١٤٥ ، ١٤٩
 مالك بن أنس : ٥٨/١ ، ٧٠ ، ٢٤٥ ، ٤١/٢ ، ٣ ، ١٦١/١
 مالك بن المعتمد : ١٥٥/٣
 مالك بن وهب الاشبيلي : ١٦١/٣
 لامون (صاحب طليطلة) : ٦٨/١ ، ٨٣/٣ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥
 ماسون أسقف ماردة : ٢٤٣/١
 المانوية : ٨/٢ ، ٩
 متاليا (زوجة أوريليوس) :
 • ٢٥٨/١
 المتبربرون : ٤/١ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٤ - ٣٦
 المتوكل (صاحب بطليوس ١٢٧/٣ ، ١٣٠ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٧٠
 المجاعة : ٣١/١ ، ٨١ ، ١٩٧ ، ٢٢٧ ، ٢٣٥ ، ١٥/٢ ، ١٦
 • ٢٢٩ ، ١١٣/٣
 مجاهد أمير دانية : ٢١٦/٢ ، ٢١٧ ، ٣٣ ، ١٦/٣
 مجاهد (آخر أمراء جزر البليار) :
 • ٧/٣
 مجريط : ٩٧/٢
 مجلة دى خيلد : ١٣/١
 مجلس الأعيان : ٢٩/١
 مجلس المشورة : ١٥٢/٢ ، ١٩٤ ، ٢١٧ ، ١٦/٣
 مجمع طليطلة : ٣٦/١ ، ٣٩
 مجمع طليطلة الرابع : ٢٣٩/١
 مجمع طليطلة الثامن : ٢٣٩/١
 مجمع طليطلة السادس عشر :
 • ٢٤٣/١

- محمد بن غالب : ١٦٨/١ - ١٧١
- محمد بن القاسم بن حمود : ٤٥/٣
- محمد بن قاسم بن طملس : ٢٤٧/٢
- محمد بن القاسم القرشي : ٢٤٧/٢
- محمد بن لب : ١٤٤/١ ، ٢١٧ ، ٢٧/٢
- محمد بن مرتين : ١٠٣/٣ ، ١٠٤
- محمد بن مسلمة : ١٠٤/٢
- محمد بن المعتضد : ٦٠/٣
- محمد بن المنذر : ١٦٩/١ - ١٧١
- محمد المهدي الخليفة : ٢٠٧/٢
- محمد بن موسى : ١١٢/١ ، ١١٥
- محمد بن نوح : ٦٠/٣ ، ٦١
- محمد بن هاشم التجيبي : ٣٢/٢ ، ٣٤ ، ٣٩ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧
- محمد بن الوليد بن غانم : ١٤٤/١
- محمد بن هتاسام بن عبد الجبار (المهدي بالله) : ١٦٣/٢ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٦٩
- محمد بن يعلى الزناتي : ١٦٥/٢
- مدير أملاك ولي العهد : ٧٦/٢
- مدريد : ٣١/٢
- مدينة بازو : ١١/٣
- مدينة الرب : ٣٤/١
- مدينة الزهراء : ٥٧/٢ ، ٦٢
- مدينة سالم : ١٨١/١ ، ٢١/٢ ، ٤٤ ، ٦١ ، ٤٦ ، ١٧٣ ، ١٧٥
- مدينة بنى السليم : ٢٠٦/١
- مدينة اللج : ١٤٧/٣
- مدينة لوسينا : Lucina
- ١٦٢/٣
- المدينة المنورة : ٥٨/١ ، ٢٤٥

- محمد الحجاري : ١٧٧/٣
- محمد بن حجاج : ٢٢٤/١ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧
- محمد بن حفص بن جابر : ١٠٢/٢
- محمد بن خزو : ٣٠/٢
- محمد بن ديسم : ٨٠/١
- محمد بن زيري : ٩/٣
- محمد بن السليم : ٧٢/٢
- محمد بن سعيد بن هرون (المعتصم) : ٥٩/٣
- محمد شرجيل المفايري : ٢٤٦/٢
- محمد الطليطلي : ١٧٤/٢ ، ٢٣٤/١
- محمد بن أبي عامر : ٧٤/٢ - ٧٦ ، ٧٨ ، ٢٥٠
- محمد بن عبد الرحمن التجيبي : ٢٣٤/٢
- محمد بن عبد الرحمن بن الحكم : ٩٧/١ ، ١١٢ - ١١٦ ، ١١٩
- ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٤٦ ، ١٥٢
- محمد بن عبد الرحمن (المستكفي) : ٢١٥/٢ ، ٢١٦ ، ٢١٩
- محمد بن عبد الله (أمير قرمونة) : ١٢/٣ ، ١٦ ، ١٧
- محمد بن عبد الله الأفطس : ١٢/٣
- محمد عبد الله عنان : ٢٢٨/٢
- محمد بن العراقي : ١٩٩/٢ ، ٢٠٠ ، ٢٧٥
- محمد بن عمر بن أنجلين : ١٦٩/١ ، ١٧١ ، ١٧٢

ابن مستقنة : ١٨٤/١ ، ١٩٣ ، ١٩٧ ، ٢٠٢ ، ٢٠٩ ، ٢١٠
 • ٢٦٧ ، ٢٦٦ ، ٢٣٣ ، ٢١٧
 • مسجد قرطبة الجامع : ١٢٠/١
 ابن مسرة : ١٣/٢ ، ١٤ ، ١٥٨ ، ٢٢٨ ، ١٦٢/٣
 المسلمون : ٤/١ ، ٢٧ ، ٤٠ ، ٤٥ ، ٨٨ ، ١٠٢ ، ١٠/٢ ، ١٩
 المسيح (عليه السلام) : ٣٦/١ ، ٣٨ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩١ ، ١٠٠ ، ٢٥٣
 • المسيح المنتظر : ١٠/٢ ، ١٦٢/٣
 المسيحية : ١٠٠/١ ، ١٠٣
 المسيحيون : ٣٤/١ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ١٠٣ ، ١٢٠
 المشرقيات (مجلة تصدر في هولندة) : ١٢/١
 • المثنقة : (انظر المفصلة)
 • المشيخة : ٢٢١/٢ ، ٢٢٣
 المصادرة : ٣٨/١ ، ٤٩ ، ١٠١/٢ ، ١٥٢ ، ١٨٥ ، ٢١٩ ، ١٠/٣ ، ١٦٥
 • مصالة : ٢٥/٢ ، ٢٦
 المصحفي (جعفر بن عثمان بن نصر :
 أبو الحسن) : ٧٤/٢ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٥ ، ٩١ ، ٩٥ -
 ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢
 مصر : ١٠/٣ ، ٧٦/٢ ، ٢١١/١ ، ١٥٠ ، ١٨١
 مضيق جبل طارق : ٧٧/١ ، ٧٧/٢ ، ١٤٢
 المطران أجيل : ٢٦٩/١

٣٠/٢
 مدينة وبر : ٢٠٦/١
 المذهب السني : ١٩٧/٢
 المذهب الشيعي : ١٩٧/٢
 المذهب المالكي : ٥٨/١ ، ٥٩ ، ٢٦٣/٢ ، ٢٤٥
 المرابطون : ٣/١ ، ٥ ، ٩ ، ١٣ ، ٨٤/٣ ، ١٣٠ - ١٣٢ ، ١٣٨ ، ١٤٠ - ١٤٢ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٦٩
 مراکش : ١٧٤/٣ ، ١٧٥ ، ١٨١ ، المرتد : ٩١/١
 المرتزقة : ٢٤/٢ ، ٧٦ - ٧٩ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٢٢ - ١٢٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٢
 المرتضى الخليفة : ٢٠٥/٢
 مرتولة : ٥٧/٣
 مرسي الحزر : ٥٤/٢
 مرج الفضة : ٩٢/٣
 مرسية : ٧٩/١ ، ١٨٢ ، ٢٥/٢ ، ٢٦ ، ١٢٢ ، ٨٢/٣ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٨ ، ١٣٧ - ١٣٩ ، ١٤٤ ، ١٥٦
 ابن مروان الجليقي : ١٣٥/١ - ١٣٧ ، ١٥١ ، ٢٣٤ ، ٢٥٩ ، ٢٧٧
 المريسة : ٤٦/٢ ، ٥٦ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٨ ، ٢١٧ ، ١٥/٣ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٣ ، ٧٥
 المزامير : ٤٣/٣
 المستعربون : ١٦٢/٣ ، ١٦٣
 المستعين (من بنى هود) : ١٥٧/٣

- معد : ٤/١ ، ٧٩ ، ١٥٤
- معد بن اسماعيل : ٢٤١/٢
- معركة وادي بولون : ٢١٧/١
- المعز لدين الله الفاطمي : ٤٦/٢ ، ٢٢٧ ، ٧٦
- ممسك المدور : ٢٥٩/١
- معن بن صمادح (أبو الأحوص) : ٢٩/٣
- المعهد الاسباني : ١٥/١
- المعهد الملكي الهولندي : ٧/١
- المعهد الهولندي للأثار المصرية والبحوث العربية بالقاهرة : ٢٣/١
- المغاربة : ٣٠/٢ ، ٣١ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٦
- المغرب : ٣/١ ، ٧٧ ، ٢٤/٢
- ٧٦ - ٧٩ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٢٢ - ١٢٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٩٩ ، ٢٣٥
- المغيرة بن الناصر : ٨٦/٢ - ٨٩ ، ١٤٩
- مفتي قرطبة : ١٤٩/٢
- أبو المفرج الخصي : ١١٣/١
- مقبرة أغمات : ١٧٩/٣
- المقتدر (ملك سر قسطة) : ٨٣/٣ ، ١١٧
- مقدم بن معافى : ٢٠٤/١
- مقدمة ابن خلدون : ١٤/١
- المقصلة (انظر المشنقة) : ٩٧/١
- ١٠٢ ، ١١٠ ، ١٣٠/٢
- مكة : ٥٨/١ ، ١١٣ ، ٢٥/٢ ، ٣٠ ، ٧٣ ، ٢٧١ ، ١٤/٣ ، ٥٢

- مطران سرقةسطة : ٣٦/١
- مطران طليطلة ، ٦٢/٢
- المطرف بن موسى بن ذي النون : ٢٣٣/٢ ، ١٨٢/١
- المطرف بن هشام : ١٨٠/١ ، ١٨١ ، ١٨١
- مطمح الأنفس : ١٢/١
- المظفر (محمد بن القاضي أبي القاسم) : ١٣ ، ١٢/٣
- المظفر (محمد بن عبد الله بن محمد سلمان أمير بطليوس) : ٥٨/٣ ، ٥٩ ، ٧٩
- المظفر بن أبي عامر : ١٥٧/٢ ، ١٦١ - ١٦٣
- معاذ بن أبي قرة : ٦٢/٣ ، ١٦٣
- المعتد بالله بن المعتد : ١٥٦/٣
- المعتزلة : ٢٨٨ ، ١٥٩/٢
- المعتصم (= محمد بن سعيد بن هرون) : ١٣٢/٣ ، ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٤
- المعتضد (= عباد بن محمد بن اسماعيل) : ٤٩/٣ - ٥٣ ، ٥٨ - ٦٤ ، ٦٧ - ٧٤ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ١٧٦
- المعتد (= محمد بن عباد) : ٣/١ ، ٥ ، ٦ ، ٦٠/٣ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٢ - ٩٥ ، ٩٩ - ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١١ - ١١٧ ، ١١٩ - ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٤٢ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٣ - ١٥٥ ، ١٦٨ - ١٧٠ ، ١٧٤ - ١٨١ ، معجم لبن : ١٤/١

المنذر بن محمد بن عبد الرحمن :
١٢٢/١ ، ١٣٦ ، ١٤٦ - ١٤٨ ،
١٧٠

المنذر بن يحيى التجيبي : ١٩٥/٢ ،
١٩٦ ، ٧/٣ ، ٣٣ ، ٣٤ .
منزل هاني : ٦٦/٢

المنصور (بن أبي عامر) : ٤/١ ،
٥ ، ٨٠/٢ ، ٨١ ، ٨٦ - ٩٢ ،

٩٥ - ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ،
١٠٧ - ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٦ ،
١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٣ - ١٤٢ ،

١٤٥ - ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ،
١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦٩ ، ١٨١ ،
١٨٢ ، ١٩٤ ، ٢٤٥ ، ٢٥٣ ،

٢٦٤ ، ٧/٣ ، ١٦٥ .

المنصور اليهودي : ٧٧/١ ، ٧٨

المنصورية بافريقية : ٧٦/٢
المنفقل الشاعر : ٢٣/٣

ابن مهاجر الطليطلي : ٨١/١
المهدي بالله (ابن عبد الجبار) :
١٦٩/٢ ، ١٧٥

المهدي (المزعوم) : ١٨/٢ ، ٢٣ ،
المهدي المنتظر : ١٠/٢ - ١٢ ،
١٧

المهدية : ٤١/٢ ، ٤٢ ، ١٧٨/٣ ،
المهرجان : ٧٨/١

الموالي الأمويون : ٧٢/١ ، ١٤٦ ،
٧٦/٢ ، ١٢٢ ، ١٩٢

الموت بالسسم : ٢١٦/٢

المؤمن : ١١٧/٣ ، ١١٨ ، ١٦٦ ،
الموحدون : ١٦٧/٣

مورة : ٢٠٦/١ ، ٧/٣

مورور : ٢٧٠/١ ، ٦٠/٣ - ٦٢ ،
٦٤ ، ٦٨

موسى بن جعفر الصادق : ١٠/٢

مكتبة بريل : ١٣/١ ، ٢١ ، ٢٢ ،
مكتبة بودليان : ١٩/١

مكتبة جامعة لندن : ٩/١ ، ١٢

مكتبة الحكم الناني : ١٨٣/٢

المكتبة الجغرافية : ١١/١

مكتبة جوته : ٩/١

مكناسة : ٣٠/٢ ، ١٦٣/٣ ،
١٧٤

ابن المكوي : (الفقيه أحمد بن

هشام الاشبيلي) : ١٤٩/٢ ،
٢٦٣

الملابس العربية : ٧/١

الملاحة : ١٦٦/١

الملاحى : ١٨١/١

الملائكة : ٨٧/١

ملسون (أسقف ماردة) : ٣٦/١

الملك ريكارد : ٤٩/١

ملك الصقالبة : ٢٣٦/١

الملك فامبا : ٤٠/١

ملك نفارة : ٢١٨/١

ملوك الطوائف : ٣/١ ، ٥ ، ٧ ،
مليزند : ١١٠/١

الماليك الخرص : ٦٥/١

ممر رونسفال : ٢٣٣/٢

منتسة : ١٨١/١ ، ٢٢١

المنتلون : ٢٢٣/١ ، ٢٧٤

منت شلوط : ١٣٦/١

مندجو : ١٧/٢

مندوسة البربرى : ١٥/٢

المنذر (= حاكم سرقسطة) :
١٩٤/٢

المنذر بن حريز بن هابل : ٢٦٧/١ ،
٢٧٤

- النحل : ٧١/٢
- النحو : ٦٧/٢ ، ٦/١
- نخاس الحمير : ٣٣/٢
- النرمسديون : ١٢٣/١ ، ١٢٤ ، ٢٥٨ ، ٢٥/٢ ، ٨٢/٣ ، ٨٣
- نزع القبة (احتراماً) : ٦٣/٢
- نزهة المشتاق : ١١/١
- النساطرة : ١٥٩/٢
- النسك : ٢٢٨/٢
- النصارى (انظر أيضاً المسيحيون) : ٥/١ ، ٢٧ ، ٣٤ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٨٧ ، ٩١ ، ١٠١ ، ١٠٨ ، ١٣٤ ، ١٠/٢ ، ١٤ ، ٢٩
- النصارى الاسبان : ١١/٣
- النصارى التوابون : ٥٢/١
- نصارى الشمال : ٢٢٧/١ ، ٢٤/٢ ، ٣٠ ، ٤٦ ، ٥٦ ، ٧٩ ، ٩١
- ١٣٣ ، ٢٦٦
- نصارى قرطبة : ٨١/١ ، ٨٥
- ٨٦ ، ١٢٢ ، ١٨٥
- نصارى الليط : ١٤٤/٣
- نصر الحاجب : ٧٩/١ ، ٩٦ - ٩٨
- النصرانية (= المسيحية) : ٣٤/١ ، ٣٥ ، ٤٩ ، ٥٠ - ٥٢
- النغيد (لقب يهودى) : ٢٤/٣
- نفارة : ١١١/١ ، ١٢٠ ، ٢٣٤
- ٢٥٢ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ١٩/٢
- ١٤٨ ، ٢٣٣ ، ١٢٥/٣
- النفى : ٣٨/١ ، ٣٩ ، ٦٩
- النقش على السكة : ٧٣/٢
- نكور : ٢٥/٢ ، ٢٦ ، ١٤٠
- النهب : ٤٧/١
- نهر ابرو : ١٦/٢ ، ٢٦
- نهر ارفيجو : ٣٢/١

- موسى بن ذى النون : ١٨١/١
- موسى بن أبى العافية : ٣٠/٢
- موسى بن قسى : ٣٤/١ ، ١٢١ ، ١٣٤ ، ١٣٥
- موسى بن نصير : ٤٣/١ - ٤٦ ، ١١/٣
- الموسوية (اليهودية) : ٣٩/١
- مول : ١٩/١
- مولة : ١١٣/٣
- الموللون : ٢٧/١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٧ ، ١٣٤
- المؤمل : ١٤٧/٣ ، ١٤٩
- موثت روى : ٢٣٣/١
- مويش (قلعة) : ١٨/٢ ، ٢٣٣
- ميرندة : ١٦/٢
- ميسرة قائد العلوج : ٨٠/١
- ميسور (كاتب المنصور) : ٨٠/٢
- ميشيل المؤرخ : ٣٨/١
- ميلة : ٤٧/١
- ميلخر انتونيا : ٢٦٢/١
- منوسة : ٢٢٩/٢
- ميناء الخزر : ٥٤/٢
- نابل قائد العلوج : ١٥٣/١
- ناجرة : ٢٦/٢ ، ٢٨
- ابن نادر البواب : ٦٧/١
- الناصر بن ابي عامر : ١٦١/٢
- ناظر بيت المال : ٧٦/٢
- نبش القبور : ٢٣٣/١
- النبيذ : ١٥١/٢ ، ١٦١
- نجاء الوزير الصقلبي : ٤١/٣ ، ٤٢
- نجدة بن حسين : ٢٣٦/٢
- نجدة الصقلبي : ٣٩/٢

- هرات : ٣٠/٢
- الهراطقة : ٢٩/١
- هرثمة بن أيمن : ٢٤٩/١
- الهراطقة : ٤٨/١
- هرمو جيس (اسقف نوى) :
- ٢٨/٢
- هرون الرشيد : ٧/٢ ، ٧٦/١
- هشام الناني : ١٨٥/٢ ، ١٩٠ ، ٢
- ١٩٣ ، ١٩٢ ، ١٨٥ ، ١٩٠ ، ١٩٣
- ١٩٤ ، ٢٥٠ ، ١١/٣ ، ١٤ -
- ١٨ ، ٣٣ ، ٤٥ ، ٦٩
- هشام الثالث (المعتمد) : ٢١٧/٢
- ٢٢٣ ، ٢٢١ ، ٢١٨
- هشام الحاجب : ١٣٥/١ - ١٣٧
- هشام بن حمزة : ٢٤٦/١
- هشام بن سليمان بن عبد الرحمن :
- ١٧٢ ، ١٧١/٢
- هشام بن عبد الرحمن : ٥٧/١
- ٢٣٢/٢ ، ٥٨
- هشام بن المستنصر بن الحكم :
- ٨٠/٢ ، ٨١ ، ٨٥ - ٨٩ ، ٩٧
- ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١١
- ١١٥ ، ١٣٣ - ١٣٧ ، ١٥٧
- ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٧١ ، ١٧٥
- ١٧٧ ، ١٨١
- هشام المصحفي : ١٠١/٢
- هلال بن أبي قررة : ٦٠/٣ ، ٦١
- هلدوين الأسقف : ١٢٢/١
- الهليون : ٧٨/١
- هنخ حاخام اليهود الرباني :
- ٢١/٣
- هنريخ فليشر : ٨٠/١
- هنيادة جارية زرياب : ٧٧/١
- هوراس : ١١١/١ ، ١٥٢

- نهر بكة : ٤٥/١
- نهر تاجة : ١٢٤/١ ، ٢٤٢ ، ١٦/٢
- ١٩ ، ١٧
- نهر الجودوز al-Godoz :
- ٢٣٥/١
- نهر دورو : ١٧/٢ ، ١٩ ، ٦٦
- ٧٩/٣
- نهر دويرة : ١٦/٢ ، ١٧ ، ٢٤
- ٢٧ ، ٣٩ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩
- ١٣٩
- نهر الراين : ٣٠/١ ، ٢٣٧
- نهر رباط : ٢٢٩/٢
- نهر الفرات : ٢٧٠/١
- نهر الفوشكة : ٢٦٩/١
- نهر قرطبة : ٢٦٤/٢
- نهر كريون : ٤٠/٢
- نهر موندجو : ١٦/٢
- نهر منهو : ١٣٩/٢ ، ٢٦٢
- نهر وادي آره : ٢٠٦/١
- نهر الوادي الكبير : ٩٧/١ ، ١٦٩
- ١٧٤ ، ٢٢٤ ، ٢٦٥ ، ٧٢/٢
- ١١٠ ، ١٥١ ، ١٧٤ ، ١٧٦
- ٧١/٣ ، ٩٠ ، ١٧٠
- نهر الوادي اليانح : ١٧/٢ ، ٢٢٩
- نورتبرج : ٩/١
- النوروز : ٧٨/١
- الهايليون : ١٨٢/١
- هادي (خادم ابن عمار) : ١١٧/٣
- ١١٨
- هاشم بن عبد العزيز : ١١٩/١
- هاشم الندوي : ٢٦٤/٢
- هدم الكنائس : ٢٣٧/١
- هذيل الصقابي : ٢٨/٣

- الورع : ١٣/٢
- الوزارة : ٩٥/٢
- الوزراء : ٢٠٠/٢
- الوزير : ٢٧/٢ ، ١٠٠ ، ١١٠
- ١١١ ، ١٥١
- وستريم الاسقف : ١٢٢/١
- وشقة : ٦٠/١ ، ١٣٤ ، ٢١٨
- ٢٦١
- الوضع فى قفص من حديد :
- ٤٢/٢
- الوطء بسنايك الخيل : ١٦٦/٢
- وقعة ارنزول : ١٦٣/٣
- وقعة استجة : ٣٦/٣ ، ٤١
- وقعة آنتيسة : ٦٥/٢
- وقعة بانبلونة : ٢٩/٢
- وقعة بلاى : ٢٦٩/١
- وقعة جعد : ١٥٥/١
- وقعة الحرة : ٦٧/١
- وقعة الخندق : ٣٩/٢ ، ٤٢ ، ٥٤
- ٢٣٧
- وقعة راهط : ١٩٦/١
- وقعة روطه : ١١٦/٢
- وقعة زلاقة : ١٣٢/٣ ، ١٣٧
- ١٤٤ ، ١٣٨
- وقعة شعندة : ١٩٦/١
- رقعة شلمنقة : ١٩/٢ ، ٥٤ ، ٢٣٧
- وقعة عقبة البقر : ١٧٠/٢ ، ١٧٦
- وقعة قنطيش : ١٧٥/٢
- وقعة المدينة : ١٨٤/١
- وقعة وادى سليط : ١٩٥/١
- ولادة القرطبية : ٩٢/٣
- ولاية ارشدونة : ٢٢٦/١
- ولاية الجننتو : ١٨١/١

- الهوزنى : ١١/٣ ، ١٢
- هوستجيسيوس الاسقف : ٥١/
- ١٥٢
- هولندة : ٨/١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦
- الهولنديون : ١٣/١
- الهون (Huns) : ٣١/١
- هونوريوس : ٣٠/١
- هويده (بلد) : ١٨٢/١
- هييون (مكان) : ٣٣/١
- هيچ دى بروفانس : ٤١/٢
- هيرودوس : ١٣٨/٢
- وادى ارملاط : ١٧٢/٢
- وادى اش : ١٩٥/٢ ، ١٩٧
- وادى باب شيزروا : ٢٧/٢
- وادى بكه : ٢٤٢/١
- وادى الحجارة : ١٦/٢ ، ١٧٣
- وادى الخيزران : ٢٨/٢
- وادى سليط : ١٢١/١ ، ٢٤١
- وادى بنى عبيد الله : ٢٧٤/١
- وادى منيه : ١٣٩/٢
- وادى هورش : ٢٦١/١
- وادى يانه : ١٧/٢
- وازمار البربرى : ١١٣/٢ ، ١١٤
- واضح الحاجب : ١٤٢/٢ ، ١٧٠
- ١٧٣ - ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٨١
- ١٨٤ ، ٢٦٣
- الوباء : ٣١/١
- الوثنية : ٤٩/١
- الوثنية الرومانية : ٨٧/١
- الوثنيون : ٣٤/١
- وخنمة : ٢٦/٢ - ٢٨ ، ٣١
- وداد (محبوبة المعتمد) : ١٠١/٣
- ابن أبى رداعة (القائد الصقلى) :
- ١٨٣/٢ ، ١٨٤

يعقوب بن أبي خالد التويري :
 • ٢٧٦/١
 يعيش بن محمد بن يعيش : ٨/٣
 • اليمن : ١٠/٢
 اليمنية : ٤/١ ، ٧٩ ، ١٧٤ ،
 • ١٧٩
 اليمينيون : ١٥٤/١ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ،
 • ١٨٠ ، ١٧٩
 اليهود : ١٣/١ ، ٢٩ ، ٣٨ - ٤٠ ،
 ٤٥ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ١٥٢ ، ٢٣٩ ،
 ٢٤٠ ، ١٠/٢ ، ٢٢/٣ ، ٢٤ -
 ٢٦ ، ٣٠ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ١٢٦ ،
 • ١٦٤ - ١٦٢
 اليهود في مكة (كتاب لدوزي) :
 • ١٣/١
 يوسف (أخو أيولوج) : ٨٩/١
 يوسف بن بسيل : ١١٤/١ ،
 • ١١٥
 يوسف بن تاشفين : ١٣٠/٣ -
 ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٥٠ - ١٥٣ ،
 ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٢ - ١٦٤ ،
 • ١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٧٩
 يوسف بن زيري (أبو الفتوح) :
 • ٧٧ ، ٧٦/٢
 يوسف بن صمويل : ٧٦/٣
 يولييان حاكم سبتة : ٤٣/١ ، ٤٤ ،
 يوم الحفرة : ٦٢/١ ، ٦٣ ، ٧٩ ،
 يوم الكركريد : ١٩٥/١
 • يومين : ١١٦/٣
 اليونان (الشعب) : ٦٨/١
 اليونان (بلاد) : ٢٣٧/١

ولاية تدمير : ١٨٣/١
 ولاية رية : ٢٧٤/١
 ولاية مورور : ٢٢٥/١
 ولبة : ٥٩/٣ ، ٨٩
 ولي العهد : ١٦٢/٢ ، ٣٦٧
 أبو الوليد (محمد بن جهور) :
 • ١٠٢ ، ٥٧/٣
 الوليد بن الحكم : ٨١/١
 الوليد بن خيزران : ٦٢/٢ - ٦٤
 الوندال : ٣٠/١ ، ٣٢ ، ٣٣
 يابرة : ١٢/٣ ، ٥٨
 الياقوت : ١٤٨/٣
 يحيى بن ادريس : ٤١/٣ ، ٤٢
 يحيى بن اسحق (الطبيب النصراني) :
 • ٧٣/٢
 يحيى بن أناتول : ٢٠٨/١
 يحيى بن صقال : ١٥٣/١ ، ١٦٢
 يحيى بن علي بن حمودي بن ذي
 النون : ١٨٢/١ ، ٧٩/٢ ،
 ١٩٥ ، ٢١٥ - ٢١٧ ، ٢٧٥ ،
 • ١٢/٣ - ١٧
 يحيى بن محمد التجيبي : ٦٥/٢
 يحيى بن يحيى الليثي : ٥٨/١ -
 ٦٠ ، ٧٠ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٧ ،
 • ٢٤٦
 يدير (ابن عم باديس) : ٣٤/٣
 يزفتو : (وقد يقال له بزنت ،
 أو برنت ، أو بزنت) : ٢٤٦/١
 اليعاقبة : ١٥٩/٢ ، ٢٠٥
 يعرب : ١٨٠/٣

أعمال الأستاذ الدكتور حسن حبشي

- ★ نور الدين والصليبيون (حركة الافاقة الاسلامية فى القرن الثانى عشر) • (نشرته دار الفكر العربى) •
- ★ الحرب الصليبية الاولى (دار الفكر العربى) •
- ★ أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس (الجستا) مترجم عن اللاتينية (دار الفكر العربى) •
- ★ الشرق العربى بين شقى الرضى (دراسة تاريخية عن حملة لويس التاسع على مصر والشام) • دار الفكر العربى •
- ★ أهل الزمة فى الاسلام (لرتون) نشر دار المعارف ودار الفكر وهيئة الكتاب •
- ★ زنجبار (من ١٨٩٠ - ١٩١٣) • دار المعارف •
- ★ رحلة طافور فى عالم القرن الخامس عشر (دار المعارف) •
- ★ مذكرات جوانفيل عن القديس لويس مع دراسة تاريخية مطولة بقلم المترجم (دار المعارف) •
- ★ تاريخ مسلمى اسبانيا لدوزى • العصبية القبلية (دار المعارف •
- ★ الجوائر عبر التاريخ (مع أساتذة بعض الجامعات) نشره معهد الدراسات الاسلامية بالقاهرة •
- ★ فتح القسطنطينية لكلاوى (مترجم عن الفرنسية القديمة) ، نشره مركز كتب الشرق الأوسط •
- ★ حوليات دمشقية لمؤرخ شامى مجهول • نشرته مكتبة الانجلو المصرية •
- ★ الاحتكار فى العصر المملوكى (حوليات جامعة عين شمس) •
- ★ أنباء العصر بأنباء العصر للجوهري الصيرفى • دار الفكر العربى •
- ★ مضمار الحقائق لمحمد بن عمر بن شاهنشاه • نشره عالم الكتب •

- ★ نزهة النفوس والأبدان (أربع مجلدات) نشره مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية .
- ★ الحروب الصليبية لوليم الصورى (أربع مجلدات) نشرته هيئة الكتاب .
- ★ مذكرات فلهاردون عن الحرب الصليبية الرابعة . نشرها المجلس العلمى بجامعة الملك عبد العزيز بجدة .
- ★ أنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر العسقلانى . أربع مجلدات . نشره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف بمصر .
- ★ جمال الدين الشيال : كلمة تأبين فى ذكره .
- ★ المسلمون فى الأندلس لدوزى (ثلاثة مجلدات) نشرته هيئة الكتاب .
- ★ A Fifteenth Century Crusade Against Egypt (1959) (B.A.S. UN.)
- ★ The Egyptian Expeditions Against Rhodes and Castellrosso (B.A.S. Un.)

تحت الطبع : للدكتور حسن حبشى :

- ★ الكسياد (عن الامبراطور الكسسيوس كومنين) لابنته الأميرة أنا كومنينيا ، مجلدان .
- ★ فلسطين فى ظل الحكم الإسلامى لى سترانج (مجلدان) .
- ★ البقاعى (إبراهيم بن حمدن) : عنوان الزمان فى تراجم الشيوخ والأقران (ست مجلدات) أعد مركز التراث بدار الكتب المصرية الجزء الأول منه .
- ★ البقاعى : المعجم الصغير (فى مجلدين) .
- ★ البقاعى : اظهار النصر لأسرار أهل العصر (ذيل على انباء الغمر) فى أربعة مجلدات (من المسودة بخط المؤلف) .
- ★ ابن الحنبلى : در الحب فى تاريخ حلب (سبعة مجلدات والنسخة الأصلية بخط المؤلف مع مراجعتها على سبع نسخ أخرى .
- ★ ابن حجر وتلاميذه (دراسة تاريخية له ولأربعة من تلاميذه) .
- ★ أحداث صنعت التاريخ (عرض لتسعة أحداث كبرى فى الشرق والغرب كان كل منها نقطة تحول فى التاريخ المحلى والعالمى) .

- ★ العصر المملوكي : (دراسة اجتماعية) •
- ★ التاريخ بين المؤرخين المسلمين والصلبيين •

A Transition Period in Antioch Between 1090 & 1118 A. D.

- ★ تطور الجريمة والعقاب فى التاريخ •
- ★ الدبلوماسية البابوية •

★★★

المتبة الاسلامية للدكتور حسن حبشى :

- ★ الرحمة المهداة (عرض جديد للسيرة النبوية العاطرة) : مجلدان •
- ★ سرايا الرسول (صلى الله عليه وسلم) عرض وتحليل قائمان على الوثائق والمصادر الأولية والسيرة الطاهرة •
- ★ قرون الهجرة : دراسة عرضية للعالم منذ الهجرة الشريفة •
- ★ سير الصحابة (او قصة اسلام صحابى) فى أربعة مجلدات •
- ★ صحابييات عرفن الرسول عليه الصلاة والسلام وحدثن عنه (جزآن) •
- وكلها نذاع من اذاعات الرياض وجدة ومكة المكرمة •
- ★ الفتح المبين (تمثيلة عن تاريخ مكة المكرمة حتى انعم الله عليها بالاسلام) •

فهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
الفصل الأول : الصراعات المحلية وظهور هشام الثاني	٥
الفصل الثاني : الصراع بين صمويل اليهودى وابن عباس	١٩
الفصل الثالث : مؤامرة الجرجاني ونهايته	٣١
الفصل الرابع : اضطراب الأحوال بين الأمراء مرة أخرى	٢٩
الفصل الخامس : ارتقاء المعتضد معارج القوة	٤٧
الفصل السادس : استفحال أمر المعتضد حربيا	٥٥
الفصل السابع : انتقام ياديس	٦٥
الفصل الثامن : فرديناند ملك ليون وأمراء الطوائف	٧٧
الفصل التاسع : ابن عمار والمعتمد والرميكية	٨٧
الفصل العاشر : صور من حياة المعتمد	٩٧
الفصل الحادى عشر : مطامع ابن عمار ونهايته	١٠٩
الفصل الثانى عشر : اذلال الفونس للملوك الطوائف	١٢٣
الفصل الثالث عشر : ابن تاشفين وأمراء الأندلس	١٣٥
الفصل الرابع عشر : اليهود والنصارى زمن المرابطين	١٥١
الفصل الخامس عشر : سيرة المعتمد ونهايته	١٧١
الحواشى	١٨٣ - ٢٠٩
الملاحق	٢١١ - ٢٢٤
ملحق بالرسمين العربى واللاتينى للمدن والأعلام	
الواردة فى هذا الكتاب	٢٢٥
المصادر والمراجع المستعملة فى الأصل والترجمة	
للأجزاء الثلاثة	٢٣٩
كتشاف عام للأجزاء الثلاثة من الترجمة العربية	٢٤٨

هذا هو ختام ترجمة ما كتبه المستشرق الهولندي
دوزي من أسبانيا الإسلامية حتى دخول المرابطين
إليها، وقد تناولها المؤلف من شتى النواحي، كما
بسط ما كان هناك من خصومات عنيفة بين ملوك
الطوائف، وعدم وجود الشخصية البارزة التي
تستطيع أن تسيطر على الأمور، وتأخذ بزمامها في
يدها، فتتخذ الإسلام والمسلمين والحكام على السواء
بدلاً من هذه النهاية المأسوية التي انتهت إليها من
تفتيت القوى الإسلامية، واستعانتها أخيراً بقوى
خارجية.

ولقد كان من أمانى الباحثين في تاريخ الأندلس
أن يروا ترجمة عربية أمينة لهذا الكتاب حتى تحقق
ذلك على يد مؤرخ وأستاذ قدير هو الدكتور حسن
حبش الذي لم يقف جهده عند حد النقل بل تعداه
إلى التعليق والتصحيح.

ويسعد هيئة الكتاب أن تقدم هذه الترجمة
بتعليقاتها وملاحقها وكشافها إلى القارئ العربي.